



# اسرار النجاح

## الجزء الثاني

• المؤلف: السيد مرتضى المجهدي السيستاني

• نقله إلى العربية: ضياء الزهاوي

# أسرار النجاح

المجلد الثاني

المؤلف:

السيد مرتضى المجتهد السيستاني

نقله إلى العربية: ضياء الزهاوي

## أسرار النجاح (المجلد الثاني)

المؤلف : السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني

نقله إلى العربيّة : ضياء الزهاوي

الناشر : مؤسسة البلاغ

المطبعة : بيروت / لبنان

الطبعة الأولى : جمادى الأولى ١٤٣٦

القطع والصفحات : وزيري / ٢٢٦

الكميّة: ٢٠٠٠ نسخة

السعر : .....

ردمك : ٦ - ٣٢ - ٧٧٥٣ - ٩٦٤ - ٩٧٨ ISBN

مركز التوزيع: لبنان: بيروت، مؤسسة البلاغ

موقع الإنترنت للمؤلف:

موقع العلمي المنجي [WWW.almonji.com](http://WWW.almonji.com)

بريد الإلكتروني: [info@almonji.com](mailto:info@almonji.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## فهرس المطالب

المدخل ..... ١١

### ١ معرفة النفس

معرفة النفس أو طريق بناء التكامل ..... ١٥

تطهير النفس ..... ١٨

معرفة النفس والمكاشفة ..... ١٩

أمثلة عن معرفة النفس في العالم الغربي ..... ٢١

عوامل معرفة النفس: ..... ٢٥

١- دور الإرادة في معرفة النفس ..... ٢٥

إضعاف مثل هذه النفس ..... ٢٦

٢- دور الخشية من الله تعالى في معرفة النفس ..... ٣٠

٣- معرفة النفس وبنائها نهائياً أو تطهير الضمير اللاواعي ..... ٣١

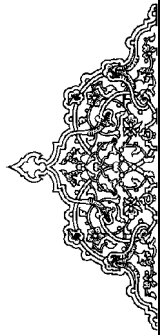
الموانع والعقبات التي تقف حائلاً دون معرفة النفس: ..... ٣٢

١- الإعتياد على الأعمال المستهجنة ..... ٣٢

٢- إهمال النفس ونسيانها ..... ٣٥

الجهل وترك ذكر الله تعالى عاملاً لنسيان النفس وإهمالها ..... ٣٥

نتيجة البحث ..... ٣٨



## ٢ التعرف على العلوم والمعارف

- ٤١ ..... معرفة أهل بيت عليه السلام
- ٤٣ ..... قسم من العلوم والمعارف
- ٤٦ ..... طرق تحصيل العلوم والمعارف
- ٥١ ..... معرفة المتظاهرين بالعرفان
- ٥٣ ..... معرفة العارفين
- ٥٤ ..... صفات العارفين
- ٥٦ ..... مجالسة أصحاب المعرفة
- ٥٧ ..... حفظ التعادل والتنسيق في الحالات العرفانية
- ٦٠ ..... نتيجة البحث

## ٣ العبادة والعبودية

- ٦٣ ..... ما هي العبادة؟
- ٦٥ ..... صدق العبادة
- ٦٩ ..... أقسام العبادة
- ٧٠ ..... خدمة المؤمنين
- ٧١ ..... العبادات الروحية
- ٧٤ ..... الكراهية في العبادة
- ٧٦ ..... النشاط في العبادة
- ٧٨ ..... أثر حالة النشاط في العبادة
- ٨٠ ..... محبة أهل البيت عليه السلام عامل نشاط في العبادة
- ٨٢ ..... نتيجة البحث

## ٤ التقوى

- ٨٥ ..... التقوى والصلاح
- ٨٦ ..... التقوى تحي القلوب
- ٨٧ ..... علاقة التقوى والقلب



|     |                                                  |
|-----|--------------------------------------------------|
| ٨٨  | التقوى وسيلة لمعرفة الأفكار الرحمانية والشيطانية |
| ٩٢  | أساس الصداقة وكسب إخوان التقوى                   |
| ٩٢  | إجتنب أكل مال الحرام                             |
| ٩٣  | التقوى والمقامات المتعالية                       |
| ٩٨  | همة أولياء الله للوصول إلى التقوى                |
| ٩٩  | الإستبدال نتيجة ترك التقوى                       |
| ١٠١ | ثبات القدم في الصلاح والتقوى                     |
| ١٠٢ | نتيجة البحث                                      |

## ٥ العمل والسعي

|     |                                                                                |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------|
| ١٠٥ | السعي والإجتهاد                                                                |
| ١٠٦ | في أي الطرق علينا السعي والعمل؟                                                |
| ١٠٧ | تهيئة النفس للعمل والإجتهاد                                                    |
|     | كيف استطاع المرحوم الملا مهدي النراقي إيجاد الإستعداد للعمل والإجتهاد في نفسه؟ |
| ١٠٨ |                                                                                |
| ١٠٩ | السعي في طلب الحقيقة ودركها                                                    |
| ١١٧ | أبدأ العمل عن وعي ودراية                                                       |
| ١١٧ | الأخذ بنظر الإعتبار ظروف العمل والمعوقات التي تواجهه                           |
| ١١٨ | موانع العمل والسعي:                                                            |
| ١١٨ | ١- الإعتياد على الأعمال الدانية والإستغناء بها                                 |
| ١٢٠ | ٢- النصب والفتور                                                               |
| ١٢٢ | السعي والتوسل للعثور على الكتابين الخطيين                                      |
| ١٢٣ | العمل والسعي المتميز مع التدبير والتنظيم                                       |
| ١٢٤ | نتيجة البحث                                                                    |

## ٦ التوسل

|     |                                          |
|-----|------------------------------------------|
| ١٢٩ | ذكر البارئ عز وجل وأهل البيت عليه السلام |
| ١٣٢ | التوسل من المنظار القرآني                |

|     |                                                     |
|-----|-----------------------------------------------------|
| ١٣٣ | التوسّل في الأدعية والزيارات                        |
| ١٣٥ | التوسّل مدعاة للقرب الإلهي                          |
| ١٣٦ | التوسّل باعث لاستجابة الدعاء                        |
| ١٣٦ | المسائل الاعتقادية ومدخليتها في التوسّل             |
| ١٣٧ | عدد من النقاط حول التوسّل                           |
| ١٣٨ | ١- طهارة القلب                                      |
| ١٣٩ | ٢- التمرکز الفكري في التوسّل                        |
| ١٤٣ | دور اليقين في حالات التوسّل                         |
| ١٤٥ | المعرفة ترفع اليقين                                 |
| ١٤٦ | دور الإضطرار في التوسّل                             |
| ١٤٨ | البنت المضطّرة في ضريح أبي الفضل العباس عليه السلام |
| ١٤٩ | نقطة أخرى                                           |
| ١٥٠ | طلب الاستمداد من عالم الغيب                         |
| ١٥١ | التوسّل من أجل حلّ المشاكل العلمية                  |
| ١٥٢ | ترك التوسّل أو رمز المعصية                          |
| ١٥٤ | نتيجة البحث                                         |

## ٧ محبة أهل البيت عليه السلام

|     |                                                     |
|-----|-----------------------------------------------------|
| ١٥٧ | جاذبية المحبة                                       |
| ١٥٩ | محبة أهل بيت الوحي والرسالة عليه السلام             |
| ١٦٥ | الكائنات السماوية ومحبة أهل البيت عليه السلام       |
| ١٦٦ | ما هي آثار القرب الإلهي؟                            |
| ١٦٧ | محبة أهل البيت عليه السلام لأصحابهم                 |
| ١٦٩ | وظيفة محبي أهل البيت عليه السلام وأتباعهم           |
| ١٦٩ | ١- إيجاد المودة                                     |
| ١٧٠ | ٢- محبة موالى أهل البيت عليه السلام                 |
| ١٧٠ | ٣- البراءة من أعداء أهل البيت عليه السلام           |
| ١٧٢ | ٤- إتباع أهل البيت عليه السلام                      |
| ١٧٥ | ٥- تقوية محبة أهل البيت عليه السلام في قلوب الآخرين |



|     |                 |
|-----|-----------------|
| ١٧٦ | المحبّة الصادقة |
| ١٧٨ | المحبّة الكاذبة |
| ١٨٠ | نتيجة البحث     |

## ٨ الإنتظار

|     |                                                                |
|-----|----------------------------------------------------------------|
| ١٨٣ | قيمة الإنتظار                                                  |
| ١٨٥ | عوامل الإنتظار                                                 |
| ١٨٦ | ١- معرفة المقام العظيم للإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه         |
| ١٨٨ | ٢- التعرف على آثار الإنتظار:                                   |
| ١٨٨ | ١- الهروب من اليأس والروح الإنهزاميّة                          |
| ١٨٩ | ٢- التكامل الروحي                                              |
| ١٩١ | المرحوم الشيخ الأنصاري في بيت الإمام صاحب العصر والزمان        |
| ١٩٢ | رمز النجاح وسرّ الحرمان                                        |
| ١٩٥ | ٣- معرفة مقام الولاية                                          |
| ١٩٦ | ٤- معرفة المدّعين                                              |
| ١٩٧ | ٣- معرفة منزلة المنتظرين الحقيقيين أو أصحاب الإمام صاحب الزمان |
| ١٩٨ | إشارة إلى قوّة هؤلاء                                           |
| ٢٠٠ | التعرف على زمن الظهور                                          |
| ٢٠٠ | ١- تطهير الباطن                                                |
| ٢٠١ | ٢- كمال العقول في زمان الظهور                                  |
| ٢٠٣ | ٣- التغيّرات العظيمة في العالم                                 |
| ٢٠٦ | نتيجة البحث                                                    |

## ٩ الكتمان

|     |                                 |
|-----|---------------------------------|
| ٢٠٩ | كتمان السرّ                     |
| ٢١٢ | كتمان العظماء                   |
| ٢١٤ | حفظ الأسرار وليس كتمان الخيالات |

|     |                                             |
|-----|---------------------------------------------|
| ٢١٥ | دور المخالفين والأعداء في ضرورة حفظ الأسرار |
| ٢١٨ | إخفاء الكرامة والقدرات الروحية              |
| ٢١٩ | كرامة المرحوم الشيخ الأنصاري                |
| ٢٢٣ | أضرار تفشي الأسرار                          |
| ٢٢٦ | نتيجة البحث                                 |



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

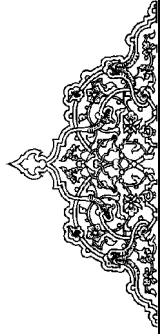
### المدخل

من الطبيعي أن يحتاج الإنسان إلى معرفة نفسه للوصول إلى التكامل الروحي والإلمام والإطلاع على القدرات الروحية والنفسية العظيمة، ويمكن من خلال تلك المعرفة النفسية تهيئة الأرضية والمناخ المناسب للتعرف على العلوم والمعارف التي تضمن للقلب نوره وهدايته وسلامته وسوقه صوب النورانية والانفتاح، وبالنسبة للحصول على العلوم المتعالية والعقائد السليمة والصحيحة.

وفي تلك الساعة ستكون العبادة خالصة لله عز وجل، وستكون للمناجاة والوصال مع المعبود الحقيقي لذّة ما بعدها لذّة، فتتحقق حالة القرب والجاذبية الإلهية، والتي من شأنها تخليص الإنسان من الجاذبية والأهواء النفسية وتبعده عنها.

وبالطبع فإن الإنسان إذا تمكّن من تحقيق هذا الأمر وكسب ذلك المقام فإنّ عبادته وعبوديته تتزامن مع عمليّة التقوى والإيمان الخالص، وبالتالي تجنّبه من كلّ المعاصي والآثام، وإلا فإنّ العبادة من دون تقوى لا يحصد منها سوى العذاب والملل والنفرة من الدين.

وينبغي لكلّ من يريد مقام التقوى والعمل والسعي بجديّة متناهية وأن يُولد في نفسه شعوراً نفسياً خاصّاً يتسم بالمقدرة، ويستمدّ ذلك من الإيمان؛ باعتبار أن نيل الحالات الروحية والكمالات المعنوية يحتاج إلى عمل متواصل ودؤب

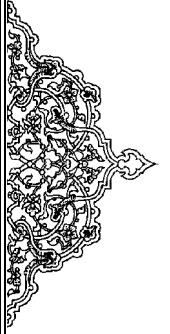


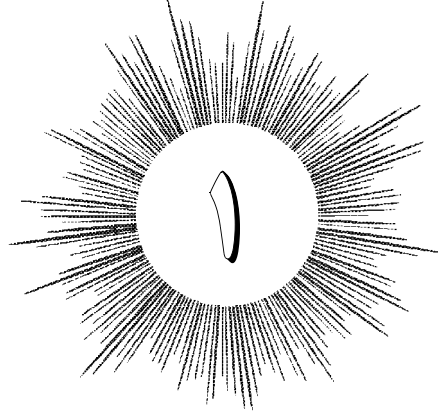
واجتناب كل عوامل الضعف والإستكانة والتعقيد والإلتواء .  
وأما إذا شعر الإنسان أنَّ جهوده وممارساته تذهب سدى ولا أثر لها ويعتقد أنَّ حركته هذه غير هادفة فلا بدَّ له من الإستعانة بالعالم الغيبي والتوسُّل بأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وترك المعصية جانباً وبذلك يمكنه الوصول إلى القرب الإلهي ونيله كل ما يتمنَّاه .

وأما إذا وقع الإنسان في بحر البلايا والمصائب ، فعليه التحرك باتِّجاه سفن النجاة وهم ولاية آل الله ﷺ فحينما يدرك عظمة ومنزلة تلك الولاية ، ويتمسكُ بعروتها الوثقى فما يلبث أن تغدق عليه محبَّتهم والثبات على ولايتهم فيتشكل في ظلِّ ذلك سلوك ولائي يتناغم مع القيم والمبادئ الصالحة في تهذيب النفس وإصلاحها .

وحينئذ يدرك بأنَّ طريق الخلاص والنجاة هو الإعتقاد بولاية ومحبَّة أهل البيت ﷺ ؛ لأنَّ محبَّتهم هو إكسير الشفاء والحياة الكريمة ، وكلَّما ازدادت تلك المحبَّة كلَّما كانت النفس والروح أكثر طهارة وصفاء ونقاوة بشكل توجد معها الإستعداد الباطني لتقبل الحكومة الإلهية ، وبعدَّ العدة ويحسب الأيام والساعات في إنتظار وترقُّب حلول التغير والإصلاح العالمي على يد مولانا الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا لمقدمه الفداء ، وفي ظل هذه الحالة الوهاجة ينال كل عوامل السمو والرفعة والوصول إلى حلِّ شفرة الموفقية في الدارين .  
إنَّ معنى الإنتظار الحقيقي هو إظهار الأسرار الخفية في داخل النفس وعدم البوح بها ، فإن استطاع الإنسان إيجاد تلك الحالة في نفسه وتمكن من الحفاظ على لسانه فإنَّ نجاحاته سوف تزداد يوماً بعد آخر ، ويخطو خطوات كبيرة في مسيرته صوب «أسرار النجاح» ، ويطلع عليه أكثر فأكثر ، فتكون مرتعاً خصباً للإنتفاع على نماذج من القيم والمثل التي تلزمه تجنُّب السقوط والانحراف في مسيرة حياته .

السيد مرتضى المجهدي السيستاني





معرفة النفس

الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

من عرف نفسه ، جلّ أمره

### معرفة النفس أو طريق بناء التكامل

لا شك أنّ الإنسان يعمل للاستفادة من قدراته الروحية المذهلة والعجيبة، وذلك عندما يعلم بوجودها ويتحسّسها في أعماق كيانه ووجوده ويقف على حيثياتها، فيعمل من أجل إيقادها واستغلالها بالشكل المطلوب وإلا كيف يمكنه الاستفادة منها؟ ومن هنا لابدّ له من معرفة نفسه أولاً وهدم الفجوات التي تظهر فيها بين الحين والآخر لأجل الوصول إلى الدرجات العالية والمقامات الروحية والمعنوية والتعرّف على تلك القدرات وطريقة نموّها وتكاملها، فيتضح له طريق الرقي والتطوّر.

إنّنا نرى الكثير من الشباب يتسلقون الجبال، ويسافرون الى سائر الدول والبلدان، الغرض من ذلك هو معرفة أسرار الطبيعة وجماليتها وتحملون في ذلك المشقّة والعناء وصرف الأموال الطائلة، وبالطبع فإنّ تلك الرحلات تعطي للإنسان نوعاً من المتعة والنشاط بشرط إجرائها وفق برنامج صحيح ومدروس من جميع الجوانب، ومن ثم مصاحبة أصحاب الخلق الرفيع والسلوك الممتزن.

نقول بكل تأكيد: إنّ تلك الأمور لا بدّ منها، وهي مهمة بالنسبة إلى الشخص الذي يعتزم السفر ولا مناص منها، ولكنّ الأهم من ذلك هو الإبحار إلى أعماق النفس والغور في الأسرار المكنونة فيها، وإنطلاقاً من ذلك، فإنّ التوجه لهذا الأمر ومعرفة أدقّ تفاصيله يشكل أهميّة تفوق السفر ومعرفة أسرار الأرض والطبيعة والجمالية الخلابة فيها.

وبالطبع فإنّ الإنسان إذا اجتهد وعلم ما للمعرفة النفسية والقدرات والقوى المكنونة في داخله والتي تلعب دوراً مهماً وأساسياً في وصوله إلى مرحلة التكامل لأولها أهميّة وعناية أكثر ولما صدّ عن ذلك.

إنّ معرفة النفس ليس من ضروريات التكامل والتطور على الصعيد الفكري فحسب، وإنّما يمكن القول بأنّها الطريق الذي يوصل إلى كسب الحالات الروحيّة والمعنوية وبداية مرحلة انطلاقه نحو نيل أسامي المعارف والعلوم وأشرفها.

ولهذا فقد عبّر عنها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قائلاً:

### مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعَارِفِ.<sup>١</sup>

وهذا الأمر ناشئ من أنّ معرفة النفس تعرف الإنسان بالعوامل التي هي بداخله والتي تؤثر في مجال تكامله وتزيد من نسبة مخزونه المعرفي والروحي، وتوضح له الموانع والعقبات التي تقف حائلاً دون كسبه للعلوم والمعارف والترقي والنجاة، وفي هذه الحالة تخلق عنده صورة واضحة وجليّة عن المقتضيات والموانع التي أمامه، ولا شك أنّ معرفة تلك الأمور من الشروط القطعية في إيجاد التكامل الروحي.

ناهيك عن ذلك فإنّ معرفة تلك الأمور تفتح نافذة للنور والضياء، وتصل بالإنسان إلى النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

قال مولی الموحدين الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١. شرح غرر الحكم: ١٤٨/٤.

## نالَ الْفَوْزَ الْأَكْبَرَ مَنْ ظَفَرَ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ.<sup>١</sup>

ويتّضح من هذا الحديث الشريف أنّ معرفة النفس والقدرات العظيمة التي حوتها هي من الشروط الضرورية والحتمية لعملية التكامل ، وهذا يشمل بالطبع القوى البناءة والقوى الهدامة على حدّ سواء .

وينبغي على الإنسان معرفة الأشياء والأمور والقضايا التي من شأنها تقييد النفس وتكبيّلها ، والطرق والأساليب التي تحررها حتّى يمكنه من العمل للخلاص والنجاة منها وبالتالي إيقاض قدراتها المكنونة ومن ثمّ تفعيلها بالشكل المطلوب .

ويصف الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مثل هذا الإنسان والذي استطاع معرفة نفسه والحالات النفسية «بالعارف» ، فيقول في هذا الشأن :

## الْعَارِفُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا وَنَزَّهَهَا عَنْ كُلِّ مَا يَبْعُدُهَا وَيُؤْبِقُهَا.<sup>٢</sup>

|                                  |                                     |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| النفْسُ تبكي على الدنيا وقد علمت | أَنَّ السَّعَادَةَ فيها ترك ما فيها |
| لا دَارَ للمرءِ بعد الموت يسكنها | إِلَّا التي كَانَ قبل الموتِ بانيها |
| والنفس تعلم أنّي لا أصادقها      | ولست أرشدُ إِلَّا حين أعصياها       |
| واعمل لدارٍ غداً رضوانٌ خازنها   | والجارِ أحمد والرحمن ناشيها         |

وبعدَ الفكر والعقيدة والإرادة والهمّة والإيمان واليقين من القدرات المخزونة بالنفس ، حيث تعمل جميعها على إزالة كلّ آثار الضعف والضمور والهوان والابتذال ، وعليه فلا غرو من خلاصها من القيود والأوزار والعبودية للغير فيكون الدافع القوي للاستفادة منها في التحليق عالياً في عوالم الحسنات والأعمال الصالحة .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

١ . شرح غرر الحكم : ١٧٣/٦ .

٢ . شرح غرر الحكم : ٤٨/٢ .

إِنَّ النَّفْسَ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ، مَنْ صَانَهَا رَفَعَهَا وَمَنْ ابْتَذَلَهَا وَضَعَهَا.<sup>١</sup>

وعلى ضوء ذلك، يجب أن يثمن الإنسان قيمة النفس ويوليها أهمية قصوى ويعمل على تطهيرها وصقلها من الشوائب التي تتعلق بها لكي يدخل بمحض إرادته في العالم الروحي والمعنوي.

عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ تَجَرَّدَ.<sup>٢</sup>

وفي تلك الحالة لن تقدّم النفس على فعل الأعمال القبيحة والسيئة والتحفيز نحوها فحسب، بل تكون لك الدليل والهادي في ممشاة ومحاكاة الخير والصلاح، ومن هنا كان تأكيد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حين قال:

لَا تَعْصِ نَفْسَكَ إِذَا هِيَ أَرَشَدَتْكَ.<sup>٣</sup>

### تطهير النفس

من الواضح أنّ الإنسان إذا أراد تطهير فكره وعقيدته وهمّته وإرادته والقدرات النفسية الأخرى فما عليه سوى المثابرة والسعي والجديّة والابتعاد عن الإهمال والضعف والعشوائية في الحركة والمنهج؛ باعتبار أنّ إصلاح النفس وتحرير قدراتها الوسيعة المكنونة يحتاج بذل أقصى القدرات والتضحيات والتنازلات والعمل بروحية عظيمة منفتحة بعيدة عن الترسبات الذاتية وتنشيط حالة لتكثيف العمل والفعالية في النفس.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لَا تُتْرَكِ الْإِجْتِهَادَ فِي إِصْلَاحِ نَفْسِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعِينُكَ إِلَّا الْجِدُّ.<sup>٤</sup>

١. شرح غرر الحكم: ٥٢٢/٢.

٢. شرح غرر الحكم: ١٧٥/٥.

٣. شرح غرر الحكم: ٢٨٢/٦.

٤. شرح غرر الحكم: ٣١٥/٦.

ونقول: وللأسف البالغ فإنَّ الإنسان يتغافل ويغض بصره عن هذه المسألة على الرغم من أهميتها ومدى ضرورتها بالنسبة لمراحل سيره في هذه الدنيا، فليكن أولياء الله هم المثل الأعلى الذي يجب الاقتداء به، أنظر كيف استطاع هؤلاء معرفة أنفسهم؟ وكيف وصلوا إلى المقامات والمراتب العليا لها؟ وكيف وصلوا إلى مرتبة شرافة النفس وقدسيَّتها؟

وهنا يقفز سؤال كيف يمكن للإنسان العادي أن يخطو خطاهم والسير على نهجهم والوصول إلى ما وصلوا إليه؟

في مقام الإجابة نقول: إنَّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام إجابة على هذا السؤال في حديث له حين قال:

عَوِّذُ نَفْسِكَ فِعْلَ الْمَكَارِمِ وَتَحَمُّلَ أَعْيَاءِ الْمَغَارِمِ، تَشْرُفَ نَفْسُكَ.<sup>١</sup>

بالطبع فقد طبق عظمائنا وشخصياتنا الفذة والنخب التي نبقى نفتخر بها ذلك المعنى بكلِّ حذافيره، فوصلوا إلى مقام شرافة النفس والتي هي عبارة عن تطهيرها ومعرفة المعرفة الحقيقية.

ولا شكَّ فإنَّ هذا المقصد عام ومتسع ويستطيع كل واحد منَّا عبْره دورته الحياتية تحقيق ذلك الموروث القيم، وذلك بعد تطبيق معايير تتولد من رحم القيام بالأعمال الصالحة وتحمل الصعاب في هذا المسير الشاق، فتكون هذه العملية برمتها منظوية على مجموعة متكاملة من الإخلاص والصفاء والإنقطاع عن الشواغل المادية.

### معرفة النفس والمكاشفة

إنَّ أكبر أسرار النفس هي أن نعلم أنَّ النفس الإنسانية هي مجمع للأضداد، ومثلها مثل المراكز والأماكن التي يجتمع فيها الأشخاص الصالحون والطالحون على حدٍّ سواء، حيث يجتمع فيها الحسنات والسيئات، فيمكن أن

١. شرح غرر الحكم: ٣١٩/٤.

توجد في داخلها الصداقة والحبّ والعداء وتجتمع فيها كذلك الأفكار والرؤى والعقائد الصحيحة والخاطئة.

إذن فعلى أساس هذه الحقيقة لا يمكن للنفس من الوصول إلى المراحل العليا والتكامل ما لم تعلم بجميع الآثار والمواضيع المترتبة وكونها سليمة لاغبار عليها وتتمتع بنوع من السلامة وتنسجم مع فطرتها السليمة. ولأجل توضيح هذا الأمر نقول: يمكن تقسيم مقبوضات النفس واستلاماتها والمكاشفات الحاصلة لها إلى ثلاثة أقسام:

#### ١ - المكاشفات الرحمانية

#### ٢ - المكاشفات الشيطانية

#### ٣ - المكاشفات النفسانية

١ - المكاشفات الرحمانية: ويكون مصدرها نابعاً من الإلهامات الملائكية، ومع أنّها قليلة ونادرة الحصول ولكنّها لها حقيقة وصحيحة تماماً.

٢ - المجموعة الثانية من المكاشفات هي التي توجدها العوامل الشيطانية وعلى فرض أننا قلنا رأينا في صحة خبرها أم لا، فإنّ الإنسان في هذا الموضوع يجب أن لا يكثر بها؛ لأنّها تنفذ إلى أعماقه رويداً رويداً، ومن ثمّ تتسلط عليه وسوف يتطبع على مثل هذه المكاشفات، وذلك بمرور الأيام والنتيجة التعويد من قبل الشيطان على إلقاء مثل تلك المكاشفات.

وكم من الناس ونتيجة لجهلهم وابتعادهم عن التعاليم الحقّة لأهل بيت الوحي والرسالة ﷺ قد ابتلوا بمثل هذه المكاشفات والخيالات الوهميّة، فجاءت النتائج عكس ما تصوّروا فهدروا أعمارهم وسنين حياتهم في الظن بأنهم يحملون أعظم الحالات الروحيّة والمعنوية.

٣ - المجموعة الثالثة هي المكاشفات النفسانية وتعتمد صحة مثل هذه المكاشفات وبطلانها على مدى صفاء النفس ونورانيّتها، فإذا كان الشخص مثل أبي ذر وسلمان وأمثالهما والذين وصلوا إلى درجة الكمال، فإنّ مكاشفاتهم تكون صحيحة ١٠٠٪ ولكن إذا لم تتكامل النفس وتكون منطلقة من الأفكار



والرؤى والعقائد الموجودة في مكنوناتها والتي تلعب دوراً أساسياً في المكاشفات والإستلزمات النفسية فإنَّ صحتَّها تكون مرهونة بمقدار قيمة تلك الأفكار والعقائد.

لذا لا يمكن لهذا الفرد من ضمانه صحَّة مكاشفاته في الوقت الذي يكون فيه غير قادر على تطهير أعماق وجوده من العقائد والأفكار والتخيَّلات الوهمية الخاطئة والتي تنم عن ضعف.

لأنَّ المكاشفات النفسانية في الكثير من الموارد منبعها هو الذخائر المكنونة في النفس وما حوته من تصورات، وبما أنَّ تلك النفس لم تصل إلى مرحلة التكامل، فإنَّها تكون مجمعة للحق وغير الحق، ومركزة للقضايا الصحيحة والباطلة، ولهذا لا يمكن الإعتماد والإعتقاد بمكاشفاتها، وعليه فمن الأفضل عدم الإهتمام والخوض بمثل هذه المكاشفات والإلهامات والأخذ بها والعمل على تحقُّق التكامل وبناء النفس والروح وفق الإرشادات والتعاليم الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين والذين هم بحق مجمع للأسرار الكونية.

وعلى ذلك، فمن أراد الحصول على المكاشفات الحقيقة وهو متعطش لنيل تلك الحالات فمن الضروري أولاً بناء «النفس» حسب الموازين التي جاد بها مذهب أهل الوحي والرسالة ﷺ حتَّى لا يكون لها ولهواها أيُّ دور في التأثير على إيجاد المكاشفات.

### أمثلة عن معرفة النفس في العالم الغربي

تتبع بعض الدول الغربية عملية أخذ الاختبار من الطلبة الذين ينوون الدخول إلى المؤسسات والمراكز والجامعات والمعاهد المختلفة والإستفادة من الأجوبة التي يحصلون عليها في معرفة مدى الإستعداد الروحي والنفسي وما هو المجال الذي يمكن أن يبدعوا فيه وأيِّ الفروع التي تتلاءم مع الإستعدادات الذاتية لهم ويكونون فيها قادرين على العطاء أكثر وأفضل، ومن ثم يختارون الفرع والدراسة التي تنسجم مع حالاتهم العامة.

ولا شك فإنّ مثل هذه المعرفة النفسية تترتب عليها الكثير من الفوائد الجمّة، وتكون حائلاً دون هدر الطاقات التي يجب أن توظف في الطريق الصحيح، ولكن الإكتفاء والإستمرار بذلك إلى آخر العمر يعني بقاء الشخص على وتيرة واحدة وعدم وجود الإبداعات في سائر المجالات الحياتية الأخرى ويكون مثله مثل ذلك الشاب الذي يأخذ التحاليل الطبية في بداية شبابه والإكتفاء والإعتماد عليها إلى نهاية عمره!

إذن فإنّ مثل هذه المعرفة تكفي فقط لمراحل زمانية معينة، وليس للعمر كلّهُ؛ لأنّه - وكما تعلمون - فقد تبرز القدرات الداخلية والنفسية أحياناً في الإنسان من مرحلة الطفولة أو مرحلة الشباب وأحياناً أخرى تظهر تلك القوى في المراحل المتأخرة من العمر، وذلك بمرور الزمن وتراكم العقل والخبرة. لذلك يجب على الإنسان السعي دوماً لمعرفة القدرات المكنونة والمخزونة في أعماقه والعمل على إظهارها للعيان، وهذا السعي لا يظهر في مرحلة زمنية خاصة ومحددة، فقد نرى أنّ هناك أشخاصاً يظهر نبوغهم في أواخر أعمارهم. ومن هنا فإنّ الشخص الذي يتمتع بنوع من الذكاء إلى حدّ مستوى أحد المعلمين، ولديه الإستعداد الكافي من ناحية القدرة والأرضية ليكون معلماً عليه أن لا يكتفي بالبقاء على ذلك والمراوحة في مكانه، بل عليه الإلتفات - ومن خلال التعاليم الواردة عن مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين - إلى أنّ البارئ عزّ وجلّ قد خلق في داخله خصالاً وصفات متعددة ومتنوعة يمكنه ومن خلال الإستفادة منها أن يفتح أمامه نوافذ وأبواب من الإستعداد والإنفتاح والإبداع والتطور، ومن تلك الصفات التي خلقها الله جلّ ثنائه التلقين والهمّة المتعالية والتوبة وغريزة الحب والتغير و....

فعلى سبيل المثال فإنّ الإنسان يستطيع عن طريق التوبة الولوج إلى القدرات والقوى الموجودة في داخله، وأن يتغيّر بكلّ المقاييس ويصبح إنساناً جديداً سويّاً لديه قوى وقدرات جديدة تختلف تماماً عن سابقتها، وبذلك يتباين معدل تأثيره في الحياة.

إنّ مسألة التلقين والإرادة والهمّة العالية التي وردت في أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام تعطي دروساً ومنهاجاً حياتية شفافة وواضحة للإنسانية وتقوم بإبرازها كعناصر وعوامل متدافعة في خلق أجواء جديدة قادرة على التغيير والوضوح في معالم الطريق .

وعلى ضوء وجود مثل هذه الخصوصيات وخصال فإنّ عمل الإنسان على إهمالها والبقاء في إطار معرفة قواها وقدراته في حدود الزمن وحتى المكان والاكتفاء بذلك طوال عمره، فإنّه مخطئ ويسير بالاتجاه المعاكس .

إذن لابدّ له العمل على دراسة النفس والتوجه والاعتناء دوماً بالتغيرات والتحوّلات التي تطرأ عليها وتطلبها حتّى تتبلور له صورة واضحة عن وعي عميق وطويل الأمد عن نفسه وأغراضها التي تبتغيها .

ومن هنا فإنّ معرفة النفس في مقطع وبرهة زمنية ليس دليلاً على معرفتها ورسم معالم مستقبلها على مدى العمر كلّّه، بل يجب التعمّق والتبصر وإيجاد النظرة البعيدة والصحيحة لكبح جماحها والسيطرة عليها ومحاسبتها وتسييرها وفق مراد الإنسان وإرادته، وذلك من أجل معرفة النفس معرفة حقيقية وصلها .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

إِنَّ الْخَازِمَ مَنْ قَيَّدَ نَفْسَهُ بِالْمُحَاسَبَةِ وَمَلِكَهَا بِالْمُغَاضِبَةِ وَقَتَّلَهَا بِالْمُجَاهِدَةِ<sup>١</sup>

وتكون عوامل المحاسبة والمغاضبة والرؤية التبصيرية عوامل ضاغطة باتّجاه فقدان تلك التجارب والاختبارات لقيمتها الواقعية والنتيجة فشلها على المدى البعيد .

إذن يحتاج الإنسان ونتيجة التحوّلات والتغيرات الحاصلة في النفس وبرز الشخصية الجديدة التي تكوّنت على أثر الأعمال والأفعال المؤثرة على النفس

١ . شرح غررالحكم : ٥٥٨/٢ .

إلى اختبارات جديدة مثلما يحتاج الجسم إلى فحوصات مختبرية بين فترة وأخرى.

ولهذا السبب نرى أن علماء النفس يطرحون نظريات مختلفة وطرق متعددة لأجل الخلاص والهروب من الإضطرابات الروحية وتنظيم حياة أفضل بعيدة عن كل المخاضات والولادات القيصرية، ويعتمدون في ذلك على بعض الأساليب المهمة والتي من جملتها قدرة التصوير والتصور والتجسيد والتلقين والإرادة.

ومن المؤكد فإن الحقائق التي توصل إليها هؤلاء العلماء في الآونة الأخيرة هي حقائق كان قد شرحها وبيّنها أئمتنا الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ومنذ مئات السنين في أحاديثهم الشريفة إذن لا حاجة لنا بما توصل إليه هؤلاء العلماء، ولن تكون الحاجة شديدة إلى ما طرحه «دون خوان» و «كاستاندا» من تجارب ومؤلفات، فمن الأفضل لهم تعيم سحرهم ذلك على الهنود الحمر وإيقاعهم في شباكههم وتركنا وشأننا.

وكذلك فلسنا بحاجة إلى إرشادات «ماهاريشي» حيث الأنسب له إيصال تعاليمه تلك إلى الشيخ والهنود، وكذلك لسنا بحاجة إلى «ذن بوديسم» وعصا «بيران» حيث الأفضل لهم الذهاب إلى عباد البقر ونشر تعاليمهم بين هؤلاء، وإننا لسنا بحاجة إلى «بصيرت» و «كريشنامورتى» ولا إلى «دندان ببر»، فإن الأحسن لهم ترك شبابنا الواعي وعدم الطمع في إغوائه وتحريفه عن جادة أهل البيت عليه السلام، فهؤلاء الشرذمة التي يطلقون عليهم اسم «العلماء» قاموا بإيجاد نظريات تربوية خاطئة ساهمت في بناء عقلية سلبية تنحصر وتتوقع نحو فكرة أو أفكار معينة تتناقض مع الأسس الفكرية الصحيحة التي جُبل عليها الإنسان.



## عوامل معرفة النفس :

## ١ - دور الإرادة في معرفة النفس

بطبيعة الحال إذا لم يستطيع الإنسان الصمود أمام قواه النفسية ورآها أمراً غالباً، فعليه أن يعلم أنّ تصميمه وإرادته في بناء نفسه وصقلها ضعيف ولا يرتقي إلى المستوى المطلوب والغائي.

ومن هنا فإنّ الإنسان الذي يتخذ قراراً قاطعاً وصارماً ويعمل في تخطي كلّ الموانع والمشاكل والمعوقات التي تقف في طريقه نحو الرقي بالنفس ومقدراتها ومستقبلها من هيمنة المغريات واللذات، وخطى باتجاه الطريق المستقيم بإرادة قوية وعزم لا يلين، فإنّه يصل إلى مرحلة اليقين وسوف يتغلب على نفسه الأمارة وهواها وجماحها.

وليكن لدى الشخص اليقين القاطع بأنّ قدرة الإرادة والعزيمة الراسخة كفيلة لتوصله إلى حقيقة مفادها أنّ النفس ليس لها القدرة الكافية أمام ذلك التصميم الذي اتّخذه والنية الخالصة التي تبناها فتجعلها في منأى من التقلبات والмиول والرغبات غير الشرعية، ولا شكّ فهذه حقيقة أشار إليها مولانا الإمام الصادق عليه السلام حين قال :

صَاحِبُ النِّيَّةِ الْخَالِصَةِ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ مَقْهُورَتَانِ تَحْتَ سُلْطَانِ تَعْظِيمِ اللَّهِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ.<sup>١</sup>

ومعنى ذلك هو أنّ الشخص الذي له تصميم قاطع ونية خالصة متجذرة يرى نفسه حاضرة في الساحة القدسية، فيكون حياؤه مانعاً من القيام بالأعمال الطالحة ومصححاً لمساره، ومن هنا يتغلب على أهوائه النفسية ويستطيع التحكم بها ومهارها.

وعلى ضوء ذلك، فمن يمتلك القدرة على الإمساك بزمام نفسه وعدم

١. بحار الأنوار: ٢١٠/٧٠، عن مصباح الشريعة: ٤.

إقحامها في ميدان الشهوات عليه أن يتفاخر ويترنح طرباً وفرحاً، وبالطبع فهي مهمة يتوقّف تحقيقها على مستوى تأسيس قاعدة رصينة وقويّة قادرة على مصارعة كلّ الأهواء، وأمّا إذا كان الإنسان يتمتّع بإرادة ضعيفة وعاجزاً عن امتلاك عزيمة صلبة فعليه العمل على تقويتها وأن يعيد إصلاحها والنهوض بها.

### إضعاف مثل هذه النفس

وعليه لا بدّ للإنسان أن يتخذ قراراً من الآن فصاعداً أنّه كلّما ارتكب ذنباً أو معصية يكفر عنها من خلال قيامه بفعل عمل صالح ومرضي، فإذا استطاع تطبيق هذه القاعدة والمعادلة على أرض الواقع فإنّه وفي غضون عدّة أيام سوف يرى في نفسه قد بدأ العدّ التنازلي الكبير الذي طرأ في كبح جماح الأهواء النفسية، وبالتالي صهرها في بودقة الخير والصلاح والانطلاق نحو محاولة العودة للأهتمام من جديد بالبعد النفسي.

قال الرسول الأكرم ﷺ :

إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَأَعْمَلْ حَسَنَةً تَمْحُوهَا.<sup>١</sup>

إنّ العمل الصالح الذي قام به الإنسان لجبران العمل الطالح والخطأ الذي ارتكبه سيمحو بكلّ تأكيد الآثار التي يتركها ذلك العمل، وسيخرج منه إلى رحاب طهارة النفس، وإنّ واحدة من تلك الآثار هي الأهواء النفسية. لذلك يجب على كلّ إنسان منّا الاستفادة من الأحاديث الواردة عن المعصومين عليه السلام وأن يعزم من هذه الساعة على جبران كلّ عمل قبيح قام به بحسنة يفعلها حتّى يمحو أثر ذلك العمل، حيث إنّ هذه الحالة إذا ظهرت وتعمّقت في القلب والوجدان فإنّها تستوجب البناء النفسي الصحيح والخوف من البارئ عزّ وجلّ في كلّ كبيرة وصغيرة، وهذه قضية مهمّة ونجاح باهر على الإنسان التمسك به وعدم تضييعه.

١. بحار الأنوار: ٣٨٩/٧١، أمالي الطوسي: ١٨٩/١.

ويجب أن يتولّد عند الإنسان اليقين بأنّ اتباع أحاديث أهل البيت عليهم السلام والتمسك بها سوف يضيء دربه ويخرجه من المتاهات وعنق الزجاجة في هذه الحياة، ويفتح أمامه مساحات وأفاق من الرزح العطائي، فتتغلب النفس المطمئنة على النفس الأمّارة، وحينئذ تنكشف حقائق لم تكن في الحسبان وبالنتيجة تتحقّق الكثير من الأعمال التي إذا قيست بمنطق الحسابات الرياضية والمقاييس الإنسانية يكون من الصعب تحقّقها.

وفي هذا المقام نستعرض لكم إحدى القصص عن المرحوم الميرزا القمي رحمته الله والذي يعتبر أحد العلماء البارزين في تاريخ المذهب الشيعي الحق، حتّى نصدق أنّه يمكن تحقيق الكثير من الأعمال التي لاتصدق وتطبيقها على أرض الواقع.

بعد وفاة المرحوم الميرزا القمي كان هناك رجل من أهل «شيروان» يعمل دوماً في مرقده ولا يبرحه قطّ ولا يتقاضى على ذلك أيّ أجر وثمان، وهذا خلاف المعمول به، وفي أحد الأيام سأله شخص عن سبب ذلك فقال: إنني من مدينة «شيروان» وأحد تجّارها وأثريائها المعروفين، وعندما رأيت نفسي مستطيعاً لحجّ بيت الله الحرام خرجت من مدينتي قاصداً زيارة الكعبة المشرفة، وبعد الوصول إلى مكّة المكرّمة والقيام بأعمال الحجّ رجعت إلى مدينتي عن طريق البحر، وفي أحد أيّام سفري ذهبت إلى أطراف السفينة لقضاء حاجتي، وبينما أنا أريد الجلوس انقطع فجأة كيس الأموال التي كانت معي وسقط في البحر عندها انقطع رجائي وأملّي من الحياة، فرجعت إلى بلدي وقمت ببيع بعض الحاجات المنزلية، وخرجت ذاهباً إلى مدينة النجف الأشرف للتوسّل بالإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فشاهدت الإمام في إحدى الليالي في الرؤيا، وقال لي: لاتحزن؛ إذهب إلى مدينة «قم»، واطلب كيس مالك من الميرزا أبي القاسم، فإنّه سوف يعطيه لك.

فاستيقظت من نومي وأنا مستغرب جدّاً من ذلك، إذ قلت في نفسي: إنّ كيسي قد وقع في بحر عمان، وإنّ الإمام عليه السلام يقول لي إذهب وخذه من مدينة

«قم» ومن العالم الميرزا القمي!

قلت في نفسي: سوف أذهب إلى زيارة السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بعد أن أكمل زيارة باقي الأضرحة المطهّرة في العراق، وأقصّ ما شاهدت من رؤيا على الميرزا القمي، عسى أن يعمل لي شيئاً.

لهذا الأمر جئت إلى مدينة «قم»، وبعد زيارة مولاتي السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام ذهبت إلى بيت المرحوم الميرزا القمي، وكان الوقت وقت نوم القيلولة، ولهذا لم يكن متوجداً في مكان الإستقبال، فقلت لأحد الملازمين له: إنّي رجل غريب وأتيت من مكان بعيد وعندني حاجة لدى الميرزا أريد أن يقضيها لي، فرد عليّ: إنّه نائم فتعال إليه عصرًا، فقلت له: حاجتي لا تستدعي كلّ ذلك التأخير، فقال لي: اخرج وأغلق الباب بوجهي.

فتجرأت وطرقت الباب مجدّداً، فسمعت صوتاً يقول: اصبر يا فلان؛ فإنّي آتٍ لكي أفتح الباب، حيث نادى عليّ باسمي، فتعجّبت كثيراً لما سمعت ذلك، فكيف عرف اسمي؟! وبعد لحظات فتح لي الميرزا القمي عليه السلام بنفسه وسلمني كيس الأموال الذي سقط منّي في بحر عمان، حيث أخرجه من تحت عباءته وقال لي: إنّي لن أرضى أن تبوح بهذا الأمر ما دمت حيّاً، فأخذ كيسك وارجع إلى وطنك.

فقبّلت يده وودّعته وعزمت السفر في اليوم التالي، وبعد مشقة السفر وصلت إلى بلدتي ونتيجة أعمالتي الكثيرة فقد نسيت تلك القصة العجيبة، ولكن في أحد الأيام وبينما كنت أقصّ بعض خواطري على زوجتي في سفري إلى مكّة تذكرت تلك القصة فقلت لها وهي بدورها تعجّبت وأصابتها الدهشة والاستغراب، فقالت: كيف لك أن تكتفي بهذا المقدار من لقائك بمثل هذه الشخصية؟ أليس من الأجدر بك أن تلازمه وتصاحبه ما دمت حيّاً؟ فقلت لها: وما العمل؟ فقالت: يجب على الإنسان أن يكون في خدمة مثل هذا الشخص الجليل مادام فيه نفس، ومن ثمّ يدفن بجواره بعد الموت.

فقلت: كان اشتياقي للأهل والأقرباء هو الذي منعني من القيام بذلك، والآن



انقضى كل شيء وقد حُرمت من تلك النعمة الفضيحة.

فقلت: أنت مخطئ ويمكنك تصحيح ذلك وعدم تضييع الفرصة، وإن مدينة «قم» من المدن الكبيرة وإن خدمة هذا الشخص هي فاتحة خير لكل شيء، إذهب واجمع أموالك ونأخذها معنا إلى هناك ونعيش بها ونحن بجوار القبر الطاهر لمولاتنا فاطمة عليها السلام بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ونقضي باقي العمر في خدمة ذلك العالم الجليل.

فأريت رأيها صائباً، فقامت ببيع كل ما أملك من أراضٍ وعقارات وحولتها إلى أموال، وأخذت بيد زوجتي وقصدنا مدينة «قم» المقدسة، وعندما دخلنا سمعت بخبر رحيل المرحوم الميرزا القمي، فحزنت كثيراً ومنذ ذلك الزمان وإلى هذه اللحظة فإنني ملازم قبره الشريف وأخدم فيه وهو من دواعي فخري واعتزازي.<sup>١</sup>

وتوضح هذه القصة حقيقة مفادها أن الكثير من الأمور والأعمال التي هي في العرف والعقل من المستحيل تحقيقها، وبالتالي عدم السير وراءها ورفض كل الطرق والذرائع والأساليب المؤدية لها، ولهذا نقول بعدم إمكانية وقوعها، ولكن في الواقع يمكن تحقيقها مثل كيس المال الذي سقط في بحر عمان، ولكن أخرجه المرحوم القمي من تحت عباءته وأعطاه إلى صاحبه.

إن النقطة التي تلفت الانتباه هي أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد قال للرجل عند مشاهدته في الرؤيا: «خذه من العالم القمي الميرزا أبو القاسم»، وهذا معنى أن الإمام يرى في هؤلاء علماء أمته وشيعته ويعتقد بقدراتهم وعلومهم؛ لأنه يمكن للإمام عليه السلام أن يعبر بتعابير أخرى عنه، ويعرفه حسب شهرته ويقول: إذهب وخذ مالك من الميرزا القمي.

إذن ينبغي على الإنسان عدم الكف عن الطلب والإرادة حتى يصل - وبمرور الزمان - إلى مرحلة معرفة النفس وتصبح بعض الأمور غير الممكنة ممكنة، وهذا لا يمكن إلا من خلال ترويض النفس والسيطرة عليها، ولكن كل

ذلك يرجع إلى الفرد نفسه ووجود السعي والعزيمة لديه وكما يمكنه أيضاً تركها تجول وتصول فتكون بمنزلة البهائم أو أدنى.

جرّد النفس وأنهبها عن هواها لا تذرّها في غيها تتلاهئ  
زكّها بالتقوى فما تفلح النفس س بحال إلا على تقواها

## ٢ - دور الخشية من الله تعالى في معرفة النفس

إنّ الخوف والخشية من البارئ عزّ وجلّ ومخالفة تعاليمه وأحكامه يجعل الإنسان يمتلك ناصية أموره، ويستطيع الغلبة على هوى نفسه وينهاها عن غيها، وبالنتيجة معرفة نفسه معرفة حقيقية وتهيئة الأرضية الصالحة والمناسبة للهداية والصلاح، يقول الله جلّ وعلا في كتابه العزيز:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>١</sup>.

بالطبع فإنّ العمليّات الناشئة من الخوف والخشية من معصية الله سبحانه وتعالى نابعة من القوى والقدرات العقلية، فكلّما تمتّع الإنسان بقوى عقلية أكثر وزاد من عقله التجريبي كلّما كان خوفه من مخالفة الأحكام الإلهية أكثر، وتكون مخالفته للنفس مشبعة بالصدق والإخلاص والنقاء.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ<sup>٢</sup>.

ومن هذا المنطلق فكلّما رجع عقل الإنسان واكتمل كلّما كانت قدرته على مخالفة نفسه وهواها أكثر، والمحصلة معرفة نفسه بشكل أفضل وهذه معادلة كلية لا تقبل الشك والنزاع.

ويمكن الاستعانة بالتفكير السليم والرؤى الصحيحة والمعتمقة حول

١. النازعات: ٤٠.

٢. بحار الأنوار: ٩٥/١، وج: ٤٢٨/٧١.



الأعمال والبرامج والمشاريع التي ينوي الشخص القيام بها وتطبيقها على الأحاديث والتعاليم التي جاء بها أهل البيت عليه السلام، وذلك من أجل الاستفادة الأحسن والأمثل من القوى العقلية وزيادة العقل التجريبي .  
وبالطبع فإنَّ التمرين على التفكير المستمرَّ يعمل على تقوية القدرات العقلية وتنمية حالة الإستعداد لديها لمعرفة النفس وبنائها بناءً صحيحاً وهادفاً، ويزيد حالة الخوف والخشية من مخالفة تعاليم البارئ عزَّ وجلَّ ويمنح القدرة الفعالة لمخالفة النفس .

### ٣ - معرفة النفس وبنائها نهائياً أو تطهير الضمير اللاواعي

مما لا شك فيه أنَّ الوظيفة تحتم علينا العمل ليس فقط على تطهير ضميرنا الواعي وتنويره بالعلوم والمعارف الواردة عن أهل بيت الوحي والرسالة عليه السلام فقط، وإنما يجب تطهيره من التمايلات والرغبات والمزلق والإنس مع أعدائه، وبالتالي تنوير الضمير اللاواعي وترشيده بالأنوار المشعة لولاية آل الله عليهم أفضل الصلاة والسلام .  
ويصرِّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أولئك الذين يشبهون الله جلَّ وعلا بالمخلوق قائلاً:

لَمْ يَعْقَدْ غَيْبُ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ<sup>١</sup>.

ومن هنا يمكن الإستدلال بأنَّ الإنسان لا يملك الشعور الظاهري والضمير الواعي، وإنما يملك أيضاً الضمير الغائب واللاواعي، وينبغي له إن أراد معرفة النفس وبنائها تطهير الضمير والشعور وعلى مرحلتين .  
ويتَّضح ممَّا قلناه بأنَّ معرفة النفس تتجلى بأبهى صورها عندما يطهر الإنسان أعماق وجوده، ومن هنا فإنَّ تطهير الضمير اللاواعي هو من الشروط والعوامل المهمة في عملية معرفة النفس .

١. بحار الأنوار: ٣٢٠/٧٧.

## الموانع والعقبات التي تقف حائلاً دون معرفة النفس :

### ١ - الإعتياد على الأعمال المستهجنة

أليس جديراً بالإنسان أن يستفيد من الثروات الروحية الهائلة التي أودعها الله عز وجل في أعماقه وعدم إهمالها بأي شكل كان، وأن لا يؤطرها بأطر العادات والتقاليد التي لا قيمة لها؟

وعند النظر والتفحص في أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام ومتابعة سيرة حياتهم الناصعة نجد أن أفضل العبادات هي الغلبة على العادات السيئة والقبیحة؛ باعتبار أن الإعتياد على كل عمل وفعل يكون مثل الطبع الثاني الذي تحكم الإنسان ويسيطر عليه شاء أم أبى .

ولهذه العلة نرى أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يطلق على العادة اسم الطبع الثاني فيقول :

#### الْعَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ.<sup>١</sup>

ويعلّل الأمر؛ باعتبار أن الأمور التي يعتاد عليها الفرد مثلها مثل الأمور التي تكون نابعة من طبعه التي تغلبه، فتهيمن عليه ونسقطه تحت تأثيراتها، ولهذا فإن الشخص الذي تحيط به الأعمال السيئة ويعتاد عليها فإنه إن استطاع الخلاص منها والغلبة عليها والعبور إلى الجانب الآخر فقد قام بأفضل عبادة ممكنة، فهنيئاً له هذه الحياة المترعة بالصالحات والتي لا يصحبها كلل ولا ملل ولا يقصر بها طول الطريق ووعورته وقلة أهله؛ لأنّ الأمل يحدوه والإيمان بالغلبة يمدّه بالثبات والعزيمة، حينئذ يحقّ له الإفتخار والاعتزاز بنفسه .

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

#### أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ غَلَبَةُ الْعَادَةِ.<sup>٢</sup>

١. شرح غرر الحكم : ١/ ١٨٥.

٢. شرح غرر الحكم : ٢/ ٣٧٥.



إذ إنّ الناتج من الغلبة على العادات السيئة والسلوك المشين يفتح الطريق واسعاً أمام الوصول إلى الكمالات الروحية، ولا جرم ففي ذلك الوقت تنهياً كل المقدمات والمسلزمات لنيل أشرف المراتب والدرجات .  
عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال :

### بِغَلْبَةِ الْعَادَاتِ، الْوُصُولُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَقَامَاتِ.<sup>١</sup>

إنّ عملية التطوّر والترقي إلى مصافّ أشرف المراتب والمقامات في الأعمال المهمة والوصول إلى المسائل الروحية لن تكون متوقّفة على الإعتياد على ارتكاب المعاصي والآثام وحدها، وإنّما الإعتياد على كلّ عمل وفعل قبيح وغير مجدٍ .

وعلى أساس الأساس، فإذا أراد الشخص الحصول على القيم الروحية ينبغي عليه الابتعاد والإجتناب عن كلّ العادات غير المستحسنة والمستهجنة لكي يتمكن من قطع شوط كبير في الوصول إلى المراحل العليا للكمال .  
قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام :

### غَيْرُ مُدْرِكِ الدَّرَجَاتِ مَنْ أَطَاعَ الْعَادَاتِ.<sup>٢</sup>

باعتبار أنّ عملية الإعتياد مثل السلاسل والقيود، فإنّه تقيّد الإنسان وتجعله غير قادر على فعل شيء، وتمنعه من الحركة صوب الرقي والتقدّم، وعليه يجعل الأمر في الوصول إلى الدرجات المعنوية المتعالية أمرٌ مستعصٍ وفي غاية الصعوبة، بل أمر غير ممكن .

ولهذا فمن الضروري بمكان التحرك باتّجاه ترك العادات السيئة والأُمور القبيحة والتي لا قيمة لها ولا اعتبار لكي يستطيع الشخص منّا الوصول إلى التكامل الروحي بسهولة .

١. نفس المصدر: ٢٢٩/٣.

٢. نفس المصدر: ٣٨٢/٤.

يقول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا الصدد:

غَيِّرُوا الْعَادَاتِ، تَسْهَلْ عَلَيْكُمُ الطَّاعَاتِ.<sup>١</sup>

ويمكن الاستفادة من هذا الحديث أنَّ الحرب التي يتبعها الشيطان والنفس في مسألة مخالفة الأوامر والدساتير الإلهية هي جعل الإنسان معتاداً على الأمور التافهة والذنوب الصغيرة، ومن هنا فلا بدَّ له من إفشال تلك الحرب ليتمكن إتباع تلك الأوامر وعدم مخالفته بشكل من الأشكال، ويمكن من خلال اتباع الإرشادات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل الصلاة والسلام من كسب أعلى المراتب والدرجات الإنسانية.

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ  
مِنْ أَمْرِهِمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلٍ  
حُبِّ الْحَيَاةِ، وَبُغْضِ الْمَوْتِ أَوْرَثَهُمْ  
جُبْنَ الطَّبَاعِ، وَتَضْدِيقِ الْأَبْطَاطِيلِ

فكل إنسان لديه ثروة عظيمة في داخله لا بدَّ له من الاستفادة منها بأحسن وجه، ولكن نرى أنَّ العادات السيئة تعمل على مصادرة تلك الثروة، وتجعلها في مهب الريح، وتمنعه من توظيف قدراته وطاقاته في المسير الصحيح. إنَّ الإنسان الذي يعتاد ويطلع بالعادات السيئة مثله مثل الشخص صاحب الثروة والمال الكثير، ولكن يتم مصادرة منه وهذا الشخص لن يهدأ له ويطيب له عيش إلا باسترجاعها، ويجب على الإنسان الذي وقع في مصيدة العادات السيئة العمل بكلَّ عزيمة وإرادة وقوة كما يفعل صاحب المال لاسترجاع ماله المصادر على التخلص والنجاة منها، وعدم العودة إليها وبذل قصارى جهوده في هذا الجانب.

ونقول ومع الأسف الشديد: فإنَّ المجتمع البشري يعمل هو بنفسه لمصادرة قواه الروحية العظيمة، ويحرم نفسه منها، وإنَّ هناك مجموعة وفئة قليلة هي



التي تجاهد وتكافح للخلاص من القدرات المادية .

ولا يغامر أحد الشك بأنّ هناك مجموعة وقوى ودولاً تعمل على مصادرة أموال الدول المستضعفة مع أنّهم يطلقون على أنفسهم حماة الدفاع عن حقوق الإنسان !

## ٢ - إهمال النفس ونسيانها

إنّ هناك تناسب طردياً بين زيادة العلم وتهذيب النفس وطهارتها من الرواسب المتعلقة بها ، وذلك إذا كان العلم نابعاً من الوحي ، فكلّما ازداد العلم ازداد معه تهذيب النفس ونقاؤها وطهارتها ؛ باعتبار أنّ العلم والمعرفة إذا كانا يسيران على قاعدة صحيحة ونية خالصة لله عزّ وجلّ فإنّهما يتقاطعان مع التلوث النفسي ، ومن هذا المنطلق نرى أنّ كلّ عالم رباني يعمل على مخالفة نفسه وتهذيبها .

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال :

كُلَّمَا أَزْدَادَ عِلْمُ الرَّجَالِ، زَادَتْ عِنَايَتُهُ بِنَفْسِهِ، وَبَدَلَتْ فِي رِيَاضَتِهَا<sup>١</sup>.

ومن هنا فإنّ العلم والمعرفة تسير الشخص نحو معرفة النفس وبنائها البناء الرباني ويكونان حائلاً لحصول حالات الغفلة والنسيان في المسائل التي ترتبط بالنفس .

## الجهل وترك ذكر الله تعالى عاملان لنسيان النفس وإهمالها

من الطبيعي فقد يوجد معادلة في قضية هذه المعرفة أحد طرفيها أشخاص استطاعوا معرفة أنفسهم ، وعرفوا ما لها من قيمة حياتية وطرف فيه أشخاص لا يعرفون ما لها من عجائب وآثار وجهلوا بالمسائل المعنوية والحياتية ، ولهذا نرى أنّهم يتركون النفس للنفس وفقدوا الشعور لتهذيبها وتكاملها ، وعليه فقد

حرموا من نعمة تلك المعرفة .

يا نفس ؛ دنياك تخفي كل مبكية  
صالح أمرك للأخلاق مرجعه  
وإن بدا لك منها حسن مبتسم  
فقوم النفس بالأخلاق تستقم  
والنفس من خيرها في خير عافية  
والنفس من شرّها في مرتع وخم

يقول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام :

مَنْ جَهَلَ نَفْسَهُ أَهْمَلَهَا. ١

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أنّ واحدة من العلل التي تؤدي إلى نسيان النفس هو الجهل وعدم الإطلاع بالنسبة إلى المسائل الحياتية للنفس ، ولا شك فإنّ هناك حقيقة لا بدّ من ذكرها إلّا وهي أنّه كلّما زاد علم الإنسان في ظلّ مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين فإنّه يحرص كثيراً على التوجّه لتلك المسائل والاهتمام بها أكثر من ذي قبل .

وأما المسألة الأخرى التي تلعب دوراً مهماً وأساسياً في نسيان النفس فهي المعصية وترك ذكر البارئ عزّ وجلّ .

وكما يعلم الجميع فإنّ هناك ارتباطاً وثيقاً لا يمكن أن ينفصل ، وهو أنّ ذكر أهل البيت عليه السلام يعني ذكر الله جلّ وعلا ونسيانهم يعني نسيان الله ، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في خصوص ذلك :

إِذَا ذُكِرْنَا ذُكِرَ اللَّهُ. ٢

ومن المؤكّد فإنّ ترك ذكر الله عزّ وجلّ وأهل البيت عليه السلام يجعل الإنسان يخسر الكثير من المسائل الحياتية المهمّة ، ويسلب منه سعادة الإنتفاع من الحقائق المعنوية الكبيرة ، وبالتالي يقع في مطب نسيان النفس فيصيبها ما يصيبه من ندامة وخسران .

١ . شرح غرر الحكم : ١٧٨/٥ .

٢ . بحار الأنوار : ٢٥٨/٧٤ ، عن أصول الكافي : ١٨٦/٢ .

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾<sup>١</sup>.

إذن فإنَّ المعصية ونسيان ذكر الله وتعاليمه وأحكامه يصابان الإنسان بداء نسيان النفس، ومن هنا ينبغي له العمل على بناء نفسه وتهذيبها، وذلك لأجل معرفة النفس ولأجل تحقيق البناء الصحيح والواقعي لها عليه أن يتجنبَّ كلَّ العوامل المساعدة في «نسيان النفس» وترك كلِّ ما يتعلَّق بذلك، من قبيل الجهل وترك ذكر الله عزَّ وجلَّ وأهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام).

وخلاصة القول فإنَّ العلم والمعرفة وذكر الله وآل الله يجنب الإنسان مسألة «نسيان النفس» وبذلك يصل إلى مرحلة «بناء النفس» وتكاملها ومنها يلج إلى «معرفة النفس» وهو طريق الفلاح والخلاص والفوز في الدارين، والعكس هو الصحيح، فإذا لم يعرف الشخص نفسه، فإنه يكون قد ابتعد عن سبيل النجاة ودخل في إرهاصات يصعب معرفة عواقبها ونتائجها.

قال مولى الموحِّدين وقائد الغرِّ المحجَّلين الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ، بَعْدَ عَنْ سَبِيلِ النَّجَاةِ، وَخَبِطَ فِي الضَّلَالِ  
وَالْجَهَالَاتِ.<sup>٢</sup>

ونظراً لعظمة مسألة معرفة النفس نرى أنَّ الإمام الباقر (عليه السلام) يقول عنها:

لَا مَعْرِفَةَ كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ.<sup>٣</sup>

١. الحشر: ١٩.

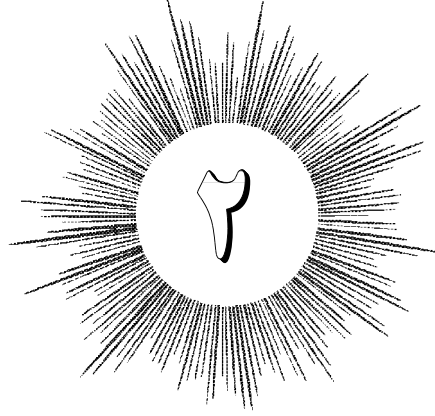
٢. شرح غرر الحكم: ٤٢٦/٥.

٣. بحار الأنوار: ١٦٥/٧٨، عن تحف العقول: ٢٨٤.

### نتيجة البحث

إنّ الإنسان بحاجة ماسة وشديدة إلى «معرفة النفس» وذلك لأجل تطوّره وتكامله في المسائل الروحية والمعنوية .  
 إنّنا نتعلّم من التعاليم والإرشادات الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين أنّ الشخص الذي يصل إلى مقام «معرفة النفس» فإنّه قد حاز على المقامات العالية واطّلع على أنفع العلوم والمعارف .  
 وينبغي على كلّ إنسان منّا العمل بكلّ وسعه وجهده لأجل معرفة نفسه والتعرّف على قدراتها وقواها وتحريرها من حاكميّة الشياطين ، والعمل على خلاص ثرواته الروحية الكثيرة من مصادرة الغير .  
 ومعرفة العدوّ الواقعي للقيم الروحية ومبارزتها ، حتّى يصل إلى درجات التكامل المنشود ، ولا شكّ فإنّ الأهواء والملذات والإعتياد على الحياة غير المجدية والخالية من الهدفية هي أهمّ العوامل الخطيرة التي تجابه الروح والنفس ، والتي تكون قادرة على أسر تلك الروح وتكبيّلها بسلاسلها .  
 ويجب على الإنسان الإندفاع نحو الخلاص من أسر تلك العوامل ، وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال وجود الفكر والعقيدة الصحيحة والإرادة والتصميم القاطع والهمّة العالية والإيمان الراسخ واليقين ، فإنّ تقويتها يعني الوصول إلى «معرفة النفس» والتحليق صوب الدرجات المتعالية للكمال وتعالى النفس .

يا خادماً الجسم : كم تشقى بخدمته  
 لتطلب الربح ممّا فيه خُسرانُ  
 أقبل على النفس واستكمل فضائلها  
 فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ



التعرّف على العلوم والمعارف

من كلام للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

المعرفةُ بُرْهانُ الفضلِ

### معرفة أهل بيت عليهما السلام

إنَّ واحدة من البحوث المهمة التي تدخل في صميم المواضيع العقائدية والمعرفية هي معرفة المقام الشامخ والمكانة الرفيعة والعظيمة لأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا شك فإنَّ الوظيفة الدينية والشرعية تحتم على الجميع تحري السبل لإيجاد تلك المعرفة قدر الإمكان والإستطاعة، والحركة بشكل متوازٍ ومنطبق مع معرفة كلِّ إمام من الأئمة الأطهار عليهم السلام دون التقدم عليه أو التأخر عنه؛ باعتباره يمثل الضياء والنور الإلهي، وبدونه فسوف تكون المسيرة مظلمة وفاشلة، والطريق موحش، فإنَّ الحركة من دون نور هي حركة غير عقلانية ولا يستسيغها أيُّ عاقل أو لبیب، وعليه فإنَّ معرفة الإمام هي وظيفة عامة تقع على عاتق الجميع وأصل مسلّم وثابت لا يمكن المحيص عنه، وحقيقة غير داخله في حيّز النفي.

يقول الإمام الصادق عليه السلام إلى شخص يدعى زيداً:

أَتَدْرِي بِمَا أُمِرُوا؟ أُمِرُوا بِمَعْرِفَتِنَا، وَالرَّدُّ إِلَيْنَا وَالتَّسْلِيمُ لَنَا.<sup>١</sup>

١. بحار الأنوار: ٢/ ٢٠٤.

وعلى أساس ذلك تعدّ معرفة مقام الأئمة عليهم السلام مسألة في غاية الأهمية في باب العلوم والمعارف، ويجب العناية بها بشكل كامل والتسليم المطلق أمام الأحاديث الصحيحة والإرشادات القيمة التي جادوا بها، فعند الدقة والتمعّن في تلك الكلمات سوف نصل إلى عظمتهم ومكانتهم التي لا يصل إليها أحد من العالمين.

وهناك روايات وأحاديث كثيرة مهمّة تزيد من المعرفة بمقام الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ومن تلك الروايات رواية نقلها أبو بصير عن الإمام الباقر عليه السلام جاء فيها:

عن أبي بصير قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَالنَّاسُ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ فَقَالَ لِي: سَلِ النَّاسَ هَلْ يَرَوْنَنِي؟ فَكُلُّ مَنْ لَقِيْتُهُ قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام؟ فَيَقُولُ: لَا وَهُوَ وَاقِفٌ حَتَّى دَخَلَ أَبُو هَارُونَ الْمَكْفُوفُ، قَالَ: سَلْ هَذَا، فَقُلْتُ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا جَعْفَرٍ؟ فَقَالَ: أَلَيْسَ هُوَ فَأَيْمًا، قَالَ: وَمَا عِلْمُكَ؟ قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَعْلَمُ وَهُوَ نُورٌ سَاطِعٌ.

قال: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ: مَا حَالُ رَاشِدٍ؟ قَالَ: خَلَفْتُهُ حَيًّا صَالِحًا يُقْرُوكَ السَّلَامُ قَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَاتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَتَى؟ قَالَ: بَعْدَ خُرُوجِكَ بِيَوْمَيْنِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا مَرَضَ وَلَا كَانَ بِهِ عِلَّةٌ، قَالَ: وَإِنَّمَا يَمُوتُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ عِلَّةٍ. قُلْتُ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ لَنَا مُوَالِيًّا وَلَنَا مُحِبًّا.

ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ تَرَوْنِ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا مَعَكُمْ أَعْيُنٌ نَاطِرَةٌ، أَوْ أَسْمَاعٌ سَامِعَةٌ، لَيْسَ مَا رَأَيْتُمْ، وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْضَرُونَا جَمِيعًا، وَعَوِدُّوا أَنْفُسَكُمْ الْخَيْرَ، وَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ تُعْرِفُوا، فَإِنِّي بِهَذَا أَمْرٌ وُلْدِي وَشِيعَتِي.<sup>١</sup>



ولعلّ الدقة في هذه الرواية تنبئ عن أهمية وجود الأنوار الساطعة للعلوم والمعارف التي جاد بها أهل البيت عليه السلام ومدى علم الإمام ومكانته وإملاكه للنظرة الجادة والعميقة للأمور.

إنّ الإنسان الذي يرى نفسه في محضر البارئ عزّ وجلّ ومحضر إمامه الروؤف العطوف واختلطت أطباعه وعاداته بالأعمال الحسنة والطالحة فهل يتسنى له إرتكاب المعاصي والآثام والأعمال القبيحة والطالحة؟

إنّ النقطة التي تلفت الإنتباه في هذه الرواية هي قول الإمام عليه السلام: «وعودوا أنفسكم الخير، وكونوا من أهله» باعتبار أنّها من ضروريات الحضور في محضر الله عزّ وجلّ والإمام المعصوم عليه السلام.

فهنا ما يراه الإمام الباقر عليه السلام للإعتقاد بالحضور المهم هو اعتياد النفس على الآداب والعمل الحسن.

بالطبع فإنّ الإنسان عندما ينال مقام المعرفة، ويدرك الأمور الغيبية وغير المرئية قد يحرم من بعض الحواس الخمسة - مثل أبي هارون - ولذلك فإنّ امتزاج النفس وتعودها على الأمور الحسنة والتي تشتمل على الخير يمهّد الأرضية لإيجاد حالة الحضور لديه ويفتح لها الآفاق الباطنية لأجل معرفة مقام الحضور عند الإمام كالحالة التي حدثت لأبي هارون، فينتقل من مقام العمى إلى مقام البصيرة، وهذا ما حدث فعلاً لهذا الرجل الجليل.

### قسم من العلوم والمعارف

لأنعدو الصواب إذا أطلقنا القول بأنّه يوجد في كلمات أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين امواج متلاطمة من العلوم والمعارف الإلهية، وفيها القدرة والمرونة على استيعاب كلّ متطلبات الزمان والمكان وتلبية حاجات الإنسان في جميع نواحي الحياة، فعند الرجوع إلى تلك الأحاديث التي لا مثيل لها من حيث البلاغة والمعنى والجمالية في التركيب يمكن الولوج في بحر عميق غير متناهٍ

من العلوم والمعارف ومن خلال الأنوار التي تشع والنابعة من الوحي ستنير القلوب وتشكل نبعاً مستديماً ينهل منه الإنسان دوماً وكونت خزانة من العلوم القرآنية والطبيعية والعلمية والعملية أغنت وجدان الإنسانية بشكل عام والشريعة بشكل خاص، حيث تدفع في طريق التقدم وتفتح أمامهم آفاقاً رحبة.

والآن نطرق هنا إلى مثل تلك الأحاديث والكلمات لتصفّي القلوب وتنقيها وتظفي عليها جانباً من النشاط والحيوية، وذلك من خلال التدبر والتفكير والإمعان بها.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

**كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ<sup>١</sup>.**

يصرّح الإمام عليه السلام في حديثه هذا عن أمر معرفة الله تبارك وتعالى، ويمكن من خلال كلامه الكلي إستنتاج أمور ومفاهيم كثيرة ولأجل التوضيح أكثر نقول: قد لا يخفى على الكثيرين فإن معرفة الإنسان توصف بشكل إجمالي على أنّها منظومة في مجال مستوى الفكر والرؤى والإستنتاجات التي عادة ماتكون ناشئة من حدود التشخيص وميزان دركه وتشبه الصورة التي تلتقط للإنسان أو لمنظر طبيعي خلاب، فكلّما كانت الكاميرا أكثر تطوراً وأكثر قوة كلّما كانت الصورة أجمل، وتتمتع بدقّة عالية وتبيّن خصوصيات الشيء بشكل أفضل، ولكن مع ذلك فإنّها صورة ذلك الشيء وليس الشيء نفسه، ولا يمكن أن تعكس تلك الصورة حقيقية ذات ذلك الشيء؛ لأنّ الصورة وإن كانت جميلة وناطقة فهي صورة الشيء وليس حقيقته.

وتصدق تلك المسألة على باب علوم ومعرفة الله عزّ وجلّ وأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم؛ لأنّنا كلّما توصلنا إلى عظمة وقدرة الباري عزّ وجلّ وكلّما عرفنا أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم المتعالية فإنّ ذلك لا يخرج عن الفكر والرؤى



والعقل المحدود لنا، إذن فإنّ تعاليمنا العقائدية تكون في حدّ استيعابنا، وفي الواقع فإنّ عظمتهم تكون محصورة في فهمنا ودركنا.<sup>١</sup>

ويجب على كلّ واحد منّا أن يستسقي علومه ومعارفه من المذهب الذي يعتمد على الوحي والسماء، وهم أهل البيت عليه السلام والبحث عن الحقائق من خلال الاستفادة المطلقة من أحاديثهم وكلماتهم النورانية والتسليم الكامل بها، حتّى وإن كان ذلك لا يتناسب مع مستوى عقولنا وفهمنا لتتنوّر القلوب بتلك الأحاديث وتصلقها وتجليها وإلا فإنّ أهواء النفس وسهامها ستفعل فعلتها فتجرّ الإنسان إلى مهاوي الانزلاق والفساد والضلالة، وهذا الموضوع مهم، وذلك لأجل زيادة معرفة الإنسان ووصولها إلى التكامل، وأيضاً يكتسب أهميته حينما يكون الشيء الذي تصوّره الإنسان في ذهنه وفكره ورسم الصورة عنه قريب إلى الواقع والحقيقة.

إنّ التعرف على العقائد الحقّة وعلوم أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين والتسليم المطلق والكامل لهم تمنح الأمل مهما قست الظروف ولا تدع تستسلم النفس لليأس والعبث بأيّ حال من الأحوال، وتريحها من الشكوك والوساوس وتسطع علوم أولئك الأبرار الأخيار في عمق الضمير اللاواعي، وأمّا إذا تكاملت فإنّها لا تعمل على محو العقائد والرؤى والأفكار الخاطئة التي تولدت مع الإنسان منذ نعومة أظافره وطبعت في مخيلته فقط وإنّما تكون قادرة على محو المعتقدات غير الصحيحة في النفس والتي حصلت نتيجة قانون الوراثة والتي انتقلت إلى جيل بعد آخر عن طريق الجينات الوراثية.

١. يمكن مراجعة الروايات العديدة والمهمّة التي نقلها المرحوم الشيخ بهائي عليه السلام في كتابه «الأربعون حديثاً: ٨١» عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام.

## طرق تحصيل العلوم والمعارف

إنَّ نيل المقامات العلمية وكسب العلوم المعرفية لها إفرازاتها ومعطياتها، وواحدة من تلك الإفرازات هي الحصول على مفتاح السعادة والفلاح، بالطبع فإنَّ تحصيل تلك العلوم منوط بكسبها من المنبع الرقراق والمعين الصافي والزال، وهم أهل بيت الوحي والرسالة صلوات الله عليهم وهذه حقيقة ثابتة لا ريب فيها، فهم عبارة عن مركز إشعاع وتنوير، لكي يحدّد للإنسان بوصلة الاتجاه الصحيح والإبتعاد، وتشخيص أولئك الثلة التي تستلهم علومها عن طرق أخرى ومناهج وضعية لاتغني ولا تسمن من جوع، فإنَّ أتباع هؤلاء يتمخض عن بروز أزمات روحية وأخلاقية وتوجد عوائق من الأهواء والمزلق التي تبثها الشهوات والشبهات طوال حياة الإنسان وتصده عن غايته وهدفه المراد له.

إذن فإنّه من الأفضل ابتداء اللجوء إلى معرفة العلوم والمعارف والعقائد الصحيحة من سفراء الباري عزّ وجلّ وخلفائه في أرضه وسمائه - والتي تكون نابعة من الوحي الإلهي - والاستفادة من إرشاداتهم وتعاليمهم الحقّة ووضعها في سويداء القلب؛ لأنّهم هم الهداة إلى العلوم والمعارف الإلهية.

قال الرسول الأعظم ﷺ إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

بِنَا إِهْتَدُوا السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ.<sup>١</sup>

وقد أثبتت التجارب العلمية أنّ الإنسان قد استفاده من واحد من مليار من قواه العقلية التي منحها له الباري جلّ وعلا فقط، وذلك منذ العصور الماضية وإلى يومنا هذا وحتى انتهاء مرحلة الغيبة المظلمة! وظلت البقية الباقية من دون أي استفادة تذكر.<sup>٢</sup>

١. بحار الأنوار: ٣٥٠/٢٦، وج ٣٣٧/٣٦، عن كفاية الأثر: ٢١.

٢. لمزيد من الإيضاحات في خصوص هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى فصل «الانتظار» في بحث «كمال العقول في زمان الظهور» من هذا الكتاب.

وهنا يقفز إلى الذهن هذا السؤال : كيف يمكن للإنسان الوصول إلى المراتب العليا من العلوم والمعارف ومعرفة خالق الكون عز وجل من دون الاعتماد على الإرشادات والتعاليم الصادرة من أئمة الهدى وأصحاب الوحي صلوات الله عليهم أجمعين وهو لم يستفيد من أكثر من واحد بالمليارد من قواه العقلية؟! إذن فمن الأفضل للإنسان أن يسلم ويدعن بشكل كامل لما جاء من تعاليم وإرشادات وأحكام على لسان من شاهد الخلق ولأجلهم خلق الكون، وهم أهل البيت عليهم السلام وعدم إغفال الآخرين ومحاولة تغيير معالم الإسلام المحمدي الأصيل بسبب الغرور الذي يعتلي النفس والأساليب الماكرة وبيع الضمائر والذمم من جهة، وعدم الانخداع بما يأتي به الآخرون من دون تفحص وقراءة لما جرى طوال التاريخ من جهة ثانية .

قال الله عز وجل في محكم كتابه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾<sup>١</sup>.

كيف يمكن للإنسان يحمل صفات الإيمان والتقوى ويعمل بهذه الآية الشريفة والدالة على التمسك بالأئمة الأطهار عليهم السلام الذين هم الصادقون ومن ثم اتباع مذاهب أخرى وأئمة آخرين جاءوا وتسלטوا على رقاب هذه الأمة، وذلك لأجل تمشية مصالحهم الذاتية وأغراضهم الضيقة؟! فهل هذا ياترى هو معنى المعية والملازمة للأئمة الطاهرين الذين أوجبه الله تبارك وتعالى؟ وهل معنى ذلك القبول والإذعان لمقام الولاية واتباع مذهب الوحي والرسالة؟! قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾<sup>٢</sup>.

نعم ؛ وكما صرح القرآن الكريم فإنّ هناك فئة قليلة من الناس هم الذين قبلوا

١. التوبة : ١١٩ .

٢. الأحزاب : ٢٣ .

الإيمان وظلّوا على العهد الذي قطعوه من أوّل الأمر عاملين بقيم التوحيد والعدالة، ولكن هناك فئة أخرى ظلت الطريق وابتعدت عن مسير الصراط المستقيم عن علم أو من دون علم ومعرفة، فوقع في فخ الشيطان وأساليبه وحيله، وأصبحوا أداة طيعة بيده، وبالنتيجة التقليل من شأن وعظمة أهل البيت عليه السلام وعدم الإنصياح للإرشاداتهم وتعاليمهم السامية والمتعالية والأخذ من نورهم الوهاج.

وهنا لابدّ لنا من أن نطرح هذا السؤال أمام تلك الفئة التي تعتبر الأغلبية من المسلمين ونقول لهم: ما هي المبررات العقلية والنقلية التي اتبعتوها في رفضكم الولاية التي صرّح بها القرآن الكريم والأئمة المعصومون عليهم السلام؟ ولماذا وضعتم حديث الثقلين المشهور والمتواتر وبقية الأحاديث الصحيحة الأخرى وراء ظهوركم؟

وعليه يجب على كلّ إنسان يحرص على البقاء على الجادة الصحيحة ونيل الفلاح في الدارين أخذ العقائد والمعارف من القرآن الكريم وعدوله والقرآن الناطق، وهم الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين والتمسك بالحقائق التي جاءوا بها؛ لأنّ الأخذ بالقياس والرأي لا يكشف الحقائق فقط، وإنّما يهدي الإنسان إلى طريق مسدود وأفكار وعقائد جديدة من الدين، ما نزل الله بها من سلطان، وبالتالي لن يجني منها سوى الضلالة والضياح.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذا الصدد:

مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ضَلَّ، وَتَشَعَّبَتْ عَلَيْهِ  
الْأُمُورُ.<sup>١</sup>

وعلى ضوء هذا الحديث لا يمكن قطعاً معرفة الله تعالى عن طريق الرأي والقياس والإحتمال؛ لأنّ تلك المعرفة تشكل بدورها حلقة فارغة من الدوران في نقطة واحدة، الأمر الذي يؤدّي بالإنسان إلى الدخول في معترك ميدان مظلم

لا يوجد فيه بصيص من النور فيغبط في غياهب الجهل والانحطاط.

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

### رُبَّ مَعْرِفَةٍ أَدَّتْ إِلَى التَّضَلُّلِ.<sup>١</sup>

ولعلّ هناك نوعاً من العلوم والمعارف في بعض المذاهب، ولكن في النهاية هي باعثة على الضلالة والانحراف، إذن فما هي الفائدة منها؟ ومن هنا فإنّ هناك شريحة من المسلمين أصابهم الغرور وامتلكت ناصيتهم النفس الشهوانية، واتّبعوا سلوكاً مخالفاً، ودخلوا في ميدان السفسطة، يعتقدون أنّهم يتصلون بالذات وبالتالي فليس هناك حاجة إلى الدعاء والعبادة والتضرع إلى الذات المقدسة للبارئ عز وجلّ، فهؤلاء قد ضلّوا ضلالاً بعيداً ولم ينالوا من المعرفة قد أنملة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في خصوص هؤلاء:

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ وَلَا مَعْرِفَةً إِلَّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ  
دَلَّتْهُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، إِنَّ الْإِيمَانَ  
بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ.<sup>٢</sup>

وعليه فإنّ ترك العبادة والعمل لن يدلّ على وجود المعرفة قطعاً؛ بل إنّ دليل المعرفة هو العمل والسلوك المطابق للعلوم والعقائد الصحيحة التي تعلمها الإنسان بواسطة الطريق الصحيح.

وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في تلك الثلة التي وصلت إلى المقامات المتعالية، ونوّروا قلوبهم بنور إيمان محمّد وآله عليه السلام، فهؤلاء كلّما وصلوا إلى مراتب ودرجات أعلى يرون أنفسهم جرماً صغيراً أمام عظمة البارئ عز وجلّ وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ويتناهى إليهم أنّهم مقصّرون في أعمالهم

١. شرح غرر الحكم: ٧٥/٤.

٢. بحار الأنوار: ٢٠٧/١.

وأفعالهم وحركاتهم وعليهم العمل لأجل بذل المزيد لإرضاء الله عز وجل وآل الله ﷺ.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

جَعَلَ مَعْرِفَتَهُمْ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا.<sup>١</sup>

حيث إن هؤلاء كلما عرجوا في مقام العرفان تبلورت لديهم رؤية واضحة حول مدى عظمة قدرة البارئ عز وجل ومدى قصورهم وانشدادهم نحو الكمال المنشود، وبهذه الدلالات نفهم عظمة ودراية هؤلاء، وأما القسم المقابل لهم وهم أصحاب الادعاء بالوصل بالذات، فإن من الأفضل لهم معرفة أنفسهم وعدم الإنجرار وراء حالات الغرور والتعجب والسعي لرفع مستواهم العلمي ليتطابق مع المنهج الصحيح من دون لبس أو تورية أو التواء.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

سُدَّ سَبِيلَ الْعُجْبِ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ.<sup>٢</sup>

إن المثير للعجب والاستغراب هو جهل الإنسان لروحه ونفسه، والأنكأ منه عدم إطلاعه ومعرفته على جسمه ووظائف أعضائه من قبيل الدماغ والعقل والدم، فكيف لمثل هذا الشخص الولوج إلى العلوم والمعارف الإلهية ونيلها ومعرفة الذات المقدسة لله تبارك وتعالى، يقول مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ، كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ؟<sup>٣</sup>

وإن هؤلاء القوم الذين تصدوا لهداية المجتمع وقيادته لم يفرقوا بين الألف والعصا فاختلط عليهم الحابل بالنابل، حيث وضعوا الغرور والتكبر والعجب

١. بحار الأنوار: ١٤٢/٧٨، عن تحف العقول: ٢٧٨.

٢. بحار الأنوار: ١٦٤/٧٨، عن تحف العقول: ٢٨٤.

٣. شرح غرر الحكم: ٣٤١/٤.

مع معرفة النفس وبنائها في سلة واحدة، فكيف يتسنى لهم تبوؤ تلك المكانة التي وصلوا إليها!  
عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَصَدَّى لِإِصْلَاحِ النَّاسِ وَنَفْسُهُ أَشَدُّ شَيْءٍ فِسَاداً.<sup>١</sup>

وأما القرآن الكريم فيصريح حول حقيقة هؤلاء بالقول:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾.<sup>٢</sup>

إذن من الأفضل لهؤلاء معالجة أخطائهم بالخطوات الصحيحة، وأولها عدم التحكم بمصائر الآخرين وكأنهم أحرص الناس عليهم والكف عن ذلك والعمل على بناء أنفسهم البناء الصحيح والواقعي، يقول البارئ عز وجل في محكم كتابه العزيز:

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصْرِحُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.<sup>٣</sup>

وقال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَنْ لَا تَعْدِرُونَ بِجَهَالَتِهِ.<sup>٤</sup>

### معرفة المتظاهرين بالعرفان

من الشروط المهمة والضرورية لأجل كسب العلوم والمعارف والوصول إلى قمة المعرفة هي الإطلاع على حال الأشخاص الذين لم تترسخ عندهم الأسس العلمية بصورتها الصحيحة، ولم تتفاعل روحهم مع واقعه معصبه عيونهم عن رؤية الحق وهم يحسبون أنهم من بيدهم ناصية الأمة وهدايتها ورشدها.

١. شرح غرر الحكم: ٣٤٠/٤.

٢. البقرة: ٤٤.

٣. المائدة: ١٠٥.

٤. بحار الأنوار: ١٠٠/٢.

فكيف يمكن لإنسان قد وصل إلى أعلى درجات العلوم والمعرفة في الوقت الذي يشكك بضلالة وزيف أعداء الدين؟! فمن هنا لابد للإنسان الذي يطلب المقامات المتعالية للعلوم ويريد قطفها معرفة هؤلاء المدعين العلم والمعرفة كذباً وبهتاناً حتى لا تنطلي عليه خدعهم وأساليبهم الملتوية .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.<sup>١</sup>

فاعمل بما عُلِّمْتَ فالعلماء إن لم يعملوا شجراً بلا أثمار  
والعلم مهما صادف التقوى يكن كالريح إذا مرَّت على الأزهار

إن الكثير من الناس الذين يطلبون العرفان والمعرفة يكتفون بالعقائد والرؤى العرفانية ولا يبحرون أبعد من ذلك ويضنون أنهم وبعد أن ملئت عقولهم وأذهانهم بالمسائل الروحية يسировون في عالم الملكوت، في الوقت الذي نرى فيه أن مكانة المعرفة ليس في الذهن والرؤى، فإذا لم تتوقد وتتوهج الأفكار العرفانية من القلب والباطن فإنها لم تأت على صاحبها إلا بالغرور والخسران .

إن باطن مثل هؤلاء يكون أكثر سواداً من ظلمة الليل الحالك؛ لأن قلوبهم خالية من نور المعرفة والهداية ولم يدخل النور إلى باطنهم .

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أفهم  
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم



## معرفة العارفين

من الطبيعي أن الشخص الذي يستفيد من العرفان والمعارف الإلهية هو ذلك الذي يدرك ويفهم المسائل العرفانية جيداً، وتوجد لديه نوع من الحيوية والتحول والتغير ويضيء باطنه بنور الإيمان واليقين الحقيقي، ويكون مصداقاً جلياً لحديث الإمام الصادق (عليه السلام) حين قال:

إِذَا تَجَلَّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ، وَإِذَا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ اسْتَأْنَسَ ظِلَالُ الْمَحْبُوبِ وَآثَرَ الْمَحْبُوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ.<sup>١</sup>

وعلى أساس ذلك فإن الإكتفاء بالأفكار والرؤى العرفانية وملء الذهن بالمسائل الروحية لن يجدي نفعاً، ويشكل بدوره حلقة مفرغة من الدوران في نقطة واحدة؛ باعتبار الرؤية التي ابنت عليها ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد على وجوب وضع العلوم والمعارف التي أساسها القرآن الكريم والسنة في القلب، وليس مكانها الذهن والفكر والرؤى.

ومن البديهي أن العلوم التي يحتضنها القلب - وليس الذهن واللسان - لها وقع في النفس، وتحدث تحولاً مهماً وأساسياً في روحية وسلوك الفرد، وتكون العامل الأبرز في الاتجاه الصحيح وخلق مناخ فكري إيجابي فعال. ومن الظواهر والعلامات الدالة على المعرفة الصحيحة هو تهذيب النفس وفسخ العلقه مع الأهواء النفسية والشهوات الدنيوية، حيث إن الإنسان الذي يكتسب المعارف والعلوم الصحيحة ويتعرف على حكمة وعلوم أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين تراه يبتعد كل البعد عن هذه الدنيا الزائلة والميول النفسية وترسيخ إرادته صوب عالم المعنى.

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال:

١. بحار الأنوار: ٢٣/٧٠، عن مصباح الشريعة: ٢.

مَنْ صَحَّتْ مَعْرِفَتُهُ انْصَرَفَتْ عَنِ الْعَالَمِ الْفَانِي نَفْسُهُ وَهَمَّتُهُ.<sup>١</sup>

ومن هنا فإنَّ الأشخاص الذين تكون همّتهم وسعيهم في الحياة تنصب في جمع الأموال، والتي عادة ما تكون عليهم وبالأخص، كيف يمكن لهم أن يتمتعوا وينالوا العلوم والمعارف الصحيحة؟!!

وأما الشخص الذي تستقطب روحه وقلبه أمواج أنوار العلوم، كيف يمكنه أن يغرق في عالم الشهوات والإغراءات النفسية، وهل من المعقول أن يجعل إرادته وهَمَّتُهُ في خدمة أهوائه النفسية؟!!

إذن فإنَّ هناك فئة تفقد إرادتها وقدرتها وسيطرتها على النفس، فتشور عندهم الشهوات الماديّة وتستفحل، فيصبحون عرضة للانغماس في الشهوات، ألم يقل الإمام السجاد عليه السلام:

... إِنَّمَا أَهْلُ الدُّنْيَا يَعْشِقُونَ الْأَمْوَالَ.<sup>٢</sup>

فكيف يتنسّى للإنسان أن يتنوّر قلبه بنور أهل البيت عليه السلام وعلومهم الحقّة والتي ترفعه إلى دور المتحكم في عملية السيطرة على الشهوات أن يهيم قلبه بحبّ المال والشهوات والرئاسة؟

### صفات العارفين

من النتائج الحتمية التي يمكن الإطمئنان إليها هي أنَّ الإنسان الذي تنوّر قلبه بنور المعرفة والعلم، فإنَّ فكره وعقيدته ترتقي صوب التكامل والهداية نحو المحبوب الحقيقي وتكون توجهاته كلّها لله الواحد الأحد، وعليه فإنّه يرى نفسه في محضره وساحاته القدسيّة دوماً منشغلاً بالإرتباط معه على الرغم من تواجده بين الناس والعيش في أوساطهم.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام:

١. شرح غرر الحكم: ٤٥٣/٥.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٤/٩٢، وج ٢٣٠/٧١.

### الْعَارِفُ شَخْصُهُ مَعَ الْخَلْقِ وَقَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ.<sup>١</sup>

فهنا لابد للإنسان الالتفات إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي البون والفرق الشاسع الذي نجده بين العرفان الذي يعرفه أهل البيت عليه السلام في هذا الحديث وسائر الأحاديث الأخرى، والعرفان الظاهري والمزيف للأشخاص الذين يريدون من خلاله جلب أنظار الناس إليهم والتلاعب بمقدراتهم ومصيرهم. فإن أصحاب العرفان في نظرة مذهب أهل البيت عليه السلام هم ليس فقط من سخروا وجودهم كاملاً لله عز وجل، وإنما جعل البارئ عز وجل أرواحهم وأنفسهم مأنوسة بمعرفته ووجوده.

فنقرأ في المناجاة الأنجيلية الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام:

### وَأَسْتَنْتُ نَفْسَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ.<sup>٢</sup>

وبالطبع فإن معرفة هؤلاء تزداد رويداً رويداً، وذلك نتيجة أنسهم بتلك العلوم والمعارف، وتظل هذه الزيادة بإطراد مستمر، وعلى أثرها يصلون إلى المقامات والمراتب العالية، ويطلق على مثل هؤلاء العارفين إسم «العلوي» يقول الإمام الصادق عليه السلام:

### الْمُؤْمِنُ عَلَوِيٌّ، لِأَنَّهُ عَلَا فِي الْمَعْرِفَةِ.<sup>٣</sup>

وفي أثناء هذا فإن أنوار تلك العلوم والمعارف الإلهية تسطع في وجودهم وتملئ كل زوايا من زواياه، فتتظفي على نفوسهم وأرواحهم نوعاً من الصفاء والنقاوة والطمأنينة وتشكل نبعاً اعتبارياً مستديماً ينهلون منه وينالون من بحر تلك العلوم الكنوز الثمينة التي لا تقدر بثمن، فتزرع في تلك القلوب حالة لتكثيف العطاء الفكري والعقائدي.

يبقى أن نشير إلى نقطة جوهرية في هذا الموضوع وهي أن هؤلاء الثلة

١. بحار الأنوار: ١٤/٣.

٢. بحار الأنوار: ١٥٦/٩٤.

٣. بحار الأنوار: ١٧١/٦٧، عن علل الشرايع: ١٥٢/٢.

الصالحة ستكون مستودعاً لودائع الباري عز وجل وحافظاً للأمانة الإلهية .  
عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

أَلْغَارِفُ أَمِينٌ وَدَائِعِ اللَّهِ، وَكَثْرُ أَسْرَارِهِ<sup>١</sup>.

وعلى ضوء ما قلناه، فإن تلك العلوم ستكون عوناً في حصولهم على المقام المتعالي للعرفان الحقيقي والسير فيه وعندها كيف يمكنهم إفشاء كل سر من تلك الأسرار التي وصلوا إليهم وكيف تسمح نفوسهم بإعطاء الكنوز التي عثروا عليه إلى كل من هب ودب؟!

### مجالسة أصحاب المعرفة

لا شك ولا ريب فإن الإطلاع والإلمام بالعلوم والمعارف ومعرفة العقائد الصحيحة التي مصدرها أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ومجالسة الأشخاص الذين قضوا رداً طويلاً من حياتهم في طلب العلوم الدينية له آثار مهمة في حياة الإنسان، ومن هذا المنطلق نجد الأئمة الأطهار عليهم السلام يوصون في أحاديثهم الشريفة دوماً على مجالسة هؤلاء ومزاحمتهم حد الإمكان .  
قال الإمام السجاد عليه السلام :

جَالِسُوا أَهْلَ الدِّينِ وَالْمَعْرِفَةِ<sup>٢</sup>.

ويترتب نتيجة مجالسة أصحاب المعرفة حصول المعرفة الواقعية بالنسبة إلى الحقائق الدينية وامتلاك النظرة العميقة والصائبة للأمور، وتكون أحاديثهم التي تخرج من القلب تدخل إلى القلب من دون استئذان وتؤثر على وجود الإنسان، فتكون حياته مترعة بالصالحات لا يصاحبها كلل ولا ملل، ولا يقصر بها طول الطريق ووعورته وقلة أهله .

لذلك فإن واحدة من الطرق المهمة والمؤثرة في معرفة العلوم هي مجالسة

١. بحار الأنوار: ١٤/٣.

٢. بحار الأنوار: ١٩٦/٧٤.

ومصاحبة العلماء الأعلام وأهل المعرفة، ويمكن من خلال هذه الطريقة تجلّي الروح وصفاء السريرة والإلمام بالعقائد والعلوم التي جاء بها أهل البيت عليهم السلام وبالتالي جذب الأمة صوبهم؛ باعتبار أنّ الهدف المنشود الذي يبتغيه كلّ شيعي واقعي وكلّ واحد من أتباع أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم وكلّ من يتبعهم بصدق وإخلاص هو تبيان معالم علومهم وخزانة معارفهم - وليس التبليغ لنفسه - فإنّ ذلك يستقطب النفوس ويستنهض الهمم، وتقود الناس إلى معين الفطرة الإلهية الطاهرة ونور سراج الإيمان.

إذن يجب على كلّ فرد منّا مصاحبة أهل الدين والمعرفة لكي يطلع بشكل جليّ على العلوم الإلهية التي يحملها الأئمة الأطهار عليهم السلام حيث إنّ مثل أهل الدين مثل المرأة الصافية التي تعكس أوضاح الأنوار الشمسية المشرقة للنبيّ الأكرم عليه السلام وأوصيائه الطاهرين إلى كلّ من متعطش إلى كسب المعنويات.

### حفظ التعادل والتنسيق في الحالات العرفانية

بطبيعة الحال يجب على الذين اتجهوا صوب المسائل العرفانية الحفاظ على التوازن والتنسيق في الحالات العرفانية التي وصلوا إليها، وذلك من أجل النجاة من الحالات الإستثنائية وغير المقبولة.

ولهذا نرى أنّ العظماء يجدون نوعاً من التنسيق والتعادل بين الكراهية والتي هي من الحالات والصفات المذمومة والسلبية التي يجب أن تكون موجودة فيها وبين الحماسة والشوق التي تعتبر من الحالات الإيجابية، والتي أيضاً لا بدّ من توفرها فيها؛ لأنّ من ضروريات التقدم والتطوّر في الأمور المعنوية هي حصول ذلك التعادل والتنسيق.

وكما أنّ إشعال المصباح الكهربائي يحتاج إلى قطبين سالب وموجب معاً، فإنّ إشعال الحالات المعنوية في النفس يحتاج إلى ذينيك القطبين والتنسيق فيما بينهما والاستفادة من كلّ واحد منهما حسب مكانه وموقعيته.

وعلى هذا الأساس فكما أنّ محبة ولاية أهل البيت عليهم السلام التي دخلت في

أعماق قلوبنا والتي ستبقى ترنّ في آذان الزمن حتى قيام الساعة، فإنّ الواجب يقتضي وجود البراءة والنفرة والبغض والعداء لأعدائهم وناكري ولايتهم ومناقبهم وفضائلهم في قلوبنا أيضاً.

وكما أنّ الواجب يحتم علينا النفرة بالنسبة للأشرار والظالمين، فإنّه نفسه يحتم إيجاد حالة الشوق والحنين بالنسبة إلى الأخيار والأبرار، ولهذا السبب نرى أنّ العارفين الحقيقيين يعادلون حالة النفرة والملل الحاصل نتيجة أوضاع المجتمع والعالم بالشوق والنشاط في المسائل المعنوية والتنسيق ما بين الإثنين حتى يكونوا قادرين على استيعاب كلّ شيء من دون حصول حالات الخمول واللامبالاة للأُمور.

ومن هنا فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يصرّح بأنّ الشوق هي حالة الشخص العارف فيقول:

### الشَّوْقُ خُلْصَانُ الْعَارِفِينَ<sup>١</sup>

ومع أنّ هؤلاء قد تصيبهم حالات من الخمول والكسل والإضطرابات الروحية نتيجة اصطدامهم بالمسائل التي توجب النفرة، والتي من شأنها أن تؤلم روحهم اللطيفة، ولكنهم في الوقت ذاته يبعدونها بوسيلة حالة الإشتياق والنشاط، وبهذا الطريق يجدون حالة التنسيق والتوازن والتعادل.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى «همام» في شرحه أوصاف الإنسان المؤمن:

### تَرَاهُ بَعِيداً كَسَلُهُ، دَائِماً نَشَاطُهُ<sup>٢</sup>

وعلى ضوء ذلك فقد تعلّمنا من مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين: يمكن جبران اليأس الحاصل نتيجة كثرة الذنوب والمعاصي من خلال العفو الرحمة الإلهية، فقد جاء في الدعاء الوارد بعد ركعتي الصلاة في يوم الجمعة:

١. شرح غرر الحكم: ١/ ٢١٤.

٢. بحار الأنوار: ٣٦٧/٦٧.

## إِنْ أَقْنَطَتْني ذُنُوبِي نَشْطَنِي عَفْوَكَ.<sup>١</sup>

ومن المؤكّد فإنّ معرفة مسألة بسط النفس وقبضها من المسائل المهمّة جدّاً في الحالات الروحية والعرفانية فلا بدّ من الإهتمام بها والتركيز عليها. إنّ الإنسان ونتيجة المعاصي والذنوب تتسلّط عليه حالة من القبض والغمّ، ومن ثمّ تعثره حالة «البسط» بعد الإيمان بمبدأ العفو والصفح من جانب البارئ عزّ وجلّ؛ لأنّ العفو الإلهي لازمته النشاط والأمل والعمل من جديد في تحصيل الخير والعمل الصالح.

ومن هنا لا بدّ للإنسان من طلب العفو والتوبة من الله تعالى، وذلك بعد كلّ معصية وذنّب اقترفه حتّى لا تختل الموازين بين حالة القبض والبسط، ويكون هناك نوع من التوازن والتنسيق بينهما، حيث إنّ الإيمان بالعفو الإلهي يرفع حالة القبض، وبما أنّه يأتي بالسرور والنشاط فعليه سوف يوجد حالة البسط في النفس. قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

## السُّرُورَ يَبْسُطُ النَّفْسَ، وَيَثِيرُ النَّشَاطَ.<sup>٢</sup>

لذا ينبغي للإنسان العاصي العمل على إيجاد التعادل والتنسيق بين حالة القبض والحزن وبين السرور والنشاط التي تتأتّى نتيجة العفو والتوبة الإلهيّة حتّى لا تحصل عمليّة القنوط وفقدان الأمل في الحياة، ومن ثمّ تكرار المعصية والذنّب.

وعليه فقد اتضحت العلة الأساسيّة من عمليّة حفظ التعادل في الحالات الروحية، إذ إنّ الأشخاص الذين يرغبون في التحليق الروحي لا بدّ لهم من التحليق بجناحين، وإلاّ فإنّ سقوطهم يكون حتميّاً لا محال، إذن يجب الاستفادة من الجناحين والقطبين لإيجاد حالة التعادل والتنسيق بين الحالات المتقابلة في النفس.

١. بحار الأنوار: ٣٧٠/٨٩، عن مصباح المتجّد: ٢٢٣.

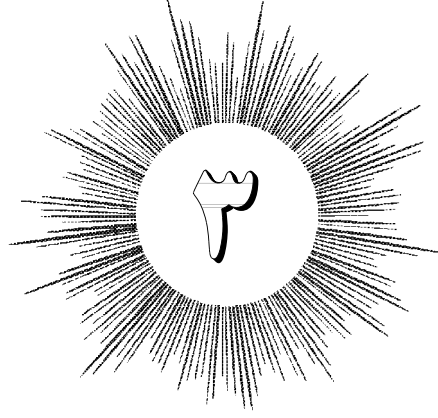
٢. شرح غرر الحكم: ١١٣/٢.

### نتيجة البحث

يجب على كل إنسان أخذ العلوم والمعارف من مذهب أهل البيت عليه السلام وبناء عقائده ومبادئه وأفكاره على أساس تعاليم الوحي واجتناب الرؤى والأوهام والأفكار والمعتقدات التي يطرحها بني جلدته، وهذا هو الطريق الأمثل والصحيح لمعرفة العلوم ودرك العقائد السماوية. ومن هذا المنطلق لابد للإنسان من السعي للرجوع في عقائده الدينية والعرفانية إلى العين السلسيل والمنبع الرقراق والمنهل العذب، وهم أهل البيت عليه السلام والتعلم في مدرستهم دروس الحكمة والإستقامة.

ولابد من اجتناب العارف المتظاهر الذي يدعي الوصول وترك الآداب والرسوم ومعرفة المظاهر والآثار للعارف الحقيقي وصفاته وخصاله، حيث تشع أنوار العلوم والمعرفة من أعماق وجوده. ويجب على الإنسان رعاية التعادل والتنسيق في الحالات الروحية بشكل كامل والإهتمام بحالات القبض والبسط والحزن والنشاط الروحي، كي يتمتع بنوع من الحياة المتعادلة. وينبغي لكل شخص قراءة الرواية الواردة عن أبي بصير والإمعان والدقة بها حتى يتسنى ومن خلال أسرارها جلاء النفس وصلاحها.

هذَّب النفس بالعلم لترقى  
وذر الكلّ فهي للكلّ بيت  
إنّما النفس كالزجاجة والعلم  
سراجٌ وحكمة الله زيت



العبادة والعبودية

من كلام للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

إذا أحبّ الله عبداً، ألهمه حسن العبادة

### ما هي العبادة ؟

ما هي العبادة ؟ وأي قسم من تلك الأعمال التي يمكن أن يطلق عليها مصطلح العبادة ؟ وهذا سؤال مهم يخطر أحياناً في ذهن بعض الأشخاص ، بالطبع فإن الكثيرين يعتقدون أن العبادة هي بمعنى الصلاة والصيام وبقية العبادات التقريبية الأخرى ، ولكن عند مراجعة الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين والاستفادة من إرشاداتهم وتوجيهاتهم التي لا يمكن لإنسان عاقل وصاحب فطرة سليمة الإستغناء عنها سوف نرى أن العبادة لا تنحصر بإطار الصلاة والصوم والحج وفروع الدين الأخرى ، وإنما معناها الحقيقي هو العبودية لله الواحد الأحد ، ولن تتحقق تلك العبودية إلا من خلال الخضوع للأوامر والأحكام الإلهية وتنفيذ ما يريده متاً ، ولا شك فإن ما يبتغيه البارئ عز وجل لا ينحصر في دائرة الصلاة والصوم فقط والعمل على التكثير منها .

حيث قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا الخصوص :

لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي  
أَمْرِ اللَّهِ.<sup>١</sup>

١ . بحار الأنوار : ٣٧٣/٧٨ . عن تحف العقول : ٤٨٦ .

وكما قلنا، فإنَّ العبادة هي الخضوع للإرادة الربانيَّة ومشِيئته، ومنها يصل الإنسان إلى مقام العبوديَّة، وإنَّ الملاك في الوصول إلى ذلك المقام هو قيمة العبادة، ولن تعتبر كثرة الأعمال والعبادة شرطاً مهماً وحتماً لنيل الدرجات المعنوية المتعالية؛ باعتبار أنَّ المناخ والميزان هو القيمة الواقعية لها بعيداً عن شكلها ومدَّتها وكثرتها.

ومن الواضح أنَّ العبادة تكون ذات قيمة كبيرة إذا استطاعت إيجاد التأثير الملموس، وتوجد تحوُّلاً وتغيُّراً في باطن الإنسان وسريـرته، وعليه فإنَّ أهميَّتها مشروطاً بالتحوُّل في نفس الشخص العابد.

ويَتَّضح من خلال هذا أنَّ التوفيقات والنجاحات التي حصل عليها عباد الله المخلصون وأولياؤه المقربون - والذين تمكَّنوا من إيجاد التحوُّل في أنفسهم والاستفادة من قدراتهم المعنوية - سواء في مجال العبودية لله أو في هداية الناس كان ملاكها التأثير الذي تركته قيمة العبادة التي تقربوا بها إلى الله تبارك وتعالى، وليس في ذات كثرتها، ومع أنَّه في الكثير من الموارد يكون تأثير العبادة الكثيرة مرتبطاً بكثرتها، ولكن هذا الموضوع ليس قانوناً وقاعدة كلية. والدليل على هذه الحقيقة الرواية التي نقلها «المفصَّل» والذي يعدُّ من خواصَّ الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَذَكَرْنَا الْأَعْمَالَ، فَقُلْتُ أَنَا مَا أَضَعَفَ عَمَلِي؟! فَقَالَ: مَهْ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ مَعَ التَّقْوَى خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ بِلَا تَقْوَى. قُلْتُ: كَيْفَ يَكُونُ كَثِيرٌ بِلَا تَقْوَى؟ قَالَ: نَعَمْ مِثْلُ الرَّجُلِ يُطْعَمُ طَعَامَهُ، وَيُرْفَقُ جِوَارُهُ وَيَوْطَى رَحْلُهُ، فَإِذَا ارْتَفَعَ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْحَرَامِ دَخَلَ فِيهِ، فَهَذَا الْعَمَلُ بِلَا تَقْوَى، وَيَكُونُ الْآخَرُ لَيْسَ عِنْدَهُ فَإِذَا ارْتَفَعَ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْحَرَامِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ.<sup>١</sup>



## صدق العبادة

وتأكيداً على ما سبق، فإن ملاك أهمية العبادة ليس كثرتها، وإنما الملاك هو قيمتها وتأثيراتها التي تتركها على واقع وحقيقة وحال الفرد وإن كانت تلك العبادة لا يعتدّ بها وكانت قليلة من وجهة نظر الإنسان.

ولا يغامر أحداً الشكّ في أنّ العبادة إذا كانت صادقة تساهم في تحقيق الكثير من الآثار والبركات والثمار والنتائج الطيبة، ولهذا يجب على كل فرد منّا أن يخطو خطوات صادقة في جميع الشؤون الحياتية خاصّة في القضايا المعنوية والتأهيل لمجaraة الأغراض والأهداف الشخصية والحقد والغش والعمل على تزكية العمل والفعل ونقائه وخلوصه.

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا: إنّ طهارة القلب من كل غلّ وغش وزرع الصداقة والخلوص هي السمة التي تميّز الشيعة، ومن هنا يقول مولانا الإمام الحسين (عليه السلام):

إِنَّ شِيعَتَنَا مَنْ سَلِمَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كُلِّ غَشٍّ وَدَغَلٍ<sup>١</sup>

ولا شكّ فإنّ وجود حالات الغش والدغل في نيّة الإنسان يؤدّي في كلّ الأحوال إلى الإستهانة بعمله ويعدّ أمراً لا قيمة له، وعليه يجب أن يكون عمل الإنسان في دائرة الصدق والإخلاص وإبعاد كلّ الحالات غير الصحية من القلب، مثل الغش والغل والحقد والشرافة، وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال الإرادة القوية والتصميم الجدي والنية الصادقة.

إنّ واحدة من الطرق والأساليب التي تطهر القلب من تلك الأمور هي الصلاة على محمّد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين<sup>٢</sup> وإنّ واحدة من العلل في

١. بحار الأنوار: ١٥٦/٦٨، عن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ١٢٣.

٢. للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع، راجع الرواية المفصلة التي نقلها المرحوم العلامة المجلسي في كتابه القيم «بحار

الأنوار: ١٦/٩٤».

ذكر هذا الورد قبل الأدعية هو إبعاد القلب من تلك الأمراض النفسية وإيجاد الصدق والخلوص فيه.

ومن الواضح والجلي أنّ العمل والسعي إذا لم يكن على أساس قاعدة الصدق والخلوص، فإنّه لن يكون خالياً من أيّ قيمة تذكر فقط، وإنّما يكون معصية وإنّما كبيرين.

بينما نجد أنّ العبادة الصادقة هي الطريق الأقرب والمؤثر للوصول إلى الله تبارك وتعالى؛ باعتبار أنّ السعي في القيام بالعبادة إذا كان صادقاً فإنّه يقطع السيئات والأمراض النفسية من النفس قلعةً نهائياً ويوطئها لتكون القاعدة الرصينة التي ينطلق بواسطتها للوصول إلى القرب الإلهي.

وقد اتّضح أنّ العبادة والوصول إلى المقام السامي للعبودية هو الصراط المستقيم، ولهذا فإنّ السير على ذلك الصراط لا يتحقّق إلاّ بوسيلة العبادة الخالصة.

قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

وعليه فإنّ الإنسان يستطيع بواسطة العبادة والعبودية لله تعالى السير على الصراط المستقيم والنجاة من شباك الشياطين.

ولا شك أنّ السير على هذا الطريق والإستمرار فيه هو دليل ناصع على سعادة الإنسان ونجاته وفوزه، وهذه حقيقة قد بيّنها الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام حين قال:

دَوَامُ الْعِبَادَةِ بُرْهَانُ الظَّفَرِ بِالسَّعَادَةِ<sup>٢</sup>.

لأنّ الإنسان يكون في جادة أولياء الله تعالى وينال السعادة عندما يرتفع مستوى عبادته ويحافظ عليها من كلّ الشوائب والرواسب التي يمكن أن تتعلّق

١. الزخرف: ٦٤.

٢. شرح غرر الحكم: ٢٢/٤.



بها ويضحى بواسطتها من خلص عباده، وبالتالي يحصل على الأوصاف والخصوصيات التي تمتع بها أولياؤه المقربون.  
قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَحَقْنَا عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ أَبَوَى وَلَدَتِهِمْ، فَإِنَّا نَنْقُذُهُمْ إِنْ أَطَاعُونَا مِنْ النَّارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَنُلْحِقُهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ بِخِيَارِ الْأَخْزَارِ.<sup>١</sup>

إذن يتمكن الإنسان من الوصول إلى مقام العبودية ودرجة الأخيار، وذلك من خلال شرطين أساسيين، وهما اتباع أقوال وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام وتطبيقها بحذافيرها والعبادة الصادقة لله تبارك وتعالى، وفي هذه الصورة سوف تتحقق الولاية الرحمانية وتبتعد الشياطين وتفقد سيطرتها عليه.  
وهذه حقيقة قرآنية، إذ يقول الباري عز وجل في كتابه المنزل:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.<sup>٢</sup>

لقد سعى الكثير من علمائنا الأعلام بعزائم قاطعة، وهمم عالية، ونفوس قوية لأجل الوصول إلى مقام القرب الإلهي ومقام العبودية.  
ولا شك أن الجهود التي بذلها المرحوم الكرباسي في نيل المقامات المعنوية الكبيرة هي واحدة من النماذج في هذا الطريق، وكان هذا العالم الجليل واحداً من العلماء الشيعة الكبار وهو تلميذ السيد بحر العلوم وقد كتب عنه ما يلي:

كان الشيخ الكرباسي أعلى الله مقامه يُحيي كل ليالي السنة بالدعاء والعبادة، وذلك طلباً لدرك ليلة القدر، وكان يحضر إلى مسجد حكيم في الليالي المباركة، وخاصّة ليالي الجمعة، وكان يجمع الناس في تلك الليالي ويعظهم بالمواعظ

١. بحار الأنوار: ٢٥٩/٢٣، عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٣٣.

٢. الإسراء: ٦٥.

الشافعية، ثم يشير ضمن مواعظه إلى مصائب الأئمة الأطهار عليهم السلام، ثم ينهكم فيما بعد بالدعاء والإلحاح على الله تعالى لقضاء الحاجات، وكان يأتي أيضاً إلى المسجد في غروب يوم الجمعة لقراءة دعاء السمات. ونظراً لكثرة ترغيبه وحثه الناس على الدعاء، فقد كانوا يحضرون في المسجد رجالاً ونساءً، ليقرئوا معه دعاء السمات، والواقع أن اهتمامه بالدعاء عصي على الوصف. لقد أطبقت شهرة استجابة دعاء الكرباسي الآفاق، وبلغت كل الأسماع، وجرّت على كل الألسنة، ولم يحدث أن دعا المرحوم ربّه وطلب منه شيئاً فلم يستجب دعاءه، وكان الجميع يعتقد أنه لو دعا الشيخ الكرباسي لأحد من أجل أية حاجة فستتقضى حاجته فوراً ويصل إلى مبتغاه، وإذا دعا على أحدٍ فسيتحقق ذلك بالتأكيد.

وقد دعا يوماً على حاكم إصفهان، حيث لم يحترمه فما كان إلا أيام قلائل حتّى تمّ عزله من منصبه. وأمّا زهده وتقواه فحدّث ولا حرج، وخير مثال على ذلك هو إصرار المرحوم الميرزا القمي على طبع رسالة عملية له، ولكنّه رفض في البداية قائلاً: إنّ بدني لا يتحمّل نار جهنّم، وبعد الإصرار الشديد من الميرزا وسائر العلماء أذعن لطلبهم وكتب رسالته.

وكان إذا أراد منه فقيرٌ شيئاً يطلب منه شاهداً ويقوم بتحليف ذلك الشاهد والفقير على عدم الإسراف في المال المعطى، ومن ثمّ يدفع لذلك الفقير قوت شهرٍ كاملٍ.

يقال: إنّّه جاء إليه أحد الأشخاص ليشهد في حادثة ما، فسأله الشيخ الكرباسي عن عمله؟ فقال له الرجل: أنا غسّال، فسأله عن شروط الغسل فأجابه الرجل، ثمّ أردف قائلاً: عندما يأتي بالميت أقول شيئاً في أذنه، فقال له الشيخ: وماذا تقول؟ قال: أقول له: هنيئاً لك مت ولم تذهب إلى الشيخ الكرباسي لأداء الشهادة.<sup>١</sup>



فهاهم علماؤنا الأبرار قد وهبهم الله تعالى علماً نافعاً، وعقلاً راحجاً، وثباتاً على الحق، ورسوخاً في الإيمان.

### أقسام العبادة

يجب على كل إنسان البحث لمعرفة أنواع العبادات وأقسامها وعدم الاكتفاء بقسم منها وترك الباقي، فهذا الأمر يشبه إلى حد ما الرزق الذي يحصل عليه الإنسان والأكل الذي يأكله، فلا بد من تنوعه حتى لا يحصل الملل والكسل، وكذلك لا بد من إكماله على أفضل وجه، فإذا كان خالياً من الملح أو من دون إضافة المواد المكملة له فلا فائدة ترجى منه، وهذا نفسه ينطبق على الأعمال المعنوية، فإذا قام الشخص بنوع واحد من العبادة فإن باطنه لا يقتنع به، وإن أكثر منها ويكون مثلها مثل مائدة الطعام التي ملئت باللحم من دون تهيئة الخبز والملح، فكيف يمكن لأحد من تناوله؟

وكما أن الصلاة والصيام عبادة فكذلك التفكير والتأمل في خلق الله عبادة، وكما أن التفكير عبادة فإن خدمة الناس وقضاء حوائجهم هي أيضاً نوع من العبادة، وكما أن خدمة الناس عبادة فإن انتظار الفرج والدعاء لمولانا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعرفة الوظائف التي نسحن ملزومون بأدائها في زمن الغيبة هو نوع من العبادة، وكما أن الانتظار عبادة فإن معرفة العلوم والمعارف وعقائد مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم هي أيضاً عبادة، ومن هنا لا بد للإنسان من القيام بكل تلك العبادات لكي يصل إلى حالة التكامل.

## خدمة المؤمنين

واحدة من العبادات التي تدل على نبل وعظمة الروح الأدمية هي العمل على خدمة الإخوة المؤمنين ومساعدتهم في رفع المشاكل والمصائب التي يقعون فيها، ولعل هذا قانون أخلاقي واجتماعي ولد فطرياً مع الإنسان قبل أن يُنظم بالقوانين الدستورية.

ولا شك فإذا كان الأخذ بأيدي الإخوة المؤمنين ومشاركتهم في محنتهم وإنقاذهم مما هم عليه في سبيل الله عز وجل خالصاً له، فهي تعتبر في الواقع عبادة في غاية الأهمية، ويترتب عليها مقدار كبير من الأجر والثواب، وقد أكدت عليها الأحاديث الكثيرة والمتواترة عن أهل البيت صلوات الله عليهم واعتبروها من أشرف وأفضل أنواع العبادات.

فقال الإمام السجاد عليه السلام في هذا الصدد:

إِنَّ أَشْرَفَ الْعِبَادَةِ خِدْمَتُكَ إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ.<sup>١</sup>

وبطبيعة الحال فإن عدم الإكتراث لهذه المسألة الأساسية له تأثيراته الحياتية الوضعية في مسألة التعاطف والتعايش الإنساني وله تبعات وأضرار جسيمة. يقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام في حديث له يعدّ فيها المعاصي الكبيرة:

... تَرَكُ مُعَاوَنَةَ الْمُظْلُومِينَ.<sup>٢</sup>

ويجب في هذا المضممار الالتفات إلى نقطة وهي: أن مد يد العون والمساعدة لا يقتصر على المساعدة والعون المادي؛ بل يتعداها ليشمل جانب الهداية والإرشاد، وذلك بمقدار الإستطاعة والقدرة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٣١٨/٧٥، عن كتاب تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤٠.

٢. بحار الأنوار: ١٠/٧٩، عن كتاب الخصال: ١٥٥/٢.

أَعِنْ أَخَاكَ عَلَى هِدَايَتِهِ.<sup>١</sup>

ويَتَّضَح من خلال هذا البيان أنَّ واحدة من العبادات التي تَتَمَيَّزُ بخصلة الشرافة والرفعة والعظمة هي تقديم الخدمة والعون لإخوة الإيمان والأخذ بيديهم في الجانب المعنوي.

ويمكن للإنسان عن طريق تلك العبادة الوصول إلى أعلى المراتب والكمالات المعنوية، ويدر عليه العطف والحب الإلهي وعناية وأطاف أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

إِنَّ أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَعَانَ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ مِنَ الْفَقْرِ فِي دُنْيَاهُ وَمَعَاشِهِ، وَمَنْ أَعَانَ وَنَفَعَ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.<sup>٢</sup>

## العبادات الروحية

القسم الآخر من العبادات هي تلك العبادات التي ترتبط بالجانب الروحي، حيث يصل بها الإنسان إلى القرب الإلهي، وذلك نتيجة الفكر الثاقب والعقيدة الصحيحة والقلب السليم.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في آخر خطبة له مبيِّناً عجائب الطاوس وخلقته العظيمة:

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.<sup>٣</sup>

ولا شك فإنَّ كلام أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي (عليه السلام) دليلٌ واضحٌ على أنَّ العبادات الروحية من قبيل التفكير في آيات الله ومظاهر التجلي الإلهية هي

١. شرح غرر الحكم: ١٧٨/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٦١/٧٨، عن تحف العقول: ٣٥٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٦٥.

وسيلة للوصول إلى المقصد النهائي والجلوس في مقعد الأبرار والأخيار، ولهذا السبب نرى في الكثير من الروايات الواردة قد تم التعبير عن العبادة بالتفكير والتأمل في أمر الله سبحانه وتعالى وآياته في الآفاق.

فعن مولانا الإمام ثامن الحجج علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه أنه قال:

لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.<sup>١</sup>

ولهذا الأمر نرى أن أبا ذر الغفاري رضوان الله عليه كان قد قضى أكثر عبادته بالتفكير والتأمل في خلق الله تعالى، وقد استطاع وعلى الرغم من عمره أقصر من سلمان المحمدي رضوان الله عليه وقضى قسماً منه في الجاهلية، ولكنه وصل إلى مقامه وأصبح من أقرانه.

إذن فإن العبادة والعبودية لا تنحصر في نطاق العبادة الجسدية، وإنما يدخل فيها العبادة الروحية، وهي روح العبادة ومغزاها، مثلها مثل التوجه والخلوص و... في الصلاة وسائر الأعمال العبادية الأخرى والتي تعدّ روح الأعمال الجسدية لتلك العبادات.

ومن المسائل المهمة التي لا بد للإنسان من التركيز عليها هي وجوب مراعاته للجوانب الروحية في جميع العبادات، وعدم التغافل عنها ووضعها جانباً، حيث نرى وللأسف الشديد أن هناك أشخاصاً لم يتركوا الجانب الروحي للعبادة فقط، وإنما عمدوا على عدم الإعتناء حتى بالأعمال البدنية الصحيحة لها وأدائها بالشكل الكامل والمطلوب أيضاً، وبالنتيجة الإستهفاف بها. ينقل أحد رواة الحديث:

سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ الصَّادِقَ (ع) وَأَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ عَنِ الْخُورِ الْعَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَخْلَقَ مِنْ خَلْقِ الدُّنْيَا أَوْ (خَلَقَ مِنْ) خَلْقِ الْجَنَّةِ؟

فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ وَذَاكَ؟ عَلَيْكَ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ آخِرَ مَا أَوْصَى بِهِ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَثَّ عَلَيْهِ، الصَّلَاةُ. إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْتَخِفَّ أَحَدُكُمْ  
بِصَلَاتِهِ فَلَا هُوَ إِذَا كَانَ شَابًّا أَتَمَّهَا، وَلَا هُوَ إِذَا كَانَ شَيْخًا قَوِيَ  
عَلَيْهَا، وَمَا أَشَدَّ مِنْ سِرْقَةِ الصَّلَاةِ...<sup>١</sup>

وعليه يجب علينا مراعاة الأركان الظاهرية للعبادة وأعمالها البدنية، وكذلك  
باطنها على حدٍّ سواء؛ لأنَّ المهم والمطلوب هو روح العبادة.  
قال رسول الله ﷺ:

رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامٍ لَيْلَةٍ.<sup>٢</sup>

ويمكن إستنتاج النتيجة التالية من هذا الحديث وهي أنَّ الأصل في العبادة هو  
التفكير والتأمل في آيات الله جلَّ وعلا ويعتبر القيام بها بمنزلة ومثابة روح وقلب  
العبادات.

فعلى سبيل المثال يمكن للإنسان ومن خلال التدبُّر والتفكير في سورة الحمد معرفة  
أساس وولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة من أعدائه بشكل واضح والإتيان  
بأصوله العقائدية في كلِّ يوم عشرة مرَّات على أقلِّ التقادير، وذلك من أعماق  
وجوده ويمررها على صفحة ذهنه.

وهذه هي نتيجة العبادة التي تتزامن وتقترب مع التفكير والتدبُّر؛ باعتبار أنَّ  
التفكير هو مظهر وعلامة لأهمية العبادة وقيمتها. ولهذا يقول الرسول  
الأكرم ﷺ:

لَا عِبَادَةَ كَالْتَفَكُّرِ.<sup>٣</sup>

١. بحار الأنوار: ٢٣٦/٨٤، عن قرب الأسناد: ٢٧.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٠/٨٤، عن ثواب الأعمال: ٤٠.

٣. بحار الأنوار: ٧٧/٧٧، عن المحاسن: ١٦.

## الكراهية في العبادة

من الطبيعي أن الإرشادات والتعاليم الواردة عن أهل بيت الطهارة والعصمة صلوات الله عليهم أجمعين حول كيفية العبادة وتحديد المعايير والضوابط الخاصة بها وحثهم على التوجه إلى الجوانب القلبية والباطنية لها كلّها تنصب في إطار الاستفادة الأكمل للناس من عبادتهم والآثار المترتبة عليها، والتي لا يمكن دركها إلا من خلال الوجدان، إذ إنّها تحدث تحولات وتغيّرات روحية ومعنوية تتأقلم مع النفس والعقل.

وأما إذا كانت خلاف ذلك، فإنّها تتحوّل إلى أمر عبثي لا جدوى منه ولا يرتجى منها شيء، وكذلك فإنّها إذا تقاطعت مع تعاليم أهل البيت عليه السلام وابتعدت عن منهجهم وسلوكهم فلن يكون لها سوى التعب والنصب والعياء والغرور، ولا بدّ للإنسان تجنّب كلّ من يسلك ذلك ويشذ عنها.

ومن هذا المنطلق نرى أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول :

إِيَّاكُمْ وَالْجُهَالِ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْفُجَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُمْ فِتْنَةٌ كُلٌّ مَفْتُونٌ.<sup>١</sup>

وقد تكون أحياناً عبادة هؤلاء في الأصل غير صحيحة وأقنعوا أنفسهم بالحجج الواهية بأنّها هي الصحيحة، وأحياناً أخرى نرى أن العبادة التي يأتون بها قد وردت في الشارع المقدس، ولكن عند القيام بها وبدل الإتيان بها عن عبودية وطيب خاطر ورضا قلب، فإنّهم يقومون بالإتيان بها بإكراه وتأمّل، ومع هذا فإنّهم يعتقدون بأنهم وصلوا إلى الكمال المنشود والمستوى المتعالي.

ولا شكّ فإنّ مثل هذه العبادة تصل بالإنسان إلى حالة الإشباع والتنفّر بالإضافة إلى أنّها تسبّب في بعض الأحيان إلى إيجاد سوء ظنّ بالآخرين، في الوقت الذي يجب أن تكون العبادة باعثة على توطيد حالة الإقبال والتوجه



والنشاط والحيوية في القلب، وليس حالة الإكراه والنفرة فإن أصبح المعيار والضابطة فيها هذا الأمر فسوف تعود على الإنسان بآثار سلبية وعكسية. وفي هذا الصدد ينقل عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قوله :

لَا تُكْرِهُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ الْعِبَادَةَ.<sup>١</sup>

لذا ينبغي لكل واحد منا أن يقوم بالعبادة بشوق ورغبة حتى تظهر قيمتها الواقعية في وجودنا.

وهنا قد يطرح سؤال مفاده: على هذا الأساس فلا بد للكثير من العابدين ترك عبادتهم ويريح النفس منها؛ باعتبار عدم حصول الإقبال والتوجه الخاصين عند العبادة بالإضافة إلى الملل والإكراه وحصول نوع من الجبر؟ فنقول في الإجابة عليه: إن التفكير بهذا النمط ينم عن عدم المعرفة الصحيحة والواعية بمذهب أهل البيت عليه السلام حيث إن الإنسان يستطيع ومن خلال الإمعان والدقة في أحاديثهم الملكوتية التوصل إلى أن كل صفة وحالة سلبية وضعها الخالق المصور سبحانه وتعالى وهياً أرضيتها في وجود الإنسان من قبيل الحسد والبغض والإكراه وأمثالها لا بد من الاستفادة منها في قبال أعداء الله عز وجل، ومن هنا ينبغي للإنسان عدم خداع الناس - إذ تعتبر من الصفات المذمومة - بل عليه خداع نفسه ورفع حالة الإكراه والجبر، وذلك من خلال تلقينها وجعلها تميل إلى القيام بالعبادة بكل رغبة وشوق.

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام :

خَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَارْفِقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا.<sup>٢</sup>

وعليه فإن الإنسان إذا شعر بوجود حالة الإكراه في حالة قيامه بالعبادة ومالت نفسه إلى تركها، فعليه سريعاً تدارك الأمر والعمل على إبعاد وإزالة تلك

١. بحار الأنوار: ٢١٣/٧١، عن أصول الكافي: ٨٦/٢.

٢. بحار الأنوار: ٥٠٩/٣٣، عن نهج البلاغة: الرسالة رقم ٦٩.

الحالة من النفس بأي شكل من الأشكال ولا يجعلها تعصف بها، وبالتالي فقدانه لذة الوصال مع المحبوب الحقيقي؛ لأنَّ العبادة يجب أن تؤدَّى بحالة من النشاط والشوق والعشق وليس بملل وسآمة وإكراه.

عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال :

لَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ.<sup>١</sup>

### النشاط في العبادة

إذا أراد الواحد منَّا درك جاذبيَّة العبادة فما عليه سوى إبعاد عملية الإكراه من قلبه والقيام بها بكلِّ رغبة واشتياق حتَّى يتمكَّن من كسب الآثار القيِّمة والعظيمة المترتبة عليها وإخراج نفسه من دائرة الشيطان الرجيم.

قال رسول الله ﷺ :

أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَغَانَقَهَا وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ، وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَتَفَرَّغَ لَهَا، فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا، عَلَى عُسْرِ أَمْ عَلَى يُسْرٍ.<sup>٢</sup>

وعلى أساس ذلك، فمن شروط العبادة مضافاً إلى خلوصها إبعاد الشيطان والنفس الإنسانيَّة منها وإلا تضحى رياء وغرور وأمثالهما.

ويجب على الإنسان أن يبني نفسه بشكل تكون النفس منقاداً للعقل، وبذلك تكون حينئذٍ نفسه راغبة بالعبادة بإخلاص وقربة مطلقة للبارئ عزَّ وجلَّ، وهذا يحدث نتيجة تلك التبعية، حيث من خلالها تنهذب النفس فتكون كالعقل ميالة كل الميل للقيام بالعبادة الخالصة.

وعليه فإنَّ عمليَّة التهذيب والإستعداد الذاتي للنفس من الشروط المهمة في

١. بحار الأنوار: ٢١٤/٧١، عن أصول الكافي: ٨٧/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٥٣/٧٠، عن أصول الكافي: ٨٣/٢.

العبادة وهي تلعب دوراً لا يستهان به؛ لأنَّ الإنسان إذا أراد القيام بالعبادة نتيجة الأوامر الصادرة من العقل تكون النفس هي المانع والعقبة، وعامل ردع ومقاومة، فتعمل من داخل وجوده وبكلِّ الأشكال على منعه من القيام بها وتقنَّعه على أنَّها أمر ناتج من فراغ أو وصوله إلى حالات روحية سلبية تحدث نتيجة المقاومة التي يبديها لموانع أخرى، فتكون آفة وبلاءً عليه من قبيل مرض الوسواس، فتجعله يفقد اللذات الروحية الحاصلة نتيجة العبادة، وبذلك يصبح قلبه مرتعاً خصباً لكلِّ الأمراض النفسية والروحية.

إنَّ العبادة هي الصراط المستقيم لله تبارك وتعالى، وهذه حقيقة أشار إليها القرآن الكريم، وبها يصل الإنسان إلى مقام العبودية، ومن يصل إلى ذلك المقام فإنَّه يتحصَّن من وساوس الشيطان، ويتخلَّص من حكومته وسلطنته، بينما نرى أنَّ الشخص الذي يقوم بالعبادة المتزامنة بعداء النفس لن يكون بمنأى عن تلك الوسواس فقط؛ وإنَّما جعل نفسه هي الحاكم المطلق، فتصول وتجول وبذلك تكون مهلكة أكثر من الشيطان والعامل الذي يعبد الطريق لنفوذ الشيطان.

ومن لوازم تلك العبادة إبتعاد النفس وتضاربها مع العقل وعدم مطاوعتها له، وكذلك القيام بها من دون أيِّ عملية لتهديب النفس وبنائها، وهذه هي ثمرات العبادة التي تؤسِّس لوجود الشيطان وهيمته.

ومن هنا فإنَّ القيام بأيِّ عبادة يتطلب الإستعداد لتهيئة المقدمات والأجواء اللازمة والضرورية لها وتأديتها باستحقاق وجدارة، إذ أنَّ الشخص الذي يقوم بالعبادات الصعبة وحسب الإصطلاح المعروف الرياضات الشرعية، ولكنَّه ليس له الإستعداد النفسي اللازم فإنَّه يكون غير مؤهل للقيام بمثل تلك العبادات، وعلى هذا الأساس فمن يرغب الوصول إلى قمة العبادة والرياضات الروحية المتعالية عليه العمل لتوفير أرضية محبة العبادات في قلوبهم.

إذن من الشروط الحتمية للقيام بالعبادات الصعبة أو بتعبير البعض القيام

بالرياضات الشرعية هي الإستعداد النفسي وتصوّر استحقاقاتها ونتائجها والآثار التي تترتب عليها.

وكم هو حسن ورائع، بل ولازم أن تتزامن أعمال وأفعال الإنسان وخاصة العبادية منها مع التعرّف والإطلاع الكامل على مذهب أهل البيت عليه السلام والقيام بعبادة البارئ عزّ وجلّ من خلال منهجهم وسيرتهم، وبالتالي البقاء في امان من السقوط والإنزلاق والانحراف والتعصّب الأعمى.

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| آل النبي هم مصابيح الهدى   | تُجلى بنور هداهم الظلمات     |
| جبهااتهم بالنور تشرق كلّما | قد أظلمت من غيرهم جبها       |
| أجرُ الرسالة ودّهم نزلت له | في الذكر من ربّ السما آيات   |
| هم عصبه بسوى الصلاة عليهم  | من مسلم لا تُقبل الصلوات     |
| يا آل بيت محمّد؛ بولائكم   | تُحى الذنوب وتُضاعفُ الخيرات |
| وبغير حُبّكم إذا جمع الوري | يوم الجزا لا تُقبل الطاعات   |
| حُبّي لكم ذخري وإنّ جوانحي | عمر الزمان عليه مطويات       |

وعلى هذا الأساس فإنّ القيام بالعبادات وفق مذهبهم صلوات الله عليهم يتطلب معرفة الشروط الخاصّة بالعبادة والموانع التي تقف حائلاً من قبولها، من قبيل أكل المال الحرام.

### أثر حالة النشاط في العبادة

لا شكّ فإنّ النشاط والحيوية تزيد من قدرة وإرادة وتصميم الإنسان واستقامته وعزمه وتخطي حواجز الضعف، وتسهل الأعمال الكبيرة والمشاريع العظيمة، وتقلل من مشقّاتها وعذاباتها، ولهذا السبب فإنّ الأشخاص الذين يقومون بالعبادات الكبيرة بشوق ورغبة منقطة يشعرون بمدى اللذة الروحية التي استقطبتها تلك العبادة فتخلق روحاً جديدة لديهم لا تتعب ولا تمل، وترى ألسنتهم تلهج دوماً بذكر الله تعالى وتقدّسه وتتضرّع إلى بارئها إلى زيادة تلك

الحالة وبقائها في النفس ، حتّى تزيد من شعلة العبادة في داخل وجودهم والولوج إلى ساحته القدسيّة .

نقرأ في دعاء الإمام السجاد عليه السلام :

اجْعَلْ ... نشايطي في عبادتك<sup>١</sup>.

ونقرأ في مناجاته عليه السلام أيضاً :

ربّنا ... وامنن علينا بالنشاط<sup>٢</sup>.

وهكذا نقرأ في إحدى زيارات الجامعة :

تَحَبَّبْ إِلَيَّ عِبَادَتَكَ ... وَتُنَشِّطْنِي لَهَا<sup>٣</sup>.

إنّ السرّ في طلب النشاط والحيوية في العبادة الوارد ذكره في الأدعية المأثورة هو أنّ حالة النشاط هي أفضل عنصر وداعم للإنسان في إعانتة على القيام بالعبادات الصعبة والكبيرة ، وهذا الموضوع شبيه إلى حدّ ما بالأعمال والفعاليّات التي تُنجز بشكل جمعي فتري القيام بها أسهل ، وكذلك في سائر الحالات الروحيّة وهذا معنى أنّ الإنسان إذا ملك بعض القوى الروحيّة يستطيع إنجاز عمل عدّة أشخاص .

وبالطبع فإنّ واحدة من القوى والقدرات الروحية هي النشاط والحيوية ، فإن تمكّن الفرد من تقوية تلك الحالة في النفس كانت عليه العبادات الصعبة أمراً في غاية السهولة ، كأنه قام بها مع عدد من الأشخاص ، ولهذا نقرأ في دعاء حلول شهر رمضان المبارك :

... أَحْسِنْ مَعُونَتِي فِي الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى ، وَالنَّشَاطِ وَالْفَرَحِ وَالصَّحَّةِ حَتَّى أَبْلُغَ فِي عِبَادَتِكَ

١. بحار الأنوار: ٢٠٠/٩٠، عن البلد الأمين: ١٣١.

٢. بحار الأنوار: ١٢٥/٩٤.

٣. بحار الأنوار: ١٧٠/١٠٢، عن مصباح الزائر: ٢٤٢.

## وَطَاعَتِكَ الَّتِي يَحِقُّ لَكَ عَلَيْ رِضَاكَ.<sup>١</sup>

وكما هو واضح في هذا الدعاء فإن النشاط والصحة جعلت من العوامل المساعدة التي تعين النفس على القيام بالعبادات.

ولا شك فإننا ومن خلال التعاليم والإرشادات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام نستطيع أن نعرف أن النشاط من الأسرار الكبيرة والمهمة في نيل التوفيق والنجاحات في الأعمال الصعبة والكبيرة، فمن هنا يجب علينا أن نستخدمه في محطات حياتنا المختلفة، ونجسده في كل خطواتنا العملية.

وأما إذا شعر الإنسان بأنه قد فقد ذلك النشاط فلا بد له من تلقين نفسه بقوة والزامها به، وبالتالي توطيدها على القبول والتفاعل معه.

ومن هنا نرى أن أصحاب الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم وعلى الرغم من وصولهم إلى مراحل متقدمة من العمر، ولكن قلوبهم عند العمل والعبادة تجدها في أوج نشاطها وقمة عطائها.

فإذا حلت الهداية قلباً      نشطت للعبادة الأعضاء

## محبة أهل البيت عليهم السلام عامل نشاط في العبادة

وكما ذكرنا آنفاً فإن النشاط هو السر الخفي والقوة الكبيرة وراء القيام بالأعمال والأفعال العبادية الكبيرة، بالإضافة إلى ذلك فإن نفس ذلك النشاط دليل على وجود المحبة والترابط الروحي مع أهل البيت عليهم السلام؛ باعتبار أن واحدة من الآثار والمعطيات في محبة ذلك البيت الطاهر الزاكي هو إيجاد النشاط في العبادة والعبودية لله تعالى، إذ إن المحبة لهم تزرع في النفس الرغبة والميول للعبادة، ويعطي لجميع محبيهم وأتباعهم درس العبودية والطاعة المطلقة والخالصة للبارئ عز وجل.

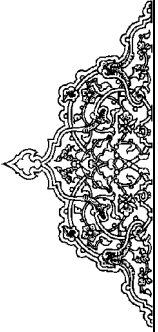


قال الرسول الأعظم ﷺ:

في حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي ... الرَّغْبَةُ إِلَى الْعِبَادَةِ<sup>١</sup>

ولذلك فكلما ازدادت محبة أهل البيت ﷺ وزاد وهيجهما في القلب ازدادت معها الرغبة والشوق والنشاط للعبادة، وستعمل على إيجاد صفاء نفسي للأخذ بجميع مجامع القلب صوب العبودية والعبادة والعمل على زيادتها يوماً بعد آخر.

\* \* \*



### نتيجة البحث

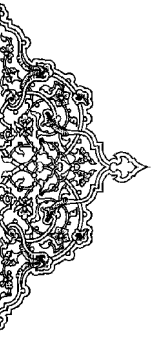
إنّ العبادة طريق للوصول إلى مقام العبوديّة، ودليل لنيل السعادة المنشودة، ولا شكّ فإنّ تلك العبادة لها تأثيراتها ومعطياتها وثمارها، ومنها إيجاد تغيّر وتحولٍ عظيمين في أعماق الفرد، ومن هنا فإنّ قيمتها تكون منوطة بمقدار نتائجها التي تمّ الحصول عليها وليس بكثرتها وزيادتها.

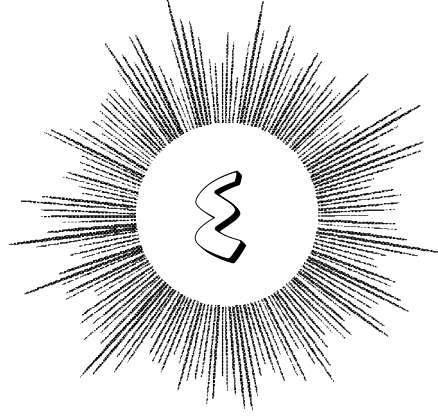
ويجب على كلّ واحد منّا أن يتعرّف على أنواع وأقسام العبادة، ومن خلالها يمكنه اجتناب الأعمال والأفعال العباديّة الروتينية التي هي أساس العذاب والكراهيّة والكسل.

وعليه يمكن الوصول إلى حالات النشاط والحيوية في العبادة، وذلك عن طريق التنوّع فيها، وبالتالي الحصول على آثارها ونتائجها الباهرة والعظيمة.

إنّ محبّة أهل البيت عليهم السلام تزيد في الجانب التفاعلي للعبادة، وتكون النسبة بينهما نسبة طردية فكلّما زادت تلك المحبّة ازدادت معها العبادة والشوق والخلوص والصدقة التي هي من لوازمها، وإذا استمرّ الإنسان في هذا النهج والطريق فإنّه يصل إلى مقام «العبوديّة» والذي هو سرّ خلقته وسوف يكون مسلّطاً على نفسه وأهوائه، وبالنتيجة غالباً على الشيطان ومكائده.

|                    |                     |
|--------------------|---------------------|
| طاعة الله بداية    | لا تقل من أين أبداً |
| شرع الله الهداية   | لا تقل أين طريقي    |
| جنة الله كفاية     | لا تقل أين نعيمي    |
| ربّما تأتي النهاية | لا تقل غداً سأبدأ   |





التقوى

من كلام للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

أشعر قلبك التقوى، وخالف الهوى، تغلب الشيطان

## التقوى والصلاح

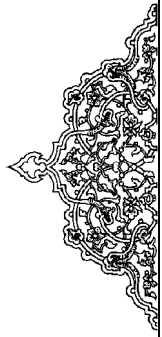
إنَّ القلب هو الرابط الذي يربط الإنسان بين عالم المادّة وعالم المعنى، فإذا كان سالماً معافى خالياً من الأغيار يستطيع وعبر الاستفادة من القوى الروحية والمعنوية التي يحملها في ثناياها والقدرات والقوى العظيمة له أن يكون ملهماً وقابلاً للإلهام.

وبطبيعة الحال فإنَّ القلب يكون طاهراً نقيّاً من الشوائب والرواسب العالقة به، ومن كلّ دنس حينما يبتعد عن الآثام الروحية، وإلاَّ فإنَّه يتوشح بالسواد، وذلك نتيجة ما ارتكبه من معاصٍ وذنوب، وعليه يفقد قدراته من الاستفادة من تلك القوى، وفي هذه الحالة يُحرّم من استقبال الفيوضات الرحمانية والبركات السبحانية.

ولا شكَّ فإنَّ التقوى هي دواء للأمراض القلبية والروحية، وبها يتطهّر القلب ويُغسل من كلّ الأدران والشوائب.

جاء في الصحيفة السابعة والعشرين للنبيِّ إدريس على نبيِّنا وآله وعليه السلام:

وَاعْسِلْ قَلْبَكَ بِالتَّقْوَى كَمَا تَغْسِلُ ثَوْبَكَ بِالماءِ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ رَوْحَكَ



فَاجْتَهِدْ فِي الْعَمَلِ لَهَا.<sup>١</sup>

## التقوى تحيي القلوب

ترتبط عملية إحياء القلب وجليه في الوهلة الأولى بالتقوى والورع، فلذا نرى أنَّ الشخص الذي يحمل التقوى يتمتع بقلب نابض حيٍّ وبصيرة ونور وهداية، بينما نشاهد الشخص الذي غرق في الآثام والمعاصي له قلب متصدئاً وخالي من المعنويات يقوده إلى درك الجحيم.

عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ، مَاتَ قَلْبُهُ.<sup>٢</sup>

وعلى ضوء ذلك فإذا أراد الشخص البصيرة والحياة المعنوية فعليه الجِدُّ والاجتهاد لكسب التقوى والورع، والتي تشكل حصناً منيعاً يرتفع من خلاله ويسمو إلى درجات متعالية، فينال من نعم الله ما لا تعد ولا تحصى.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

مَنْ أَحَبَّ فَوْزَ الْآخِرَةِ، فَعَلَيْهِ بِالتَّقْوَى.<sup>٣</sup>

وتشكل التقوى الدعامة الأكبر في الحفاظ على الشخص وتحصينه من جميع أنواع الآفات، والحارس الأمين في الفتن والبدع، والتي تُظهر حقائقها على مسرح الحياة والوجه البشع لها مع أنَّها لها ظاهر أنيق.

ومن هنا فإنَّ التقوى ملجأ يلجأ إليه الإنسان في مواقع الخطر، وحصن حصين له القابلية على الصمود أمام جميع الظروف العvisية وتقلبات الزمان والمكان، وفي هذا الصدد ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

١. بحار الأنوار: ٤٧١/٩٥.

٢. شرح غرر الحكم: ٢٦٩/٥.

٣. المصدر السابق: ٣٩٤/٥.

الْتَقَوُ حِصْنُ حَصِينٍ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ.<sup>١</sup>

### علاقة التقوى والقلب

إنَّ القلب منظومة قوية للإرسال والتسليم وضعها البارئ عزَّ وجلَّ في وجود الإنسان حتَّى يتمكن من الاستفادة منه في إيجاد العلاقة بين الماضي والحاضر إلى حدِّ ما، وهذا الأمر لا يتأتَّى إلَّا من خلال كونه سالماً وقوياً، وكذلك فقد يرتبط القلب - الخالي من الأوهام والتجاذبات النفسِيَّة - أحياناً بأولياء الله الصالحين .

وهنا حقيقة مرَّة لا بدَّ من التطرق إليها، وهي أنَّ قلوبنا في مرحلة الغيبة المظلمة لمولانا صاحب العصر والزمان عجلَّ الله فرجه الشريف سقيمة وغشاها أنواع الأمراض الروحيَّة .

وبالطبع فإنَّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قد صرَّح في أحاديثه النورانية عن الحالات المرضية التي تصيب القلب، ووضع لها العلاج المناسب، وهو عمليَّة التقوى وآثارها في وجود الإنسان، حيث قال عليه السلام :

فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ.<sup>٢</sup>

فإذا لطف الله جلَّ وعلا بالإنسان ومنحه التقوى والصلاح فقد عافاه من جميع الأمراض الروحية التي قد تصيبه، فهي قادرة على خلاص الإنسان من فتن الزمان ومهالكه، حيث مثلها مثل السفينة التي تنجي الركاب من الغرق في حالة حدوث الطوفان والأمواج العاتية .

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام نقلاً عن حديث وارد عن لقمان الحكيم :

... فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ.<sup>٣</sup>

١. شرح غرر الحكم : ٢/٢.

٢. نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٩٨.

٣. بحار الأنوار : ١/١٣٦.

إذن فهي كالسفينة العظيمة القادرة للوقوف أمام الأمواج العالية تحافظ على الشخص في عدم الوقوع في الفتن والمهالك وهذه حقيقة ثابتة لا ريب فيها. وعن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال :

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ<sup>١</sup>.

### التقوى وسيلة لمعرفة الأفكار الرحمانية والشيطنية

كيف يمكن للإنسان من تشخيص الأفكار الرحمانية عن الأفكار الشيطانية ؟

إن الإنسان وفي الكثير من الموارد عاجز عن وضع حد فاصل بين الأفكار الرحمانية والأفكار الشيطانية ، وبالتالي عدم التفريق بينهما ولا يعلم أيهما أفكاراً رحمانية والتي لها أساس معنوي وأفكاراً شيطانية ونفسية والتي ألقيت في الذهن عن طريق الشيطان أو النفس ؟

إن عدم التشخيص هذا يؤدي بالنتيجة إلى رسم حالة التحير والشرود ولا يدري الوظيفة التي جعلت على عاتقه أمام مثل تلك الأفكار التي لا يعلم منها هل إنها رحمانية أم شيطانية ؟

ولعل المشكلة الأصعب في هذا الموضوع هي مسألة تجسيد الأفكار وبلورتها وحالة المكاشفة الحاصلة ، فإن حقيقتهم تبقى خافية حتى على الأشخاص المتعلمين والدارسين ، ولأجل الإجابة على التساؤلات التي تم طرحها نقول : إن القرآن الكريم قد أجاب على ذلك من خلال الكثير من آياته ومنها قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا...﴾<sup>٢</sup>.

١. نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٨٣.

٢. الأعراف : ٢٠١.



يعني أن التقوى تمنح الإنسان قوة ومعرفة، بحيث تجعله عالماً بالدسائس والمخططات التي يحيكها الشيطان والأفكار والرؤى التي يريد إلقيائها، ويدرك جيداً أنها من فعله يريد غرسها في ذهنه.

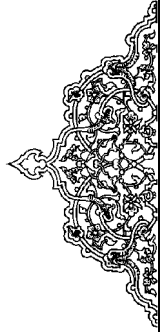
ولذلك ينبغي له السير في تشخيص الأفكار والرؤى الرحمانية عن الشيطانية، وأي منها عليه تطبيقها وإنزالها على أرض الواقع، وأي منها عليه الإبتعاد عنها وإهمالها وطردها من الذهن في دائرة التقوى وهي قاعدة مهمّة يمكن التركيز على خطوطها العريضة للإنطلاق نحو التشخيص الصحيح والسليم.

إذن يمكن من خلال التقوى والصلاح صيانة النفس من الوقوع في شباك الشيطان وحبائله، هذا بالإضافة إلى الحصول على البصيرة والمعرفة التفصيلية في معرفة العدو وطرق نفوذه، وبالتالي الإستعداد أكثر في الوصول إلى المقامات الروحية المتعالية.

وباعتبار أن طريق التطور والتكامل والوصول إلى أي هدف يستلزم معرفة الموانع والعقبات التي تقف أمامه، ومعرفة معالم ذلك الطريق، وإلا فإنّ الإنسان يفشل في العبور منه لما فيه من مخاطر وطرق وعرة ومشاكل كثيرة. ومن المعلوم فإنّ المسير المعنوي والسير والسلوك الروحي محفوف أيضاً بالموانع والحيل النفسية والشيطانية، وعليه يجب على الإنسان معرفتها بشكل واضح، حتّى ليقع فيها والنجاة منها في الوقت المناسب، وكذلك لا بدّ للإنسان أن يعرف أنّ الشيطان يريد إغواءه عن عدّة طرق، وبالتالي تشخيص الطريق الذي دخل منه والكيفية التي يريد من خلالها حرقه عن الجادة الصحيحة.

ومن الواضح وكما رأينا في الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فإنّ التقوى هي الوسيلة التي يمكن من خلال معرفة الوسوس الفكرية الشيطانية ودرك هجومات الأفكار والأوهام الشيطانية، إذ إنّ الأشخاص الذين يتحلون بالتقوى يستطيعون وبسهولة فرز الأفكار الرحمانية عن الشيطانية.

ونقول للأسف الشديد: فإنّ هناك فئة من الناس قد أصيبوا بالعديد من



الأمراض الفكرية والروحية والتلوثات النفسية وسواد القلب وفقدان البصيرة، وهذا ناتج كله من عدم وجود عامل التقوى لديهم، وهم بالفعل غير قادرين على تشخيص العلاج اللازم ومعرفة الدواء الذي يشفي أنفسهم، وبالنتيجة فقد وقعوا ولعدم معرفتهم بمذهب أهل البيت عليه السلام وما جاء به من تعاليم سامية تفتح آفاق الخلاص من تلك الأمراض في شباك أفراد منحرفين من أمثال ساحر الهنود الحمر «دون خوان» أو «ماهاريشي» وغيرهما من أولئك الشياطين، وأصبحوا يعانون من الحيرة والتيه.

فهل رأيت أو سمعت يوماً أن شخصاً تعرف على حقيقة مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أحتاج إلى أفكار وعقائد ورؤى هؤلاء المنحرفين؟ ولانذيع سرّاً إذا قلنا: إن هؤلاء الأشخاص قد وصلوا ونتيجة الرياضات والتمارين الروحية التي تخالف العقل والشرع إلى قدرات ومهارات خارقة، ولكن تلك القدرات النفسية والشيطانية التي نالوها استخدموها في طريق الفساد وخدمة الأهداف والمصالح لأصحاب القوة والقرار، وبالطبع فإن منشأ ذلك هو فقدانهم حالة التقوى والصلاح.

إننا نرى أن بعض من المرتاضين الهنود وعباد البقر والذين يلطخون رؤوسهم بفضلات البقر (المقدس!)، يجلسون مع الرؤساء الأمريكيين وسائر رؤساء العالم الذين بيدهم قدرات الشعوب ليقدموا لهم الاستشارة والنصيحة، ويعلمونهم دروساً في المعنويات ومعرفة الله وحب الإنسان! وكيف يمكنهم العمل على قهر تلك الشعوب المظلومة والمستضعفة ونهب خيراتها؟! فيريدون ومن خلال الوسائل والقوى الشيطانية اللامرئية محاربة القوى الغيبية والإلهية.<sup>١</sup>

إن هؤلاء الطغاة ونتيجة تناغم أفكارهم مع أحفادهم من أمثال فرعون فإنهم

١. لقد صرفت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الطريق الملايين من الدولارات، وخسرت العديد من جنودها، ولمزيد من المعلومات راجع كتاب «إلى اللانهاية».

يتوسّلون بالسحرة لتمرير خططهم وبرامجهم المشؤومة!  
وبما أنّهم فقدوا الحقيقة ومعالم طريقها أخذوا يتخبّطون ويطلقون كلّ باب  
حتّى وإن كانت باب السحرة والشعوذين!  
ولابدّ للإنسان إذا أراد النجاة والخلاص من الآلام الروحيّة وعذاباتها  
التوسّل بمن اجتباهم الله عزّ وجلّ فشهدوا الخلق والعالم.  
وعلى هذا الأساس تتّجه صوب مذهب من يمنح الحياة الأبديّة والسكون  
والطمأنينة والراحة النفسيّة فلتستمع لكلمات من أمير البيان الإمام  
أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ يقول فيها:

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي إِنبَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ  
مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوُهُ قَصْدُ  
سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ،  
وَبَصَرٌ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحٌ فَسَادِ  
صُدُورِكُمْ، وَظُهُورٌ دَسَسَ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ غَشَاءِ أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ  
فَزَعَ جَاشِكُمْ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ...<sup>١</sup>

وكما يشاهد القارئ العزيز فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعرف التقوى على  
أنّها طريق لدواء القلوب من المعاصي الفكرية وعمى البصيرة وبقية الأمراض  
الروحيّة الأخرى، ويوصي جميع الإنسانيّة مهما كانت مشاربها الفكرية  
والعقائدية في البحث عن الإنسانيّة والسير في طريق المعنويّات ومن ثمّ  
الحصول عليها.

١. بحار الأنوار: ٢٨٤/٧٠، نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨١، شرح نهج البلاغة (المرحوم ميرزا حبيب الله الخوئي) الخطبة رقم

## أساس الصداقة وكسب إخوان التقوى

نظراً إلى العظمة والقيمة المثلى التي تحملها التقوى لذا يجب أن تكون علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان على أساس قاعدة التقوى والصلاح، وليس لأجل المال والجاه والمصالح الدنيوية الضيقة!

روى الإمام الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله:

**أَحِبِّ الْأَخْوَانَ عَلَى قَدْرِ التَّقْوَى.<sup>١</sup>**

إذن ومن هنا ينبغي أن لا تبني الصداقة والمحبة مع الآخرين على الوضع الظاهري والجانب المادي لهم، فإذا كان ملاكها وسائر التعاملات الإجتماعية هي التقوى والصلاح فإن الشخص سوف يكون مصوناً عن أساليب ومكر الأشرار والبقاء في أمان من مكائدهم وحيلهم.

ولكن نرى أن بعض الأفراد يضعون نصب أعينهم وعوضاً عن التقوى والصلاح والتي هي أساس الصداقة يضعون وحسب مصالحهم قاعدة «دفع الفاسد بالأفسد» وفي النهاية يرتكبون الأفسد والنتيجة يقعون في عواقب وخيمة وأزمات أخلاقية وروحية يئن من وطأتها الناس.

## إجتنب أكل مال الحرام

إنّ واحداً من الشخصيات التي أثرت عليهم لقمة الحرام هو شريك بن عبدالله، والذي كان في زمن المهدي العباسي حاكماً للكوفة، وأما قصته فهي:

ذكروا في أحوال القاضي شريك بن عبد الله النخعي، أنه كان معروفاً بالعبادة والزهد والتقوى، وقد دعاه يوماً المهدي العباسي ثم قال له: لا بد أن تجيئني إلى خصلة من ثلاث خصال.

١. بحار الأنوار: ١٨٧/٧٤، عن أمالي المرحوم الصدوق عليه السلام: ١٨٢.

قال: وما هن؟ قال: إما القضاء، أو تعلم ولدي، أو تأكل عندي أكلة.  
ففكر ساعة، ثم قال: الأكلة أخفها على نفسي، فأجلسه وتقدم إلى الطباخ أن  
يصنع له ألواناً من المخ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك.  
فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل، فلما فرغ من الأكل، قال له الطباخ: والله؛ يا أمير  
المؤمنين! ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً.  
قال الفضل بن الربيع: فحادثهم شريك بعد ذلك، علم أولادهم، وولى  
القضاء عنهم.

ولقد كتب له برزقه على الصيرفي، فضايقه في النقد، فقال له الصيرفي: إنك  
لم تبع له زيتاً، فقال له شريك: بل والله؛ بعت أكثر من الزيت، بعت به ديني.<sup>١</sup>  
نعم؛ قد تعرض للإنسان في الواقع ألوان الطعام ما طاب منه وتشتهي النفس، أو  
كرسي الرئاسة، ويتعرض الإنسان إلى الإمتحان والبلاء، وفيه تظهر حقيقته المعنوية  
ومعدنه، فتراه إما أن يفشل ويسقط في ملذات الدنيا، وإما أن يسمو ويعلو، ويكون  
فوق كل تلك الشهوات.

### التقوى والمقامات المتعالية

هناك رواية مهمة وردت عن رسول الله ﷺ في هذا الموضوع تبين عظمة  
وقيمة والآثار المترتبة على التقوى والصلاح، حيث تحرّك عند الإنسان  
الشعور لتحكيمها في جميع مجالات حياته، تقول الرواية:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ... قَدْ أَجْمَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَتَوَصَّى بِهِ  
الْمُتَوَصِّوْنَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي خَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ التَّقْوَى،  
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
وَأِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ﴾<sup>٢</sup>، وَفِيهِ جِنَاعُ كُلِّ عِبَادَةٍ صَالِحَةٍ، بِهِ وَصَلَ

١. وقايح الأيام. المرحوم المحدث القمي: ٨٦.

٢. النساء: ١٣٨.

مَنْ وَصَلَ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالرُّتَبَةِ الْقُصْوَى، وَبِهِ غَاشَ مَنْ  
غَاشَ مَعَ اللَّهِ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْأُنْسِ الدَّائِمِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ ١. ٢

ومن هنا نرى أن أولئك الذين يبتغون الوصول إلى المقامات والمنازل  
المعنوية العالية والنهائية، ويسعون إلى الاستفادة من الحياة الإلهية والأنس مع  
الله تبارك وتعالى وأوليائه الصالحين لا بدّ لهم من التقوى والصلاح، حيث لا كنز  
أفضل منه، يقول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ كَنْزٍ. ٣

ويجب أن يكون الإنسان مخلصاً في هذا المسير، وأن يجعل التقوى بين  
عينيه في السرّ والخفاء، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. ٤

وعوداً على بدء نقول: إن هناك أشخاصاً على عكس «شريك»، فقد كانوا  
يتورّعون عن أكل لقمة الحرام وجعلوا التقوى ملاكاً ومقياساً في كلّ حركاتهم  
وسكناتهم ولم يحيدوا عنها قيد شعرة، ومن هنا فقد وصلوا إلى أعلى المراتب  
والمقامات المعنوية، ولعلّ القصة التي نذكرها هنا خير أنموذج من ذلك:  
كان الحاج محمد الحسني التبريزي أحد تجار مدينة تبريز المحترمين  
لا ينجب وعلى الرغم من مراجعاته المتكررة للأطباء، لكنه لم يزرق بولد أو  
وريث.

ثم يقول التبريزي: ومن أجل ذلك ذهبت إلى النجف الأشرف، ومن هناك

١. القمر: ٥٥، ٥٤.

٢. كشف الغمّة: ٣٦٨/٢، نقلاً عن بحار الأنوار: ٢٠٠/٧٨.

٣. بحار الأنوار: ٣٧٦/٧٧، عن كتاب الأمالي للمرحوم الشيخ الطوسي: ٢٩٦/٢.

٤. بحار الأنوار: ٢٩٠/٧٧، عن تحف العقول: ٩٢.

إلى مسجد السهلة لكي أتوسّل إلى الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه وأجعله شفيعاً لقضاء حاجتي، وفي إحدى الليالي وفي عالم المكاشفة رأيت سيّداً مهيباً عظيماً أشار، ثم قال: اذهب إلى «محمد علي جولاکر» في مدينة «دزفول» حتّى يستجيب الله دعوتك ويؤمن حاجتك.

وفي اليوم التالي حزمت أمتعتي وسافرت إلى دزفول، وعندما وصلت المدينة وسألت عنه أعطوني عنوان دكانه، فذهبت إليه فوجدت رجلاً فقيراً حيّ الضمير مؤمناً بسيطاً. فسلمت عليه وردّ السلام وقال: وعليكم السلام يا حاج محمد حسن؛ لقد قضيت حاجتك.

فتعجّبت منه كيف عرف اسمي؟ وكيف علم بحاجتي لديه؟ ثم رجوته أن أبقى الليل معه، فقال: لا مانع عندي.

فدخلت الدكان وجلست عنده حتّى المغرب، حيث توضّأنا وصلّينا المغرب والعشاء سوياً. وبعد مضي قليل من الليل أحضر العشاء وكان خبزاً ولبناً، فأكلنا حتّى شبعنا ثم حمدنا الله تعالى على نعمته، ثم نمنا في الدكان. وفي الصباح صلّينا الصبح وقرأ بعض الأدعية والتعقيبات، ثم بدأ عمله في حياكة الكرباس، فقلت: إنني حينما جئت إليك كانت لدى حاجتان عندك، وقد قلت ليلة أمس: إن واحدة منهما قد قضيت والحمد لله، أمّا الثانية فهي إنني أسألك ماذا فعلت حتّى وصلت إلى هذا المقام المحمود عند الله، حيث نصحني الإمام (عليه السلام) أن آتي إلى خدمتك هنا في دزفول وأنت تعرف اسمي وحاجتي؟! قال: أيّها الحاج حسن؛ لماذا تسأل كلّ هذه الأسئلة؟ لقد قلت لك: إنّ حاجتك قضيت، فالأفضل أن تشكر الله تعالى وترجع إلى بيتك، فقلت له: إنني ضيفك وحقّ الضيف على صاحب الدار، لذا أرجوك أن تشرح لي حياتك وكيف وصلت إلى هذه الدرجة الرفيعة من الإيمان والمكاشفة؟! وإن لم تفعل فإنني لن أتركك وسوف أبقى معك، فقال: لقد قضيت عمري في حياكة الكرابيس في هذا المحلّ، وكان مقابل دكاني هذا منزل رجل من رجالات الدولة الظالمين، حيث كان يحرس داره جندي طوال الليل والنهار.

فقلت له: إنني أشتري في السنة الواحدة مائة «من» من الحنطة والشعير وأطحنها وأخبزها وأعيش مدة عام واحد، وأنا وحداني ولا ولد ولا تلد ولا عائلة لدي.

فقال الجندي: إنني وحيد هنا وليس لي صديق يحفظ سرّي وأخاف أن أكل من طعام هذا الظالم الذي أخدمه، وإذا لم يكن لديك مانع فأرجوك أن تشتري لي أيضاً مائة «من» حتّى تعطيني كلّ يوم قرصين من الخبز، وأكون لك من الشاكرين.

فوافقت على طلبه واشترت له الشعير والحنطة وكنت أعطيه كلّ يوم قرصين من الخبز ليعتاش بهما.

وفي أحد الأيام تأخّر ذلك الجندي من مواعده فذهبت إلى دار الوزير لأسأله عنه فقالوا: مريض وعندما جلست معه رجوته أن أجلب له طبيباً ليداويه فقال: لا حاجة لي بذلك سوف أذهب في منتصف هذه الليلة، وإذا متّ فسوف يأتي شخص إليك ويخبرك عن موتي فتعال هنا وأنجز ما يطلبونه منك، أمّا باقي الطحين فهو لك حلالاً.

وعندما بدأت رغبتني في البقاء بجانبه في الليل أبى ذلك، فرجعت إلى دكانني وفي منتصف الليل انتبهت على طرق باب الدكان وشخص يناديني: أخرج يا محمد علي؛ فخرجت من الدكان ورأيت شخصاً لا أعرفه، حيث قادني إلى مسجد الحلة فرأيت الجندي مسجّى في التابوت وحوله رجالان لا أعرفهما أيضاً، ثمّ قالوا لي: ساعدنا لنأخذ الجنازة إلى النهر ونغسلها، فحملنا نعش الجندي وذهبنا إلى الجدول القريب من المنطقة، وغسلنا الميّت وكفناه وصلينا صلاة الميت عليه، ثمّ جئنا به إلى مقبرة بجانب المسجد فدفناه فيها. ثمّ رجعت إلى دكانني وبعد عدة ليال طرق أحدهم باب دكانني ففتحت الباب ورأيت شخصاً يقول: يا محمد علي؛ يريدونك فتعال معي، فأطعت أمره وذهبت مع ذلك الطارق الليلي وسرنا طويلاً حتّى وصلنا القلاة وبداية الصحراء وكانت منارة بشكل عجيب، وكأنّه قد أشرق الصبح. وبعد فترة وصلنا إلى صحراء النور،

- وتقع هذه الصحراء في شمال دزفول - ورأينا عن بعد بعض الأشخاص جالسين يتسامرون ويتحدثون وشخصاً آخر واقف في خدمتهم.

ولاحظت أنّ بين تلك الجماعة الجالسة، شخصاً نورانياً مهيب الطلعة حلّو الشمائل عظيم الشأن، فعلمت أنّه صاحب الأمر والزمان صلوات الله عليه، فأصابتني موجة من الخوف والرهبة، وارتجفت أوصالي، فكأنّي ريشة في مهب الريح! ثمّ قال لي ذلك الطارق الليلي: تقدّم قليلاً يا محمّد علي؛ فأطعته وتقدّمت بضع خطوات، ثمّ قال الشخص الواقف: تقدّم أكثر، فتقدّمت خطوات أخرى. عند ذلك قال بقيّة الله في أرضه عجل الله تعالى فرجه لأحد أصحابه: أعط هذا الرجل منصب الجندي لما قدمه من خدمة إلى شيعتنا.

فقلت: يا سيدي ومولاي؛ أنا عامل أكسب عيشي من حياكة الكرابيس، فكيف أكون جندياً عسكرياً؟ وظننت آنذاك بأنهم يريدون أن يستبدلوني بذلك الجندي عند دار الوزير.

فتبسّم الرجل العظيم وقال: نحن نريد أن نعطي منصب ذلك الجندي لك. ثمّ أجبت بالجواب نفسه بأنني لست جندياً. فقال روحي له الفداء مرّة ثالثة: إنّنا نريد أن نعطيك منصب ذلك الجندي، وليس أن تكون جندياً مثله وسوف تكون مكانه فعلاً، فاذهب الآن.

رجعت وحدي في ذلك الليل البهيم البارد وعشت وحدي منذ ذلك الوقت والحمد لله أخذ من سيدي ومولاي بقيّة الله في أرضه صلوات الله عليه الأوامر وأنفذها وحاجتك كانت إحدى تلك الأوامر.<sup>١</sup>

فهذه قصّة ذلك الجندي الذي امتنع عن أكل لقمة الحرام بفضل تلك التقوى والصلاح التي كان عليها، وتلك هي قصّة القاضي «شريك» الذي لوث نفسه بلقمة الحرام، فأيهما الأفضل: التشرف بخدمة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أم الخدمة في بلاط الخليفة العباسي الجائر والظالم؟!

١. حياة وشخصيّة الشيخ الأنصاري: ٥٢.

هذه هي سيرة وحياة عظماء الدين والمذهب الشيعي، فكلّها مليئة بالتقوى والصلاح، فاستطاعوا من خلالها تطبيق حياتهم وفق ما أَرَادَهُ الباري عزّ وجلّ، فوصلوا إلى الحالات المطلوبة والمقامات المعنويّة الشامخة.

### هَمّة أولياء الله للوصول إلى التقوى

يجب أن نلتفت إلى نقطة في هذا المضمّار، وهي أنّ أولياء الله تعالى وبالإضافة إلى وصولهم الحدّ الأعلى في التقوى والصلاح، فإنّهم يسعون دوماً إلى الحفاظ على الحالات الروحيّة والمعنويّة التي هم عليها، ويكون هدفهم وغايتهم هي إيجاد التقوى في المجتمع أولاً بصورة عامّة، ومن ثمّ التوجّه والتركيز على الأشخاص الذين يعيشون حولهم بصورة خاصّة.

فهذه الثلة الصالحة ومن خلال سلوكهم وعملهم يعطون درس التقوى والصلاح إلى من يجالسهم ويعاشرهم وسائر افراد المجتمع، وتكون تطالعاتهم وأمانيتهم القلبية هي إيجاد مجتمع صالح وبعيد كلّ البعد عن المعاصي والآثام.

وهذا الأمر ناتج من كون هؤلاء هم ممّن يحملون الرسالة الحقيقيّة التي جاء بها أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين والهدف الذي تبناه لجعل إسعاد الأمّة، وتحقيق كلّ ما تصبو إليه، ولهذا فإنّ الوظيفة تحتم على الجميع متابعة هؤلاء الأخيار الأبرار والسير على خطاهم في تحصيل عمليّة التقوى والسعي لأجل تطبيق الصلاح وتعميمه على مفاصل المجتمع، والإنفكاك عن الأهواء والملذّات النفسانيّة والشيطانيّة بأيّ قيمة كانت.

إنّ الأتقياء والصلحاء من أبناء الأمّة ينصب هدفهم في تجنّب كلّ أغراض الدنيا وأطماعها، ويعتقدون بأنّ غايتهم النهائيّة هي أسمى ورفع وأنبّل، بل إنّ الأمر يتعدّى ليشمل استغلال هؤلاء المقام والجاه وبقية المناصب الدنيويّة التي نالوها من أجل تسخيرها وتوظيفها للوصول إلى الهدف الغائي لهم، وهو

التقوى والصلاح وليس خسرانهما لأجل الجاه والمقام الدنيوي الزائل .

يُسأل من الإمام الصادق عليه السلام عن معنى التقوى فيقول :

... أَنْ لَا يَفْقِدُكَ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلَا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ.<sup>١</sup>

ومع وجود مثل هذا الحديث كيف يمكن أن تنسجم المصالح الدنيوية والتي لا يمكن لها أن تصمد وتعايش والوضعية المتناقضة التي عليها مع عملية التقوى والصلاح؟!

### الإستبدال نتيجة ترك التقوى

قد يحصل أحياناً تعرّض الحالات الروحية إلى الفناء والزوال نتيجة بعض المسائل الحادثة، فتتبعها عملية قلعها من أصولها وأحياناً أخرى تكون النتيجة الحاصلة غير ذلك، بل إنّها تسبب في تحويرها واستبدالها من حالة إلى أخرى . ونقول على سبيل التوضيح: إنّ البارئ عزّ وجلّ يغفر أحياناً الذنب والمعصية ويمحو أثره بشكل كامل، وقد يبدله أحياناً أخرى إلى الحسنة فنخاطبه بالقول: «يَا مُبْدِلَ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ» ففي الحالة الأولى فإنّ المعصية إنتفى أثرها وزال بالمجموع ولم تتبدّل إلى حالة أخرى، بينما الصورة في الحالة الثانية اختلقت فتبدّل الذنب والمعصية إلى حسنة .

فالتقوى هي حالة تشبه إلى حدّ هذا الأمر؛ لأنّها قد تزول أحياناً نتيجة المعصية بصورة كاملة وأحياناً تفسد نتيجة السيطرة المطلقة للشهوة أو المعصية، ولكن هذا لا يعني القضاء عليها، بل تحوّلت من تلك الحالة إلى الحالة الشيطانية .

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام :

لَا يُفْسِدُ التَّقْوَى إِلَّا غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ.<sup>٢</sup>

١. بحار الأنوار: ٢٨٥/٧٠.

٢. شرح غرر الحكم: ٣٧٦/٦.

من النقاط التي تثير الإهتمام في هذا الحديث الشريف هي أنَّ الإمام صلوات الله عليه لم يقل: إنَّ التقوى تذهب بغلبة الشهوة، وإنَّما قال: إنَّها لم تفسد إلا من خلال غلبة الشهوة، وهذا الأمر بعيد عن التنافي مع التبديل والتغيير.

والنقطة الأخرى التي تسترعي الإنتباه هي أنَّ التقوى هي حالة لها خصلة روحية ومعنوية بالمطلق، وفي حالة فسادها تستوجب فقدانها لتلك الخصلة وتفقد عناصرها الحيوية.

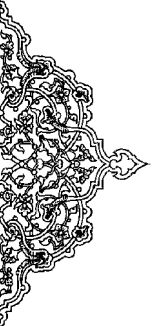
وفي هذه الحالة يفقد الشخص الحالة الرحمانية، وتضحى تلك الحالة وتبدل إلى حالة شيطانية تعترىها الغرائز والأهواء والخيالات الشيطانية! وبذلك تسيطر هذا الحالة ونتيجة فساد التقوى على الفرد المتقي وفي خضم ذلك تشكل عنده مرحلة كلَّها إضطراب واستقطاب للشيطان.

لذا نرى أنَّ الشخص المتقي الذي تغلب عليه شهوة الرئاسة يصبح أكثر خطراً من الشخص العادي الذي حصل عليها.

ومن هنا نجد أنَّ تبديل الحالات الرحمانية إلى الحالات الشيطانية وتبديل الحالات الشيطانية إلى الحالات الرحمانية من المسائل المسلمة التي وردت في أحاديث وكلمات أهل البيت (عليهم السلام).

وعادة ما يتمتع الإنسان ونتيجة السعي والجدية والمثابرة والأعمال التي يقوم بها بقوى روحية ومعنوية، فترسخ في قلبه وروحه بشكل تجعل الحالات المادية وكيفية الطبعية تصل إلى أقلِّ المراتب والدرجات فتغلب حينئذ الحالات المعنوية والروحية، وتكون هي من لها الفيصل في سلوكه وأفعاله.

إنَّنا إذا فرضنا أنَّ الحالات المعنوية والروحية لدى الإنسان تبدلت، فإنَّه يخرج عن حالته العادية والطبيعية، فتري في الكثير من الموارد تنقلب الصورة فتبدل تلك الحالات إلى حالات معاكسة تماماً فتتحول إلى حالات شيطانية وكذلك قد تكون الصورة معكوسة إذ إنَّ الكثير من المعاصي والآثام التي تجمعت نتيجة سنوات متتالية من معصية البارئ عزَّ وجلَّ وترسخت بشكل جذري، واختلطت بالأرواح الشيطانية الخبيثة تتبدل نتيجة الإنابة والتوبة



النصوحة إلى حالات رحمانية قاهرة لجميع الحالات الشيطانية التي كانت مهيمنة من قبل؛ باعتبار أن الله عز وجل قد يغفر أحياناً المعاصي وأحياناً أخرى لا يغفر المعاصي تلك فقط، وإنما يبذلها إلى حسنات.

إنّ واحداً من أسماء ربّ السماوات والأرض والتي تزرع الأمل في قلوب العصاة والمذنبين والذين تأخروا عن قافلة المعنويات هو «يَا مُبْدِلُ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ»، وتجري هذه العملية في حالة وصول الإنسان إلى الكمال والتوبة النصوحة، حيث تبدل آثارها وتتغير.

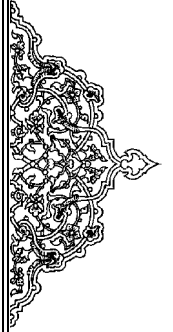
### ثبات القدم في الصلاح والتقوى

كيف يمكن للإنسان أن يفقد التقوى؟ وكيف يمكن له الحصول عليها بشكل واقعي؟ فهل يصبح متّقياً بمجرد الابتعاد عن ارتكاب المعاصي والذنوب؟ أو أنّ التقوى الحقيقية تحدث نتيجة عبور وتجاوز من الإمتحانات الصعبة والعسيرة؟ هذه أسئلة قد تخطر في بال الكثيرين.

إنّنا نجد الإجابة على هذه الأسئلة في حديث وارد عن مولانا الإمام أمير الأتقياء علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين قال:

عِنْدَ حُضُورِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ، يَتَبَيَّنُ وَرَعُ الْأَتْقِيَاءِ.<sup>١</sup>

ففي هذا الحديث دلالات واضحة على أنّ هؤلاء الذين يضعون التقوى في سلم أولوياتهم الحياتية، ويبتعدون عن التظاهر وعرض الذات، فإنهم يكونون قادرين بالفعل على السيطرة على أنفسهم وقواهم الشهوانية، وذلك من خلال القوى المعنوية التي نالوها، وأمّا في حالة عدم وجود السيطرة تلك، فإنك تجد حالة التقوى متزلزلة عندهم وغير مستقرة بتاتاً، فيكونون أداة طوعية تتحرك حسب متطلبات النفس ورغباتها.



### نتيجة البحث

إنَّ القلب هو جهاز يحمل الكثير من الأسرار والخفايا المهمة ، حيث أودعه البارئ عزَّ وجلَّ في داخل الإنسان ليكون أداة لصلاحه ، وذلك بواسطة التقوى والصلاح ، وتعمل تلك التقوى على معالجة كلِّ حالات الصدا والشوائب التي تصيبه نتيجة الذنوب والمعاصي .

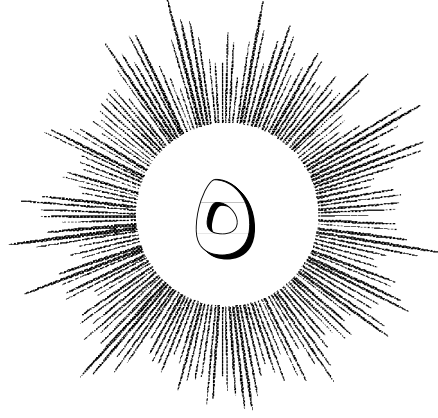
إنَّ التقوى وسيلة قويَّة وراعدة للمحاربة والهجوم على جميع الأعداء غير المرئيين ، فعلى الفرد العمل لتقويتها والسعي من أجل شيوعها في كلِّ أموره وقضاياها الحياتية .

إنَّ التقوى كالحصن والقلعة الحصينة القادرة على الحيلولة دون نفوذ الشياطين ، ومشروع مناهض يستطيع الحفاظ على النفس من نتاج الأفعال العشوائية للإنسان واللاعقلانية .

ويمكن بواسطة التقوى والصلاح تشخيص الأفكار والرؤى الرحمانية عن الأفكار والرؤى الشيطانية وفرز بعضها عن البعض الآخر ، وكذلك نجاة الإنسان من الحياة العبيثية ، وتمكّنه من الحفاظ على ما لديه من حياة طيبة تجعله ينظم دساتير حياته وفق أفضل النتائج والمعطيات .

يجب أن يسعى الإنسان دوماً ليكون شخصاً قوياً أمام الشهوات والملذات الدنيوية ويخلق رادعاً من داخله في مواجهتها ، وبالتالي عدم تغلبها عليه ، وإلاَّ فإنَّ التقوى التي هي أساس لاستقامته وصلاحها وفوزه في الدارين ستكون في مهبط الريح وتفقد قيمتها الواقعية والحقيقة .

|                                   |                                 |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| من يتَّقِ اللهَ يحمد في عواقبه    | ويكفَّ شرَّ من غرَّوا ومن هانوا |
| من استعان بغير الله في طلب        | فإنَّ ناصره عجز وخذلانُ         |
| من سالم الناس يسلم من غوائلهم     | وعاش وهو قرير اللعين جذلانُ     |
| من يزرع الشرَّ يحصد من عواقبه     | ندامة ولحصد الزرع إِيَّانُ      |
| ومن رافق الرفق في كلِّ الأمور فلم | يندم عليه ولم يذمه إنسانُ       |



العمل والسعي

من أقوال ومواعظ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

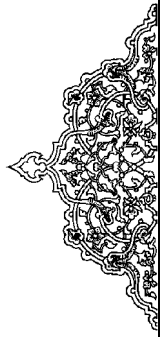
من أعمل اجتهاده ، بلغ مراده

## السعي والإجتهاد

يجب على الإنسان السعي والعمل الجادّ والإجتهاد وعدم التقصير في القيام بالفعاليات والنشاطات الحيّاتيّة، وذلك من أجل الاستفادة من جوهره وجوده ونيل الأهداف الكبيرة والقيّمة.

إنّنا حينما ننظر إلى سيرة حياة العظماء والشخصيات التي وضعت بصماتها في صفحات التاريخ نجدها قد خطت خطوات كبيرة في طريق العمل والسعي، وبذلت الجهد الجهد من أجل الوصول إلى الأهداف التي رسموها وطمحوا لها، ولم يستكينوا أو يتهاونوا في سبيل تحقيقها، ولم يترجعوا ولو خطوة واحدة في ذلك المسير.

إنّ كلّ إنسان منّا يستطيع السعي لأجل تحقيق الأهداف الإلهيّة، ويضع بصماته في هذه الدنيا؛ لأنّ العمل والسعي في هذا الطريق يعتبر من الأعمال الضرورية والمحبوّة والمرضية، وقد أكدت عليها كثير الآيات الشريفة والروايات، حيث حثّت الفرد وألزمته في التعامل مع هذا الموضوع بكلّ جدّية.



## في أيّ الطرق علينا السعي والعمل ؟

إنّ هناك فئة من الناس تعمل وتسعى في طريق تحصيل غاياتهم ومصالحهم الدنيوية، ونيل الأمور الوهميّة، وتغفل عن الإهتمام والتوجّه إلى الحقائق الكونيّة والأهداف الإلهية، فتترك كسب الفضائل الروحيّة والمعنويّة التي تبقى سرمدية والتي من شأنها تأمين السعادة في الدنيا والآخرة، وتتجّه صوب كسب الأرباح المادية فيكون همّهم الأوحّد في هذه الدنيا هو كسب الأرباح المالية، وكيف يمكنهم الحصول على أعلى ثروة مالية فيها.

إنّ الكثير من الناس يدرسون جميع الجوانب المتعلقة بالمشاريع والبرامج التي توصلهم إلى الأهداف التي ييغونها وبعد حصول اليقين لديهم من نيل الموفقيّة والنجاح في هذا الطريق - ولو تكون تلك الموفقيّة نسبيّة - يقدمون على القيام بها، ولكن الأمر يختلف في المسائل والقضايا العبادية، إذ لا يكثرثون بمسألة قيمة العمل نفسه وقبوله من البارئ عزّ وجلّ في حين أنّ قبوله يجعله أكثر ثمرة ومنفعة لهم، ولهذا يقول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام):

كُونُوا عَلَى قَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ عَنَاءَةً مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ.<sup>١</sup>

إنّ الملاك والمعيّار عند البارئ سبحانه وتعالى في قبول العمل هو قيمته وليس أصله، فإذا رفضه فلا قيمة له مهما كان عظيماً.

ولهذا يجب الإجتهد في المسير الذي يتحقّق فيه رضا البارئ عزّ وجلّ، وجعل ذلك الطريق والمنهج والمشروع ماثلاً للفكر والوجدان ومقبولاً عندهما، وعليه تتسارع النفس لإنجازه مهما كان عظيماً.



## تهيئة النفس للعمل والإجتهد

ينبغي أن يكون العمل مصحوباً بالرغبة الواقعية والحب الشديد؛ باعتبار أن الكراهية تترك آثاراً سلبية، وعادة ما تكون أضرارها أكثر من نفعها.

وعلى أساس هذا فإن السعي والمثابرة في المشاريع الحياتية والكبيرة لهذه الفئة من الناس مفيدٌ من ناحية الجانب النفسي والرغبة والإستعداد للقيام به، وأما الأفراد الذين لا يحملون هذه الصبغة والخصلة فلا بدّ لهم من السعي بعزم وإرادة من أجل إيجاد هذا الإستعداد النفسي في وجودهم، لكي يحققوا النجاح في حياتهم والوصول إلى أعلى المستويات والإستحقاقات.

إذن على الإنسان عدم رفع اليد عن العمل والسعي الدؤوب والإجتهد طوال حياته بسبب عدم وجود الرغبة والميل للقيام به، بل يجب عليه مخالفة هواه وميوله النفسية في هذا الخصوص، حتى تتولّد حالة المطاوعة النفسية مع العقل والوجدان، وبالتالي إيجاد الرغبة في القيام بأعمال الخير والصالح.

إنّ الثلّة التي تكون ديدنها العمل والسعي تقدّم تصوّراً يقينياً وشاملاً يقوم على الجزم واليقين بأنّ النفس تابعة ومطبعة للعقل والوجدان، فتقوم بالأعمال والمشاريع الإلهية والحياتية بكلّ رغبة واشتياق، تحكمه معايير الإستشراق بمستقبل واعد ونتائج وثمار طيبة.

ومن هذا المنطلق فقد راهن العظماء والعلماء الأعلام على سعيهم ومثابرتهم في الوصول إلى المراتب والدرجات العليا وجعلوا أنفسهم تابعة ومطبعة للعقل، فتجاوزوا كلّ الصعاب والعقبات التي واجهتهم في مسيرة حياتهم، فتحولوا بذلك إلى دائرة حضارية سجلت أروع الإنجازات الروحية والمعنوية والثقافية والاجتماعية.

وقد وصل كلّ من استلهم في حياته من تعاليم أهل البيت صلوات الله عليهم وجعلوها هداية وإرشاداً وجهاداً للنفس من خلال تحمّله أنواع المشقّات إلى مستويات رفيعة من المجد والعظمة، فكانت حياتهم مليئة بالتجارب الزاخرة

والناجحة التي تكون درساً وعبرة لكل من اعتبر .  
فهؤلاء كالجبل الشامخ لا يتأثر بالرياح العاتية فلم تشيهم كل الظروف  
والمشاكل عن العمل والسعي .

### كيف استطاع المرحوم الملا مهدي النراقي إيجاد الإستعداد للعمل والإجتهاد في نفسه ؟

نتطرق هنا إلى قصّة حياة المرحوم الملا مهدي النراقي ، والذي يعتبر واحداً  
من كبار علماء الشيعة .

كان الحاج الميرزا مهدي النراقي رحمه الله صاحب «معراج السعادة» وكتب قيمة  
أخرى في أيام التحصيل والدراسة بمنتهى الفقر والعوز ، لدرجة بحيث  
لا يتمكّن معها من تهئية فانوس للمطالعة، وكان يستفيد من ضياء الفوانيس  
الموجودة في أماكن أخرى من المدرسة، ولم يطلع عليه أحد .

ومع هذه الضائقة في المعاش كان شديد التعلق والرغبة بطلب العلم  
والمعرفة ، حتّى إنّ الرسالة التي كانت تأتيه من موطنه لا يفتحها ولا يقرأها خوفاً  
من أن يكون فيها مطلب يكون باعثاً لتشتت حواسه ويمنعه من الدرس، وكان  
يضع الرسائل مختومة كما هي تحت البساط .

وكان أبوه - أبو ذر - قد قتل فكتبوا إليه يخبرونه بقتله، فوضع كعادته الرسالة  
تحت البساط أسوة ببقية الرسائل، وبعد أن يؤس منه الأهل والأقارب كتبوا إلى  
أستاذه وأخبروه بالحادثة وطلبوا منه أن يخبره بالأمر، وأن يرسله إلى قرية  
«نراق» لأجل إصلاح أمر التركة والورثة. فلمّا حضر النراقي رحمه الله الدرس أخذ بيده  
الأستاذ وكان مغتماً، فسأله النراقي : لماذا أراك مغتماً وحزيناً؟ أجابه الأستاذ:  
ينبغي عليك الذهاب إلى «نراق»، فقال النراقي: لأجل من؟ قال: إن والدك كان  
مريضاً، فقال النراقي: إنّ الله سيحفظه ويعافيه، فابداً بالدرس .

فصرح له الأستاذ بمقتل والده، وأمره أن يتوجه إلى «نراق»، فامتثل للأمر ولم

يبقى أكثر من ثلاثة أيام ثم عاد بعدها، وعلى هذا المنوال كان النراقي رحمته الله يطلب العلم بنهم حتى بلغ مكانة سامية فيه.<sup>١</sup>

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| أبعد الخير على أهل الكسل | أطلب العلم ولا تكسل فما     |
| تشتغل عنه بمالٍ وخول     | واحتفل للفقير في الدين ولا  |
| يعرف المطلوب يحقر ما بذل | واهجر النوم وحصله فمن       |
| كل من سار على الدرب وصل  | لا تقل قد ذهب أربابُه       |
| وجمال العلم إصلاح العمل  | في ازدياد العلم إرغام العدى |

### السعي في طلب الحقيقة ودركها

يجب على الإنسان بذل قصارى جهده وهمته للوصول إلى الحقيقة والحق، حتى وإن واجهته الشدائد والمحن؛ فما يلبث هذا الأمر أن يتحوّل إلى عامل دعم يستمدّ مبرره من الإيمان وإندفاعه من الهدف، فيولد شعوراً بالصبر والاستقامة والإندفاع إلى الجِدِّ والعمل، ولولاها لاستحال الوصول إلى الحقيقة والحق ودركه.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالصَّبْرِ.<sup>٢</sup>

ومن هنا فإنّ كلّ واحد منّا يحتاج في طريق درك الحقيقة إلى السعي والجِدِّ والثبات وتحري السبيل الذي يقوده إلى النجاة، ولا يمكن الاستفادة من تلك الجهود والمسااعي ما لم تكن القاعدة مبنية على الموازين والمقاييس التي وضعها أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام والتعامل معها بخطوات ملموسة وصحيحة.

وعليه فإن أردنا الاستفادة من جوهر وجودنا والتي لا يتسنى للجميع درك قدرتها

١. الفوائد الرضوية: ٦٦٩.

٢. بحار الأنوار: ١٣٢/٣٤، نقلاً عن كتاب الأمالي للمرحوم الشيخ الطوسي: ١١٣/١.

علينا السعي والعمل بكلّ الإمكانيات والطاقات وصيها في هذا المسير والتشخيص  
الواضح للنهاية والعاقبة التي نصل إليها.

وقد قال مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى خطبه:

الْعَمَلُ، الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهَايَةُ، النَّهَايَةُ.<sup>١</sup>

وأما الشخص الذي لا يخطو في هذا المسير فكيف يمكنه درك الحقيقة  
والوصول إليها، ومن ثم قطع ذلك الطريق والعبور إلى شاطئ البر والأمان؟!

لا تترك الأنفاس في الهزل سدى      أدرك من جدّ وفي الجدّ العلى  
جوهره النفس إذا ضيعتها      في لعب لم تلق منها بدلاً

إذن على الإنسان السعي والبحث عن الحق والحقيقة بكلّ وجوده حتّى  
يصل إلى مراده وغايته التي ينشدها، وإليك قصّة جميلة في هذا المجال:

ينقل المرحوم الميرزا أبو الحسن الطالقاني، وهو أحد تلامذة المرحوم  
الميرزا الشيرازي قصّة يقول فيها: كنت مع عدد من أصدقائي متجهين إلى زيارة  
سامراء ومرقد الإمامين العسكريين عليه السلام، وذلك بعد الإنتهاء من زيارة كربلاء،  
وفي الطريق وبالتحديد في قرية «الدجيل» وقفنا قليلاً لنتناول طعام الغداء  
ونستريح ثم نكمل المشوار باتجاه «سامراء».

وفي هذا المكان التقينا بأحد طلبة حوزة «سامراء» يرافقه طلبة آخرون تبدو  
عليه بعض الملامح الغربية منشغلين في تهيئة الطعام، وفي ذلك الوقت  
سمعت من الطالب الذي هو برفقة طالب العلوم الدينية من «سامراء» يقرأ شيئاً،  
وعندما اقتربت منه وجدته يقرأ التوراة باللغة العبريّة، فتعجبت كثيراً فسألت  
من الطالب الذي يسكن «سامراء»، قلت له: من هذا الشيخ؟ وكيف تعلم اللغة  
العبريّة؟ فقال لي: إنّ هذا الشخص أسلم حديثاً وكان من قبل يهودياً، فقلت له:  
لابدّ أن تكون قصّته غريبة وأرجو منك سردها لي.



فسمع ذلك الشخص الذي أسلم حديثاً قولي فردّ قائلاً: إن قصّتي طويلة وعجيبة وعندما نتحرّك صوب «سامراء» أسردها عليك بكلّ تفاصيلها.

وعندما جاء وقت العصر تحرّكنا صوب مدينة «سامراء» فقلت له: هل حان الوقت لتقول لي ما قصّتك؟ فقال لي: إنني من يهود «خير» التي تقع بالقرب من المدينة، وكان هناك عدد من القرى والأرياف تجاور خير، حيث يعيش فيها مجاميع من اليهود، وذلك منذ عهد رسول الله ﷺ وكان في إحدى هذه القرى مكتبة للمطالعة فيها غرفة قديمة، وكان فيها كتاب التوراة يعود زمانه إلى وقت قديم جداً، حيث كُتب ذلك على غلافه الخارجي.

وكان باب هذه الغرفة مغلق دوماً وقفلت بقفل كبير، وكان القدماء من آبائنا وأجدادنا يوصون بعدم فتح تلك الغرفة وقراءة التوراة، وكان من المشهور بين الناس أن كلّ من قرأه أصيب عقله بالجنون! وكانت هذه التوصية مخصصة إلى الشباب!

ثم قال هذا الرجل: لقد أنتابني أنا وأخي نوع من الفضول، فأردنا قراءته والإطلاع على محتواه، فذهبنا إلى الكليدار الذي بيده المفتاح الخاص بهذه الغرفة وطلبنا منه برّجاء أن يفتح لنا الباب، ولكنّه رفض ذلك رفضاً قاطعاً وكان رفضه هذا أشعل فينا الشوق والفضول أكثر من قبل، وذلك من باب قاعدة «الإنسان حريص على ما منع»، فذهبنا مرّة أخرى له وأعطيناه مبلغاً من المال حتّى يفتحها لنا بشكل خفي لا يعلم به أحداً.

فوافق على ذلك وجئنا بالوقت المحدّد لنا ودخلنا الغرفة وبدأنا بهدوء وسكينة بقراءة كتاب التوراة الذي كان بالفعل من الكتب القديمة، حيث وجدنا ذلك مكتوباً على صفحته الأولى، وكانت هناك صفحة قد أثارت انتباهنا، وعندما دققنا النظر إليها وجدنا فيها: أن هناك نبياً يبعث من الجزيرة العربية في آخر الزمان، وقد ذكرت أوصافه وخصوصياته واسمه وحسبه، وكذلك جاء فيه أسماء أوصيائه، وهم اثنا عشر وصياً بأسمائهم وأوصافهم.

فقلت لأخي: من الأفضل لنا أن نكتب هذه الصفحة ونقوم بالبحث عن ذلك

النبي وأوصيائه، فكتبناها وخرجنا من الغرفة وكلنا شوق واشتياق لمعرفة ذلك مهما كلف الأمر.

وكان فكرنا مشغولاً بذلك الموضوع، وبما أن القرية التي كنا نعيش فيها بعيدة عن الطريق الأصلي للعبور والمرور طالت المدة ولم نحصل على شيء ملموس مما يدور في أذهاننا حتى مرّ على أرضنا واحد أو إثنان من التجار المسلمين، فسألنا منهم بشكل خفي عن تلك الأوصاف والشمائل التي تحلّى بها الرسول الأكرم ﷺ فجاءت مطابقة لما هو في تلك الصفحة، فحصل عندنا اليقين بأحقية الدين الإسلامي، ولكن لم تكن لدينا الشجاعة الكافية لإظهار ذلك، وكان الأمل الوحيد الذي يراودنا هو الفرار من هذه المدينة.

وتحدّثنا أنا وأخي عن كيفية الفرار، فقلت له: إن المدينة قريبة ومن الممكن أن يقبض علينا اليهود، لذا فإنّ من الأفضل الفرار إلى مدينة إسلامية أخرى. وكان إسم مدينة الموصل وبغداد قد طرق أسماعنا، وفي ذلك الوقت توفّي والدي وعين أحد الأشخاص وصيّاً ووكيلاً علينا جميعاً، فذهبنا إلى الوكيل وأخذنا مقداراً من المال منه، فركبنا سريعاً متجهين إلى العراق وسألنا عن مدينة الموصل فأرشدنا الناس إليها فدخلناها وقضينا الليلة في أحد خاناتها.

وعندما حلّ الصباح جاء عدد من أهالي المدينة إلينا وقالوا: هل تبيعون الخيل هذه؟ فقلنا لهم: هي ليست للبيع، ولكنهم أصرّوا على شرائها؛ لأنّها كانت من أجود أنواع الخيل في ذلك الوقت، ولكننا رفضنا، وفي النهاية قالوا: إذا لم تبيعونها فإننا نأخذها منكم بالإجبار والقوّة، فانصعنا لأوامرهم وبعناها لهم، وقلت لأخي: إنّ هذه المدينة غير آمنة بعد الذي حدث معنا، فعلينا الذهاب إلى مدينة بغداد، ولكن في الوقت نفسه كان هناك نوع من الخوف ينتابنا للذهاب إليها؛ لأنّ خالي يعيش هناك وهو من التجار الكبار فيها، وهو يهودي ونخاف أن يوصل خبرنا إلى أهالنا، ومن ثمّ يعثرون علينا ويرجعونا إلى مدينتنا.

وعلى أيّ حال، عزمنا على الذهاب إلى هذه المدينة، فوصلنا إليها وسكنا

في أحد فنادقها، وعند الصباح جاء إلينا صاحب الفندق ودخل إلى الغرفة وسألنا عن قصتنا، فذكرنا له ما جرى علينا من أحداث، حيث قلنا له: نحن من يهود خيبر، وإننا نرغب في الدخول إلى الدين الإسلامي، فنرجو منك أن تصحبنا إلى أحد العلماء المسلمين، فبدت على ذلك الرجل الكبير علامات التيسم والفرح والسرور، فقال: سمعاً وطاعة، فذهب بنا إلى بيت قاضي بغداد، وبعد السلام والتعارف شرحنا له قصتنا وطلبنا منه أن يعرفنا على أحكام الإسلام، فقال: جيد، ثم بدأ يشرح نبذة مختصرة عن التوحيد والأدلة التي تدل على وجود الصانع لهذا الكون، ومن ثم تحدث عن رسالة النبي الأكرم ﷺ والخلفاء من بعده وأصحابه.

وقال: إن الخليفة من بعد النبي ﷺ هو عبد الله بن أبي قحافة، فقلنا له: من هو عبد الله هذا الذي تتكلم عنه؟ حيث لم يأت إسمه في التوراة التي عندنا! فقال قاضي بغداد: هو الشخص الذي تزوج النبي ﷺ ابنته، قلنا: هذا غير صحيح؛ لأننا قرأنا في ذلك الكتاب أن وصي رسول الله ﷺ هو الذي تزوج من ابنته، وعندما قلنا له هذا الكلام تغيرت قسائم وجهه فعبس وقال لنا بغضب وعصبية حادة: أخرجوا هذين الرافضيين وبعد أن ضربونا أخرجونا من ذلك المكان، فرجعنا إلى الفندق، وعندما سمع صاحب الفندق ما جرى أخذ لايهتهم بنا.

وبعد هذه الحادثة ظهرت علينا علامات الإستغراب والتعجب على ما فعله القاضي بنا، بالإضافة إلى أننا لم نفهم ما قصده من كلمة رافضي؟ ومن هم الذين يقصدهم بهذه الكلمة؟ ولم خاطبنا القاضي بهذه الكلمة؟ ولماذا أخرجنا من مجلسه؟

وبقينا أنا وأخي نتكلم بهذا الموضوع إلى نصف الليل ولم نستطيع النوم طوال تلك الليلة، وفي الصباح الباكر نادينا صاحب الفندق وقلنا له: خلصنا من تلك الأسئلة التي تدور في أذهاننا، وما الذي جرى على القاضي؟ ولماذا طردنا من بيته؟ ولماذا نعتنا بالرافضيين؟ أما أن القاضي لم يفهم مقصودنا أو أننا لم

نتستطيع من إيصال الموضوع إليه بالشكل الصحيح والمطلوب؟ فقال: إنكم إذا كنتم تريدون الحقَّ والحقيقة واعتناق الإسلام، فعليكم القبول بكلِّ ما قاله القاضي.

قلنا: ماذا تقول؟ إننا تركنا المال والبيت والأهل وكلَّ شيء من أجل الإسلام. فقال: جيّد، تعالوا نذهب مرّة أخرى إلى القاضي وفي هذه المرّة عليكم القبول بكلِّ شيء وعدم مخالفته، فذهبنا إلى بيت القاضي، فبدأ القاضي بالحديث وقدم الموعظة والنصيحة وبعد ذلك تحدّثنا فقلنا له: إننا جئنا من مكان بعيد، وتركنا أعزّ الأشياء من أجل التعرّف على الدين الإسلامي، وليس لنا هدف سوى ذلك، فإذا تأذّن لنا لدينا عدد من الأسئلة؟ فقال القاضي: تفضّلوا إسألوا ما طاب لكم.

فقلنا: إننا قرأنا التوراة القديمة والصحيحة وكتبناها وكتبنا كلَّ ما يتعلّق بنبيّ آخر الزمان وأوصيائه وهو الآن عندنا، فلم يوجد فيه اسم عن عبد الله بن أبي قحافة، فقال القاضي: من هم الأشخاص الذين تناولتهم التوراة وجاءت أسماؤهم فيها.

قلنا: إن الخليفة الأول هو صهر النبي وابن عمّه، ولم نكمل كلامنا هذا حتّى عاد القاضي إلى حالته القديمة ولم يستطع ضبط نفسه، فأخذ حذائه ورماه على وجهي فتمكّنت من الفرار منه بمشقة، وكذلك أخي الذي فرّ منه في اللحظات الأولى من كلامه، فأخذت أتجول بأزقة بغداد بوجه مدمى ولم أعرف إلى أين أتّجه، حتّى مشيت ساعات فوصلت إلى نهر دجلة، فتوقفت هناك للإستراحة، إذ أنّ رجليّ لا تحمّلانني من أثر التعب وسيل الدماء والجوع والعطش من جهة، ومن جهة أخرى الخوف من المستقبل والغربة، وهنا أخذتني العبرة وبدأت أبكي على حالي وما جرى عليّ من مصائب ومحن.

فجأة جاء رجل يرتدي على رأسه عمامة بيضاء بيده جرتين خاليتين يريد ملاهما من ذلك النهر فاقترب منّي، وعندما شاهد حالي رثى له وسألني عن قصّتي، فقلت له: كل الذي جرى عليّ وإني غريب عن هذا البلد، ومن يهود



خيبر، وجئت إلى هنا للبحث عن الإسلام وتعاليم أحكامه، ولكن أصابني الذي أصابني، ثم أشرت إلى الدماء التي تسيل من وجهي.

فقال: أسألك كم هي عدد فرق اليهود؟ فقلت: هي كثيرة، فقال: إن عدد فرق اليهود هو واحدة وسبعون فرقة، فهل إنهم جميعاً على حق؟ فقلت له: كلاً، فقال: وما هو عدد فرق النصارى؟ فقلت: هم فرق متعددة ومختلفة، فقال: هم إثنان وسبعون فرقة، فهل كلهم على حق؟ قلت: بالطبع لا، فقال: إن الإسلام أيضاً فيه فرق متعددة، حيث يوجد فيه ثلاث وسبعون فرقة، ولكن هناك فرقة واحدة على حق، فقلت: إنني أبحث عن تلك الفرقة، فماذا عساني أن أفعل؟

فقال: اذهب من هذا الجانب إلى مدينة الكاظمية، وأشار إلى الجانب الغربي، ومن ثم قال: إن الشيخ محمد حسن آل ياسين هو الذي يقضي حاجاتك، ويساعدك في أمرك فتحركت، وإذا بالشاب الذي تحدثت معي قد غاب عن بصري، فكلما نظرت إلى هذا الصوب وذلك الجانب فلم أعر عليه، فتعجبت لذلك الأمر كثيراً، فقلت في نفسي: من هو هذا الشاب وماذا جرى له وكيف غاب عني؟ حيث تحدثت عن نفسه وعن الأوصاف التي ذكرته التوراة بخصوص النبي وأوصيائه، وقال: أتريد أن أقرأها عليك؟ فقلت: بلى؛ فبدأ بقراءتها وكأنه هو الذي كتبها بيده، وبما أنه غاب عن أنظاري تيقنت أنه رجل إلهي، ولم يكن من الأشخاص العاديين لذا اعتمدت على هدايته وكلامه.

فشعرت بقوة بداخلي وبدأت أبحث عن أخي فوجدته وهو أيضاً يبحث عني وبدأت أكرر كلمة الكاظمية والشيخ محمد حسن آل ياسين، حتى لا أنساها فسألني أخي: أي دعاء تقرأه؟ فقلت: إنه ليس بدعاء وبدأت أحدثه بما جرى علي أثناء غيابه، ففرح لهذا الموضوع كثيراً.

وبعد السؤال وصلنا إلى مدينة الكاظمية، ودخلنا إلى بيت الشيخ محمد حسن آل ياسين، فشرحنا قصتنا من أولها إلى آخرها، فقام الشيخ وبكى بصوت عالٍ، فقَبَلَنِي بين عيني وقال: إن هذه العين رأت الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وكنا إلى مدة في ضيافة الشيخ، حيث تعرفنا

على العقائد الحقّة للشيعة.<sup>١</sup>

نعم؛ إنّ أولئك الذين يتركون الوطن والأهل، ويسعون لأجل طلب الحق والحقيقة وتملاً وجودهم الرغبة والميل لذلك، فإنّهم سيحفظون بكلّ تأكيد بعناية ورعاية مولانا بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف والاستفادة من فيوضاته الربانيّة، ولن يتركهم في محتتهم وغربتهم وحيدين.

إنّنا نرى اليوم أنّ الكثيرين من الأفراد قد أدركوا حقيقة التشييع وعلموا بأحقّيته على سائر الفرق والمذاهب الأخرى، ولكنّهم نتيجة الخوف أو عوامل وهميّة وخياليّة لم يتمكّنوا من الدخول فيه والرجوع إلى مذهب فطرتهم الصحيحة، وما القصة التي أوردنا إلّا درس يجب أن يأخذوا به، ولتكون عبرة لهم.

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| بقدّر الكدّ تكتسبُ المعالي | ومن طلب العلا سهر الليالي |
| ومن رام العلا من غير كدّ   | أضاع العمر في طلب المحال  |
| تروم العزّ ثمّ تنام ليلاً  | يغوص البحر من طلب الآلي   |

فإذا كان البحث عن الحقيقة أمراً واقعياً وصادقاً، فلا بدّ أن يتحمّل الإنسان كلّ المحن والمشاكل التي تقف أمامه وعدم القعود قانطاً بانتظار ما ستؤول له الأيام، فهذه هي بضاعة العاجزين.

يقول الإمام مولى الموحدين علي عليه السلام:

إِيَّاكُمْ وَالْإِيكَالَ بِالْمُنَى، فَإِنَّهَا مِنْ بَضَائِعِ الْعَجْزَةِ.<sup>٢</sup>

وعلى ضوء ذلك، فإنّ الواجب يقضي على من يعشق مذهب أهل البيت عليه السلام ويريد معرفة تعاليمه المتعالية ومبادئه الحقّة أن يزرع في نفسه الأمل والتطلع لنيل مقصده والعمل بكلّ جدّية ومثابرة؛ باعتبار أنّ شعار العظماء وأصحاب العزائم والهمم العالية كان دائماً هو السعي والعمل للوصول إلى المطلوب.

١. معجزات وكرامات الأئمة الأطهار: ١٧٥ للمرحوم آية الله السيّد هادي الخراساني.

٢. أمالي الطوسي: ١٩٣/٢ نقلاً عن بحار الأنوار: ١٨٨/٧١.

إذن بالعمل والسعي تقوى الإرادة الإنسانية وتتضاعف، وهو علامة فارقة على شخصية الفرد ومدى قوتها وتحملها في طريق ذات الشوكة، وبالتالي فإن العمل يبعد الإنسان عن توهّمات ونفوذ الشياطين ويقوده إلى سفن النجاة.

### ابدأ العمل عن وعي ودراية

يرى مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام أن الشرط المهم المترتب على العمل والنشاط هو العلم والدراية عنه، وقراءة الواقع المحيط وما يحدث فيه، ويقول في حديثه الساطع والذي هو نور وهداية للأمة جمعاء:

فَالنَّاطِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدِّئَ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ.<sup>١</sup>

وزن بميزان الشرع كلّ خاطر  
وإن يك ممّا نهيت عنه  
فإن يك مأموراً فبادرته  
فهو من الشيطان فاحذرته

### الأخذ بنظر الاعتبار ظروف العمل والمعوقات التي تواجهه

يجب على كلّ شخص تهيئة الأرضية المناسبة والأسباب والدواعي والظروف الخاصة بالعمل الذي يريد القيام به، ومواصلة ذلك الطريق مهما كانت النتائج والموانع التي تقف حائلاً دون نجاحه وتكريس مبدأ الإستطاعة في داخله؛ وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين في مواصلة حديثه حين قال عليه السلام:

وَمَنْ لَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ.<sup>٢</sup>

دع عنك ذلك، فإن كلّ عمل مفيد يحتاج إلى توفير أسباب نجاحه وعوامل ديمومته، ومعرفة الموانع والعقبات التي يمكن أن تواجهه والتخطيط والبرمجة

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٥٤.

٢. تحف العقول: ٨٨، بحار الأنوار: ٢٣٨/٧٧.

الصحيحة ، حتّى يمكن للإنسان إزالتها ومن ثم الوصول إلى الهدف المطلوب . وعلى هذا الأساس ومن أجل الحصول على نتائج جيّدة من العمل والنشاط الذي قام به الشخص فلا بدّ من رفع الأمور والقضايا التي تقف حجر عثرة أمام سعيه والتي من شأنها التأثير عليه من أمام طريقه وإلا فإنّ خطأ بسيطاً يهدم كلّ ما بناه ، وتذهب تلك الجهود في مهب الريح .

إنّنا نرى أنّ الكثيرين يقومون بأعمال شاقة ورياضات روحية وجسدية كبيرة ، ولكن في النهاية لا يحصدون إلا التعب والنصب والضرر منها .

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

رُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ<sup>١</sup>

ومن هنا فلا بدّ للشخص من الدخول بقوة في معترك العمل المراد تحقيقه ، ووضع استراتيجية خاصّة لمعرفة الملاحظات التي تحيط به ومعالجة الأخطاء التي وقع فيها سابقاً وتحمل كل الصعاب في سبيل ذلك حتّى يخرج محملاً بالتفاؤل والنجاح .

وهنا نذكر نموذجين من الموارد التي تعدّ موانع مهمّة في طريق عامّة الناس للوصول إلى الأعمال والنشاطات المثمرة .

### موانع العمل والسعي :

#### ١ - الإعتياد على الأعمال الدانية والإستئناس بها

واحدة من الأمور والقضايا تمنع الإنسان من نيل مبتغاه في الأعمال التي يقوم بها وتعدّ من الآفات الملموسة والمحسوسة والمهمّة في إيقاف عجلة نشاطه ، ولها آثار مخربة عظيمة وشديدة للغاية هي الغلبة على عادات الأعمال السابقة ، ومن هنا جاء قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام :



## آفة الرياسة غلبة العادة<sup>١</sup>

إنّ الإعتياد على الأعمال الطالحة أو تلك التي لا قيمة لها هي مؤامرة كبرى ومخرية يشنها الإنسان على نفسه لمحو الآثار المترتبة على العمل والسعي، كما تعمل الجراثيم على سلب الصحة والسلامة من جسم الإنسان، ويبدو أننا لانبالغ إذا قلنا: إنّ غلبة وسيطرة العادات السيئة والقيحة تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على القيام بالأعمال التي لها أبعاد وآفاق بعيدة المدى والمشاريع المهمة وتسلب عوامل النجاح منها.

إنّ الإنسان إذا أراد الوصول إلى النتيجة المطلوبة، ويرى ثمرات عمله وسعيه فلا يكتفي بالنشاطات والفعاليات الحياتية فحسب، وإنما عليه التغلب على العادات التي من شأنها إحباط كلّ مساعيه وجعلها في خبر كان.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد:

## الفضيلة غلبة العادة<sup>٢</sup>

ومن هنا فإنّ الحصول على الفضائل الإنسانية لا يمكن من خلال العمل والسعي فقط، وإنما الغلبة على العادات السيئة والقيحة ونأتي هنا بمثال بسيط، وهو إذا أراق الإنسان ماءً طاهراً ونظيفاً في حوض مملوء بالماء الملوّث، فإنّه بمجرد سكب الماء النظيف المحدود فيه لا يتغيّر أوصاف الحوض إلّا إذا استمرت تلك العملية وسكبنا ماءً كثيراً عليه، ففي تلك الحالة سوف يغلب على الماء الملوّث فيغيّر حينها طعم ولون ماء الحوض ويصبح ماءً زللاً وطاهراً.

إنّ مثل العادات السيئة والطالحة كمثال المياه الملوّثة، فإنّها تلوث أعماق الإنسان ووجوده في حين أنّه يصل إلى مراتب الفضيلة والسموّ عندما يطهر أعماقه من تلك العادات ومن ثمّ تأتي مرحلة الغلبة عليها، وأما إذا غلبت

١. شرح غرر الحكم: ١٠٤/٣.

٢. شرح غرر الحكم: ٩٧/١.

العادات السيئة فيصبح العمل الصالح كمثل سكب الماء الزلال في الحوض المملوء بالمياه الآسنة، فإنّ هذا العمل لا يظهر وينظف ماء الحوض، وإنّما يلوث نفس الماء الزلال، وبالطبع فإنّ سكب الكثير من الماء الزلال واستمرارية العمل عليه لمدة من الزمن هو الذي يستطيع إخراج الحوض من حالة التلوث. وهذا هو الجاري في العادات لدى الإنسان إذ عليه القيام بالأعمال الصالحة والخيرة بشكل دائم والمواظبة عليها حتّى يتمكّن من قلع جذور العادات السيئة من أصلها وإلاّ لن يحصد من أعماله الصالحة والخيرة شيئاً.

ولذا فإن أراد الشخص ممّا أن ترسو أعماله وأفعاله على برّ الأمان ويرى ثمارها ونتائجها في دنياه قبل آخرته، فعليه أن يزيل الموانع والعقبات التي من شأنها تعويده على الأعمال والأفعال المتدنية والتي يكون الخطأ والانحراف عن الهدف من أهمّها.

وكما شاهدنا في قصّة الشابين الخبيرين، وكيف أنّهما استطاعا التخلص من الإعتياد على وضعهما السابق والسير في طريق الفضيلة والسعادة.

## ٢ - النصب والفتور

إنّ المانع والعقبة الثانية التي تقف في طريق القيام بالعمل هو التعب والكسل، حيث يجب على الإنسان عدم المزايدة في فعل الخير وتركه، لأجل حالة الكسل التي تصيبه؛ باعتبار أنّ الكسل قد تكون عارضة مؤقتة وكاذبة، وفي تلك الحالة عليه التخلّص منها بطريقة ذكيّة وبنظر ثاقب، وليس ترك العمل ووضع يده على خدّه، وأمّا في حالة إصابته في هذه الحالة فإنّه يستطيع من خلال الإصرار والمقاومة وإيجاد التنوع في الأعمال الخلاص منها.

يقول مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصيّته لابنه الإمام الحسين عليه السلام:

بَيِّ أَوْصِيكَ... بِالْعَمَلِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ<sup>١</sup>.

١. تحف العقول: ٨٨، بحار الأنوار: ٢٣٨/٧٧.

ويمكن الاستفادة من هذه الوصية بأن الإنسان يجب عليه المحافظة على مسار العمل وديمومته إذا أصابته حالة التعب والنصب، إذ إن الجلوس عاطلاً يؤدي إلى أن يفقد ذلك العمل مقوماته الحيوية والفاعلية بالإضافة إلى شعوره بخيبة الأمل وفقدان الشعور بلذة الحياة، وأما إذا حدث له تلك الحالة فما عليه سوى إختيار عمل آخر، فإن ذلك يعيد له نشاطه وحيويته؛ لأنّ التغيّر والتنوّع في العمل والخروج من حالة الرتابة يمنح الفرد النشاط والحيوية وتنجيّه من الملل وتمنحه التوفيق في إنجاز عمل آخر.

وعلى ضوء هذه الحقيقة فإنّ الإنسان يمكنه وبدل رفع يديه عن العمل بدليل التعب أن يستمر بفعاليّته ونشاطه من خلال التنوّع والتحوّل والتغيّر في العمل، فهو بهذه الطريقة والأسلوب يتخلّص من حالة النصب والعياء التي تلازمه.

إذن فإنّ أحد النتائج التي يمكن استخلاصها من الوصية التي أوصى بها أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسين عليه السلام هي عدم جعل التعب والنصب والكسل حجة وذريعة في ترك العمل والفعالية.

|                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| دع الخمول والنوم والركود       | وانهض لتعمل وقم ببذل مجهود      |
| واجعل الإرادة لك حافزاً ووقود  | واعمل بجِدّ تفتح لك كلّ السدود  |
| تشجع كافح وكن مع الناس ودود    | تلين لك الأشواك وتصبح ورود      |
| أظهر مهارتك وتحدي كلّ السدود   | وكن رمزاً بارزاً مثلاً للصمود   |
| لاتيأس ولا تسبالي بالردود      | وواجه أجواء البروق والرعود      |
| أتقن أعمالك واختمها بالمرودود  | يبقى عليها الناس للأبد شهود     |
| أكتب إسمك بأعرض البنود         | يكتب في التاريخ مع مر العقود    |
| كن كريماً طيباً وتميّز بالجدود | وكن صادقاً أميناً وفيّاً للوعود |
| ضع بصمتك واثبت للوجود          | بأنّ الإبداع ليس له حدود        |

وأما النتيجة الأخرى التي يمكن الاستفادة منها من هذه الوصية القيّمة هي أنّ التعب المفرط والملل والروتين ومن أيّ الأنواع كانت سواء من جهة صعوبة

العمل والمشروع أو من جهة عدم استقبال الناس أو سائر الأمور الأخرى، فلن يكون ذلك أيضاً سبباً مقنعاً في تركه؛ لأنّ العمل والمشروع الذي اختاره، وأراد السير فيه إذا كان صحيحاً من وجهة نظر الدين وأمضى عليه الشارع المقدّس فيجب عدم تركه لإرضاء الناس، إذ إنّ إرضائهم غاية لاتدرك، وبالتالي فقد الأمل بل إنّ الوظيفة تحتم عليه الإستمرار فيه مادامت القناعة موجودة والتشخيص صحيحاً ولكن بشكل ونمطية أخرى.

أنظر إلى القصّة التي سوف نسردها إليك عزيزي القارئ، وكيف أنّ المرحوم المحدث النوري ترك كلام الناس جانباً واستمرّ بجديّة ومثابرة منقطعة النظير، وذلك من أجل العثور على كتابين خطيين.

### السعي والتوسّل للعثور على الكتابين الخطيين

يقول العالم الرباني المرحوم السيد أسدالله الإصفهاني: تشرّفت يوماً مع المرحوم المحدث النوري بزيارة كربلاء المقدسة، وفي أثناء الطريق ذكر المحدث كتابين وقال عنهما: لديّ الرغبة والعلاقة الشديدة لاقتنائهما، وقد بحثت عنهما كثيراً من دون جدوى، ولكن في سفري هذا سوف أواصل البحث وأطلب من مولاي الإمام سيّد الشهداء عليه السلام مساعدتي في إيجادهما.

وقد كرّر كلامه هذا لمرات عديدة حتّى دخلنا إلى مدينة كربلاء المقدسة وتشرفنا بزيارة ضريح مولانا الإمام الحسين صلوات الله عليه وبعد الإنتهاء من الزيارة والخروج من الحرم الطاهر شاهدنا امرأة بالقرب من مكان الأحذية ويدها كتابان، فسأل منها المحدث النوري عليه السلام ما هذان الكتابان؟ فقالت المرأة: إنهما للبيع، فلمّا تصفّحناهما وجدناهما هما الكتابان اللذان سعى المحدث النوري عليه السلام للحصول عليهما، فسأل منها المحدث بكم تبيعهما؟ فقالت المرأة: بإثنين وعشرين قران، فالتفت لي وقال: أعطها كلّ ما نملك، فكان كلّ ما نملك أنا وهو ستّة قرانان، فأعطيناها إليهما.

فقلت في نفسي: إنّنا دخلنا إلى هذه المدينة ولما نأكل شيئاً وقد أنفقنا كلّ



المال الذي عندنا من أجل شراء الكتابين ، فمن أين نأتي ببقية المال لكي نعطيه إلى تلك المرأة ؟

ثم التفت المحدث إلى المرأة وقال لها: تعالي معنا إلى السوق لنكمل لك بقية المال ، وهناك باع المحدث عمامته وعباءته وقبائه ولكن لم يكتمل المال ، فبادر إلى بيع حذائه فاكتمل بقية المبلغ وأعطاه إلى المرأة .

ولم يبق على جسده سوى العراقجين والقميص وسروال ! فقلت له : مولانا ماذا عملت بنفسك ؟ فقال : لا تبالي فالأمر سهل ، إنني الآن درويش ! فدخلنا بهذا الوضع إلى الحرم الشريف فشاهدنا بعض الأصدقاء فجاءوا بملابس فلبسها المحدث .

إنَّ المرحوم المحدث النوري هو واحد من كبار علماء الشيعة ، ويتمتع بجلالة كبيرة ومنزلة رفيعة ، إلاَّ أنه ولأجل الحصول على هذين الكتابين تضرع كثيراً وسعى طويلاً ومشى في الأزقة والأسواق من دون عباءة وعمامة وقبا ، ولم ير في ذلك منافاة مع جلالة قدره ومنزلته العلمية .<sup>١</sup>

### العمل والسعي المتزامن مع التدبير والتنظيم

من الخصال التي يتمتع بها الشخص المؤمن والعاقل هي السعي والعمل المتواصل طوال حياته ، ومن الطبيعي بإمكان أن تجد مثل هذا الشخص لا يتراجع قيد أنملة عن طريقه الذي شقه بجهوده وسعيه المضني ، فتراه ينطلق من قاعدة الثقة المطلقة بالله ، والثقة المطلقة بقدراته الإيمانية ، فتكون هذه المسألة هي حجر الأساس في عملية الوصول إلى أهدافه ومقاصده .

ينقل عن مولانا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حديثاً يوضح فيه هذه الحقيقة فيقول فيه :

١ . راجع إلى كتاب معجزات وكرامات الأئمة الأطهار عليهم السلام : ٧٢ .

### الْمُؤْمِنُ قَلِيلُ الزَّلَلِ، كَثِيرُ الْعَمَلِ.<sup>١</sup>

إنَّ الإنسانَ المؤمنَ والعاملَ لا يرتكبُ الأخطاءَ إلا نادراً، ولن يتعثّر في خطاه، فهو ثابت القدم، فينطلق من عمق المسئوليّة، فتراه يمتلك النظرة الجادة العميقة للأمور، وهذا دليل على الحقيقة القائلة بأنّه صاحب كياسة وفطنة وقدرة وتدبير.

قال مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

### التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْفِعْلِ، يُؤْمِنُ الْعِثَارُ.<sup>٢</sup>

ويقول عليه السلام في حديث آخر يحذّر الإنسانيّة من مغبة العمل والإقدام من دون تدبير ودراسة للأمور :

### إِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بَغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ.<sup>٣</sup>

وأما في خصوص الأعمال والنشاطات الاجتماعيّة فيقول صلوات الله عليه :

اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ آخِرُ الْأَيَّامِ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ.<sup>٤</sup>

وبالطبع فإنّ في هذا الحديث إشارات متعدّدة تدلّ على وجوب تعيين وظيفة لكلّ شخص، ومسئوليّة يأخذها على عاتقه في الأعمال الجماعية والطلب لانجازها حتّى لا يكون هناك تهاون واتكال، وبالتالي الإسترخاء والتخبط وافتقادها إلى مقوّمات التقدم والإنجاز.

ولكنّ الإنسان في ذات الوقت عليه الإلتفات إلى نقطة، وهي أنّه في حالة حصول النجاح ونيل التوفيق في تلك الأعمال عليه أن لا يصاب بداء العجب

١. شرح غرر الحكم : ٣٨٣/١.

٢. شرح غرر الحكم : ٣٨٤/١.

٣. شرح غرر الحكم : ٢٢٠/٢.

٤. بحار الأنوار : ١٤٣/٧٤، نقلاً عن نهج البلاغة الرسالة رقم ٣١.

والغرور، ويرى أنها من نتاج قدرته، والتي جاءت من إرادته وتصميمه القاطع؛ لأن الإنسان يكون عاجزاً وضعيفاً ما لم ينل التوفيق الإلهي، وإن الله سبحانه وتعالى هو من أوجد لديه تلك الإرادة.  
عن مولانا صادق أهل البيت عليه السلام قال:

فَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ إِنَّ سَرَكَمُ أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا وَلَا  
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.<sup>١</sup>

إن الإنسان وعلى سبيل الفرض أنه قد نال توفيقاً عظيماً وقام بأصعب الأعمال وأعقدها، وعبد الله صباحاً ومساءً، فعليه في كل الأحيان أن لا يصاب بالغرور، ويعتقد في قرارة نفسه أنها نتيجة القوة والقدرة التي يمتلكها، وهنا لا بد من درك حقيقة مفادها: أن القوة هي الله الواحد القهار، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام حين قال: «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» إذن هو لطف من الله شمل حال ذلك الإنسان المؤمن الحقيقي وأولياء الله المخلصين وجعلهم يقومون بتلك الأعمال والأفعال بسهولة مطلقة على الرغم مما تحمل من مشقة وليس قدراتهم وقواهم الشخصية.

قال الله عز وجل في محكم كتابه العزيز:

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ.<sup>٢</sup>

لأنه وكما أن منشأ ومصدر جميع الحسنات والخيرات هو الله تعالى، فإن الدافع من وراء كل السيئات هي النفس الأدمية، فإنها ونتيجة حديث النفس أو الوسوس الشيطانية تجر الإنسان إلى التية والضباع والضلالة.

١. بحار الأنوار: ٧٨/٢٠٠.

٢. النساء: ٧٩.

### نتيجة البحث

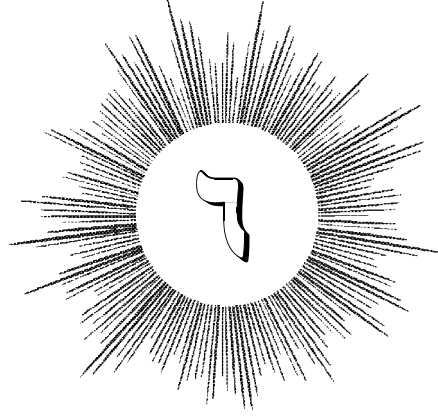
مما لا شك فيه أنّ السعي الحثيث والجهد الجهيد هو قناة وسيلة للوصول إلى الآمال العريضة والأهداف الكبيرة والتطلعات العظيمة . إنّ الإنسان إذا أراد الحصول على النجاحات الباهرة ، فما عليه سوى أن يجعل نفسه مطيعة للعقل وإرادته قويّة لأجل الضبط والسيطرة ، والنتيجة عدم إثارة الشهوات المادي واستفحالها فيصبح عرضة للانغماس فيها .

ولابدّ له من السعي والعمل الجاد والمتواصل في القيام بالمشاريع والبرامج التي من شأنها من إيصاله إلى السعادة المنشودة . وكذلك يجب على الإنسان أن يبدأ أيّ عمل أو مشروع يراد القيام به بعلم ودراية كافيين وضمانة نجاحه وتحقيق المستقبل المطلوب من خلال التدبير والتخطيط الصحيح والمبرمج . وأيضاً عليه أن يهيئ كلّ المقدمات اللازمة والضرورية للعمل ورفع الموانع والعقبات التي تواجهه .

إنّ الإنسان إذا صمّم أن يكون له مستقبل زاهر ومشرق شبيه الشخصيات العظيمة فلا بدّ له من أن يدرك أنّ الإعتياد وممارسة الحياة السابقة هي أكبر مانع لتطوّره ، وأنّ الذي لا مناص له هو ترك جميع العادات العقيمة حتّى يتمكن من تحكيم إرادته وتأهيله لمجاربة الأمور والوقائع الصعبة والعسيرة .

وكذلك يجب على الإنسان أن يأخذ بمبدء العمل ويجعله المحرك الأوّل في مفاصل حياته ، وإنّ هذا النمط من التفكير يصل به إلى منتهى آماله وتطلعاته ، وذلك بعد حصول الإرادة والمشئّة الإلهية .

اعزم وكد فإن مضيت فلا تقف  
واصبر وثابر فالنجاح محقّق  
ليس الموفّق من تؤاتيه المنى  
لكن من رزق الثبات موفّق



التوسّل

من أقوال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

هم الوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه

### ذكر البارئ عز وجل وأهل البيت عليهم السلام

إنَّ من الشواهد التي لا تحتاج إلى الكثير من الدلائل والبيانات هي أنَّ ذكر الله عز وجل يحيي القلوب، ويبث فيها روح السكينة والحياة، ويجليها وينجيها من القساوة، وأمَّا الغفلة وترك ذكره وذكر أهل البيت عليهم السلام يجعل القلب مسوداً ويصاب بالحيرة والضياع، ومن هنا يخاطب البارئ جلّ وعلا نبيّه موسى قائلاً:

يَا مُوسَى؛ لَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَا تَدْعُ ذِكْرِي عَلَى كُلِّ خَالٍ؛ فَإِنَّ  
كَثْرَةَ الْمَالِ تُنْسِي الذُّنُوبَ، وَإِنَّ تَرْكَ ذِكْرِي يُقْسِي الْقُلُوبَ.<sup>١</sup>

وجاء هذا الأمر نتيجة أنَّ ترك ذكر الله تعالى يجعل الشيطان يسيطر على الإنسان، ويسلب منه الطمأنينة وراحة البال والعيش الرغيد.  
يصرح البارئ عز وجل في محكم كتابه العزيز قائلاً:

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>٢</sup>.

١. بحار الأنوار: ٦٣/٧٢، نقلاً عن علل الشرايع: ٧٧/١.

٢. الزخرف: ٣٦.

ومن الآثار التي تترتب على ترك ذكر الله عز وجل هي نسيان الذنوب وقساوة القلب وتسلب الشيطان وأمور أخرى كثيرة، وبطبيعة الحال فإن الذكر ينجي الإنسان من جميع الأمراض الروحية، ويجلب له الشعور بالإطمئنان والثقة والإيمان، ولا بد هنا من القول إن ذكر أهل البيت عليهم السلام هو من ذكر الله تعالى، وإن نفس الآثار التي تترتب على ذكره عز وجل تترتب على ذكرهم صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الإمام الباقر عليه السلام :

إِنَّ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ<sup>١</sup>.

ولانجافي الحقيقة إذا قلنا: إن الوظيفة تحتم علينا ليس ذكرهم فحسب، وإنما اللجوء إليهم والتوسل بهم وتقديمهم بين يدي الله جل وعلا في الشدائد والمصائب والمحن التي تنم بنا؛ باعتبارهم سفن النجاة وملجأ وكهف حصين للناس الذين ظلموا، وليس لهم ناصر ومعين .

إن أهل الوحي والرسالة عليهم السلام هم من يسمع أصوات وآهات المحرومين الذين تتلاعب بهم أمواج الحياة، وتقذف بهم يمينا وشمالاً فأضناهم وجدهم وآلمهم وهم زفراء المستضعفين الذين تنظر عيونهم إلى الدرب وهم من ينجي كل صاحب مشكلة، وأيضاً هم من يخلص الأمة من الفتن التي تعصف بها لذا أنشدت إليهم العيون والأسماع، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد:

أَيُّهَا النَّاسُ؛ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ<sup>٢</sup>.

ويصرح عليه السلام في رواية أخرى قائلاً:

مَنْ رَكِبَ غَيْرَ سَفِينَتِنَا غَرِقَ<sup>٣</sup>.

١. بحار الأنوار: ٤٦٨/٧٥.

٢. نهج البلاغة: الخطبة الخامسة.

٣. شرح غرر الحكم: ١٨٤/٥.

ولهذا يجب على الإنسان أن يستعين بهم في جميع المحن والمصائب التي يقع فيها حتّى في المسائل والمشاكل العقدية، وإلا فإنّ الضلالة والتمية هي التي تكون من نصيبهم.

عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال :

مَنْ يَطْلُبِ الْهُدَايَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا يَضِلُّ.<sup>١</sup>

وعلى ضوء ذلك نقول: ما هي عاقبة ومصير أولئك الذين اتّبعوا ويتبعون أهل الخساسة والرذيلة وحفرة القبور وبائعي الحمير؟

وعادة ما نشاهد أنّ الذين يلجأون في المشاكل والفتن وأعاصير المحن المدمّرة وأمواج البلاء العاتية إلى غير الله تعالى وأهل البيت عليه السلام سرعان ما ينحرفون عن الجادة القويمة، وينجرون إلى مجموعة من التناقضات والأكاذيب والخرافات التي لا تمت إلى الدين بصلة فتترتب عليها آثار بالغة الخطورة، بينما نجد أنّ من يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويتمسك بأهل البيت عليه السلام وطلب العون والمساعدة منهم قد حصن نفسه قبال التمية والضلالة والهلكة واستطاع الوصول إلى برّ الأمان.

إنّ الفتنة هي شبيهة بالجزر والمدّ، فهو يحرك السفن والقوارب بنفس الحركة والارتفاع، ولكنّه التلاطم الحاصل منه لن يغرق جميع السفن، وهذا هو حال الفتن والمشاكل، فمع فداحتها وعظمتها وخطورتها فهي غير قادرة على إهلاك جميع الإنسانية؛ لأنّ هناك سفناً عظيمة تستطيع إيصال البعض منهم إلى الساحل بأمان وسلامة.

|                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| إذا رمت يوم البعث تنجو من اللظى | ويقبل منك الدين والفرض والسنن   |
| فوالِ عالياً والأئمة بعده       | نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحن |
| فهم عترة قد فوّض الله أمره      | إليهم لما قد خصّهم منه بالمنن   |
| أئمة حقّ أوجب الله حقّهم        | وطاعتهم فرض بها الخلق تمتحن     |

١. شرح غرر الحكم: ٣٠٨/٥.

ولانبالي إذا قلنا: إنّ هناك ثلّة من البشر لا تقاوم قبال الفتن والصعاب فحسب، وإنّما تزيد يوماً بعد آخر من مكانتها ومنزلتها وتناطح السحاب في عزّها وكرامتها.

فإذا أراد الإنسان أن يكون في عداد هؤلاء، فعليه التمسك أثناء أعاصير البلاء والفتن وتلاطم أمواج البلاء بسفن النجاة والعروة الوثقى، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام وعدم التفريط بولايتهم الكبرى والتوسّل بهم للنجاة من كلّ الأباطيل والانحرافات والشبهات الضالة.

### التوسّل من المنظار القرآني

وعلى أساس ما قلناه فإنّ الإنسان عليه التوسّل بأهل البيت عليهم السلام في الشدائد والمحن مهما كانت حجمها ونوعها، والاستفادة من عنايتهم وأطافهم، يقول مولانا الإمام ثامن الحجج عليه السلام:

إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>١</sup>، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا، قَالَ: فَادْعُوهُ بِهَا.<sup>٢</sup>

وعليه فإنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأسماء الحسنى لله عزّ وجلّ، ولا شكّ فإنّ الإمام بقيّة الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء هو المظهر والأنموذج الكامل الذي يمثلهم في هذا العصر والزمان والذي تتجلّى فيه العنايات والكرامات الربانيّة والفيوضات الإلهيّة لنا. ومن هنا لابدّ لنا أن تكون خطانا ومسيرتنا ومنهجنا مبنيّ على التقوى واجتناب المعاصي والآثام، وبالتالي نتّمكن ومن خلال التوسّل ودر فيوضاته وكراماته علينا من نيل القرب الإلهي.

١. الأعراف: ١٨٠.

٢. بحار الأنوار: ٩٤/٦، نقلاً عن تفسير العياشي: ٢/٤٢.

وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة حين قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

وبالطبع فإننا ومن خلال التوسّل بأهل البيت عليهم السلام نطلب الإستمداد من عالم الغيب، وأيضاً نستدرّ عناياتهم وألطافهم المستفيضة إلينا.

### التوسّل في الأدعية والزيارات

من الحقائق المسلّمة بها أنّ هناك الكثير من الناس من شاهد النتائج الملموسة والشواهد الحيّة، وذلك بعد التوسّل بأهل البيت عليهم السلام وجعلوهم الوسائط بينهم وبين الله عزّ وجلّ في قضاء حوائجهم وحلّ مشاكلهم، وبالطبع فإنّ جميع أتباع ذلك البيت الطاهر لمسوا عن قرب قضاء حوائجهم من خلال التوسّل بهم أو كانوا شهود عيان على قضاء حوائج الآخرين، وعادة ما تكون تلك المشاكل والحوائج محالاً قضاؤها وحلّها عقلياً وعلمياً.

ونظراً لأهميّة التوسّل بأهل البيت عليهم السلام فإنّه لم يأت في القرآن الكريم والروايات الشريفة فقط، وإنّما جاء التركيز عليه حتّى في الأدعية والزيارات، حيث تحثنا على العمل به، وإننا في هذا المورد نكتفي بذكر نموذجين وهما:

١- نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام :

اتَّوَسَّلْ إِلَى اللَّهِ بِكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ أَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ،  
وَبِكَ يَتَوَسَّلُ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ فِي حَوَائِجِهِمْ.<sup>٢</sup>

إنّ قضية التوسّل بالإمام سيّد الشهداء عليه السلام والبكاء على مصيبتة وإقامة مراسم العزاء عليه هو باب مفتوح إلى جميع الناس حتّى أولئك المذنبون والعاصون

١. المائدة: ٣٥.

٢. بحار الأنوار: ١٠١/١٦٨.

حيث يستطيع كل من يستحيي من سلوكه وأفعاله المشينة التوجه إلى الإمام الحسين عليه السلام والطلب منه ليكون الواسطة إلى الله تعالى للعفو عن تقصيراته، فهو بالتأكيد يأخذ بأيدي كل من يتوسل إليه من البؤساء والمذنبين، وهذه حقيقة لا مفر منها.

٢- نقرأ في دعاء يوم عرفة:

... أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ ﷺ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَآتَوْسَلُ إِلَيْكَ بِالْأَئِمَّةِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِسِرِّكَ، وَأَطَلَّغْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ.<sup>١</sup>

إنَّ شيعَةَ وَاتِّبَاعَ وَمُحِبِّي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَنْ يَضَعُوا الْأَئِمَّةَ الْأَطْهَارَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسِيلَةً لِلشَّفَاعَةِ عِنْدَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ عَنَايَاتِهِمْ وَفِيوضَاتِهِمْ، فَحَسَبَ وَإِنَّمَا يَتَوَسَّلُونَ بِأَسْمَائِهِمُ الطَّاهِرَةِ وَالشَّرِيفَةِ، وَيَعْتَقِدُونَ وَيُؤْمِنُونَ الْإِيمَانَ الرَّاسِخَ وَالْيَقِينَ بِأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ هِيَ الَّتِي تَقَرَّبُهُمْ وَتَرْضِيهِمْ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

فنقرأ في زيارة مولانا الإمام الرضا عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَسْمَائُهُمْ وَسِيلَةُ السَّائِلِينَ، وَهَيَاكِلُهُمْ أَمَانُ الْمَخْلُوقِينَ، وَحُجَجُهُمْ إِبْطَالُ شُبُهَةِ الْمُلْحِدِينَ...<sup>٢</sup>

وعلى ضوء ذلك، فإنَّ أَسْمَائِهِمُ الْمُبَارَكَةُ هِيَ مَنْشَأُ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ، وَوَسِيلَةُ قَبُولِ رِضَا فِي مُحَضَّرِ قُدْسِيَّتِهِ، وَلِهَذَا نَرَى أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ يَقِيمُونَ الْمَجَالِسَ وَالْمَأْتَمَ لَذِكْرِهِمْ وَالتَّوَسُّلَ بِأَسْمَائِهِمْ، وَهُمْ بِعَمَلِهِمْ هَذَا يَجْلُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ وَيَجْعَلُوهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وكذلك فإنَّنا نَرَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْأَعْلَامَ وَكِبَارَ مَرَاجِعِ الطَّائِفَةِ الْحَقَّةِ لَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ النُّورَانِيَّةِ وَالْمَقْدَّسَةِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا التَّبَرُّكُ بِتَرْتِبِهِمْ

١. بحار الأنوار: ٢٣١/٩٨.

٢. بحار الأنوار: ٥٣/١٠٢.

والتداوي بها من كلّ داء وسقم.

يكتب المرحوم المحدث القمي: كان المرحوم السيد نعمة الله الجزائري ونتيجة الفقر والعوز غير قادر على شراء مصباح للقراءة، ولهذا كان يستفيد من نور القمر، فأصيبت عيناه بالضعف الشديد، وذلك لكثرة المطالعة والدراسة، فعمل على مسح تربة الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمة الأطهار عليهم السلام في العراق عليها الأمر الذي أدى إلى زيادة بصرها.

ومن ثم يضيف: وكذلك فقد كنت أنا استفيد من تربة الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام كلّما أصيبت عيني بالضعف بعد الكتابة والقراءة، وكنت أمسح أحياناً بالأحاديث الواردة عنه، وأضعها عليها والحمد لله، فقد كانت عيناى قويتين ولم تصابا بالضعف ونرجو إن شاء الله أن تكتحل عيوننا وتتنور في الدنيا والآخرة بضياء نورهم وبركاتهم.<sup>١</sup>

### التوسّل مدعاة للقرب الإلهي

إنّ التوسّل بأهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام في محضر الباري عزّ وجلّ تكفل للإنسان العظمة والوجاهة وهي مصدر لقربه إليه، ومن هنا فقد جاءت الكثير من الأدعية والمناجاة لتؤكد على ضرورة الطلب من الله تعالى لنكون من المقربين والوجهاء عنده، وذلك من خلال التوسّل بأهل البيت عليه السلام وإبراز الحبّ والطاعة الكاملة لهم، فقد جاء في المناجاة الإنجيلية الواردة عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام:

اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنِي بِحُبِّهِمْ يَوْمَ  
الْعَرْضِ عَلَيْكَ نَبِيهَاً، وَمِنَ الْأَنْجَاسِ وَالْأَرْجَاسِ نَزِيهَاً، وَبِالتَّوَسُّلِ  
بِهِمْ إِلَيْكَ مُقَرَّباً وَجِيهاً.<sup>٢</sup>

١. الفوائد الرضوية، المحدث القمي عليه السلام: ٦٩٥.

٢. بحار الأنوار: ١٦٨/٩٤.

## التوسّل باعث لاستجابة الدعاء

قال رسول الله ﷺ لأُمير المؤمنين علي عليه السلام:

يَا عَلِيُّ؛ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيَّ اللَّهُ بِحُبِّكُمْ، فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّهُ. يَا عَلِيُّ؛ مَنْ أَحَبَّكُمْ وَتَمَسَّكَ بِكُمْ، فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.<sup>١</sup>

## المسائل الاعتقادية ومدخليتها في التوسّل

لا شك فإنّ الشخص الذي يتوسّل بأهل البيت عليه السلام، فإنّه يقوي ويبلور بشكل عفوي ولا إرادي عدداً من المسائل العقائدية المهمّة منها:

١ - العقيدة بالحياة الأبدية والسرمدية لهم عليه السلام من بعد رحيلهم عن هذه الدنيا الزائلة، فيصرّح القرآن الكريم بذلك قائلاً:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>٢</sup>.

٢ - العقيدة بعلم وإطلاع وإمام المعصومين صلوات الله عليهم بجمع الأمور والقضايا والاعتقاد بنقطة، وهي أنّ الإنسان يستطيع وأينما كان في هذا الكون الرحب من التوسّل بهم واليقين بأنّهم على معرفة تامةّ بحاجات الجميع، ولا تخفى عليهم خافية؛ لأنّ عملية التوسّل بهؤلاء الأطهار الأخيار ستثمر وتؤتي أكلها حين يعتقد اعتقاداً جازماً أنّه متى ما تمّ التوجه إليهم والطلب منهم فإنّهم على دراية وعلم كامل بحاجته وأنّها تقضى إن شاء الله تعالى.

٣ - العقيدة بقدرة وولاية المعصومين عليه السلام وأنّ هذه القدرة والولاية حاصلة هي من جانب البارئ عزّ وجلّ، وهذه هي حقيقة أخرى تظهر من خلال التوسّل

١. بحار الأنوار: ٣٦/٢-٣.

٢. آل عمران: ١٦٩.

والإيمان والإعتقاد الباطني بالنسبة إليهم؛ لأنّ الإستمداد والطلب من وجهة نظر عقلية لا يمكن أن تكون إلّا مع أولئك الذين لهم القدرة والإمكانية، ومعنى توسّلنا بهؤلاء الأطهار (عليه السلام) هي علمنا واعتقادنا بهذه الحقيقة، ونفتخر ونرفع هاماتنا كما تفتخر بها سائر الموجودات السماوية.

قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي (عليه السلام):

يَا عَلِيُّ؛ يَتَفَاخَرُونَ أَهْلَ السَّمَاءِ بِمَعْرِفَتِكَ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللَّهِ بِمَعْرِفَتِكَ، وَانْتَظَرِ أَمْرَكَ.<sup>١</sup>

ولهذا فإنّ معرفة أهل السماء بأهل البيت (عليه السلام) ومكانتهم وعظمة شأنهم هي مصدر لافتخار وانتظار ساكني السماوات، وهي السبب في التوسّل بهم.

نعم؛ حتّى الموجودات السماوية هي في انتظار وصول ذلك اليوم الذي تحكم به ولاية أمير المؤمنين العالم بأسره، ويفنى ويهلك جميع الطغاة والجبارين والظالمين والقوى الشريرة والشيطنانية على يد ولده الإمام بقيّة الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء وانتشار العدل والعدالة ببركة دولته الكريمة، ففي ذلك اليوم المبارك سيزول الغم والحزن عن الناس، وتعمّ أنوار ومعارف أهل البيت (عليه السلام) كلّ المعمورة، وتتحقّق السعادة التي يبتغيها الإنسان.

### عدد من النقاط حول التوسّل

ينبغي على كلّ من يرغب بالوصول إلى القدرات والقوى الغيبية ويريد توفّر مقوّمات التأثير دوماً والحصول على النائج والثمرات النافعة في توسّلاته بأهل البيت (عليه السلام) مراعاة مجموعة من النقاط المهمّة في خصوص هذا الموضوع، والشروط التي لا بدّ من أن تؤثر فيه، إذ إنّ مراعاة ذلك تجعل الإنسان يحصد مزايا إيجابية في دنياه، منها الحاجة التي أرادها منهم وتوسّل بهم لنيلها، علاوة

على الثواب والأجر المعنوي المترتب في عالم الآخرة وإلا فإنه قد يحصل على الثواب والأجر المعنوي، ولكنه من المحتمل - في بعض الموارد - أن لا تنقضي الحاجة التي أرادها، وبالنتيجة عدم وصوله إلى ما تمناه.

والآن نستعرض بعض الشروط التي تلعب دوراً مهماً في عملية التوسّل:

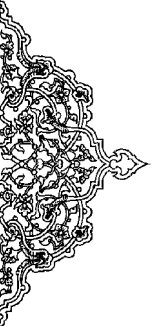
### ١ - طهارة القلب

من الأمور والشروط المهمة التي يجب توفرها في القضايا والأمور المعنوية هي طهارة القلب ونقاوته، وهذا الأمر لا يشمل التوسّل، وإنّما له دور حسّاس وعميق في الأدعية والمناجاة كذلك.

ولهذا الدليل فإننا نرى أنّ أدعية أولياء الله تعالى وتوسّلاتهم وأيضاً الشخصيات التي لها القرب الإلهي لها آثار عجيبة، ويمكن الحصول منها على نتائج ومعطيات متعالية، ولكن هذا الأمر يختلف بالنسبة إلى توسّل الأفراد أصحاب السلوكيات غير الصحيحة والمنحرفة، ومن هنا فعادة ما نرى أنّ توسّلاتهم لن تجدي نفعاً، وليس لها ذلك التأثير المطلوب في الكثير من الموارد، وهذا يرجع كما أشارنا إلى الطهارة والنقاوة القلبية.

إنّ واحداً من الأسرار المهمة التي تستوجب قبول دعوات وتضرّعات البعض هي طهارة باطنهم من المعاصي والآثام والأدران، إذ إنّ طهارة أنفسهم تجعل من تلك الدعوات خالصة وليس فيها أيّ مصلحة ذاتية.

ومع أنّ قراءة بسيطة لهذا الموضوع يكشف أنّ الأخلاق الطالحة والتلوّث الروحي تقيد الروح الإنسانية وتكبلها بسلاسل قوية، الأمر الذي يجعلها عاجزة بشكل تامّ عن التحليق ولكن الصورة تنعكس بشكل كلي بالنسبة إلى أولياء الله الذين عملوا المستحيل لتخلّق بالأخلاق والتربية الإلهية حيث استطاعوا من تحرير أرواحهم من أيّ نوع من أنواع القيود، ولهذا فإنّ أدعيتهم وتوسّلاتهم لن تكون قطعاً على أساس التظاهر وحب الظهور والتفاخر وسائر المعاصي التي هي في الواقع سلسلة مرتبطة بعضها مع البعض الآخر في التأثير



على النفس ، وعليه فإنها تقع مقبولة لدى البارئ عز وجل.

ومن هنا نقول: إذا أراد الإنسان أن يتمتع ومن خلال التوسل بأهل البيت (عليه السلام) بالقدرات والقوى غير المحسوسة والغيبية والاستفادة منها ، وتكون ثمرة يجب عليه الالتفات إلى نقطة في غاية الأهمية وهي: وجوب حصول «الطهارة الباطنية» والعمل على تطهير باطنه من جميع الشوائب والأدران ، حتى يتمكن من رفع جميع الحواجز والعقبات التي تقف في طريقه . وبالتالي التمسك بحبل الله المتين والخطو خطوات مهمة على الصراط المعنوي المستقيم .

ولهذا عليه الحذر من عدم الغفلة عن هذه النقطة الأساسية والحياتية وإلا فسوف ينهي عمره الثمين وهو يحمل باطناً ملوثاً يعصف بمخزونه المعنوي والروحي . إن الإنسان إذا استطاع تطهير باطنه والحفاظ عليه سليماً معافى ، فإنه سيكون قادراً على الإمساك بمفتاح النجاح والتوفيق ، وبالنتيجة سوف يستفيد منها في الأدعية والتوسل .

## ٢ - التمرکز الفكري في التوسل

من المؤكد فإن التوجه والدقة الكاملة في القيام في أي نوع من أنواع العبادة سوف يضع بصماته الواضحة على عملية التركيز الفكري ، ويجعل تلك العبادات في قالب أكثر نفعاً وجدوى ، والقصة التي نذكرها هي دليل على أهمية التوجه في عملية الأدعية والتوسلات .

كان هناك أحد العظماء له علاقة بأحد أولياء الله تعالى ، وكان يسأله في بعض الأحيان عن أمور قد مضت وأخرى آتيات ، حيث ثبت عنده باليقين صدقه وثبات مدّعه .

فُسئل منه: كيف استطاع ذلك الولي الوصول إلى تلك المرتبة وذلك المقام؟ وكيف كان يفهم الأسرار التي كنت تطلعه عليها؟

فقال: كان هذا الشخص من طلبتي ، وكان يقوم أحياناً بأخذ الأذكار مني

والقيام بها، ومع أنه لم يصرف الكثير من وقته للقيام بها، باعتبارها لم تكن طويلة، ولكن كانت هناك خصلة في داخله جعلته يتطور كثيراً، وهو الآن بمقام أستاذي فقد كان يجيبني عن المجهولات التي أسأله بصورة صحيحة ومقنعة، حتى إنه كان يعطي الإجابة المطلوبة في الكثير من الموارد من دون أن أطلب منه ذلك.

ثم يضيف: إن الخصوصية والخصلة التي تمتع بها هي التوجه والإنشاد الكامل للأدعية والأذكار التي كنت أقولها له، فكان يقرأها بإمعان وانقطاع وخلوص ودقة، وبالطبع فإن تلك الحالة هي التي جعلته ينال كل تلك المرتبة والمقام المتعالي.

وفي هذا المجال هناك حديث قصير عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ولكنه عظيم من ناحية بيانه للأهمية الدقة والتوجه فيقول:

#### الدقة استكانة<sup>١</sup>.

ومن الطبيعي فإن الشخص الذي يتدلل أمام الله جل شأنه وأهل البيت عليه السلام فإنهما يرفعانه فتجري على يده الأمور التي هي في الظاهر غير ممكنة وفيها جانب من الإعجاز ليقوم بإجرائها.

نعم؛ فإن الدقة والتوجه والإقبال هي من الأمور القادرة على تحقيق المستحيل وتوصل الإنسان إلى أعلى مستويات الرفعة والعظمة كما رأينا كيف استطاع رجل عادي في القصة التي نقلناها لكم، ومن خلال الدعاء والتوسل والتوجه الارتباط بعالم الغيب.

ولهذا يقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

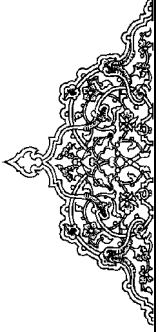
#### فَإِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالْإِجَابَةِ<sup>٢</sup>.

إن عملية التوجه والإقبال القلبي في الأدعية والتوسل تكون مؤثرة بحد أن

١. بحار الأنوار: ١٩٣/٧٢.

٢. بحار الأنوار: ٣٢٣/٩٣. نقلاً عن كتاب مكارم الاخلاق: ٣١٤.





الإمام الصادق عليه السلام يقول: «بعد التوجّه، عليك بالإستيقان بالإجابة»!

وعلى ضوء ما ذكرناه، فإنّ مسألة التمرّكز الفكري وتحسس الحواس في الأدعية والمناجاة والتوسّل لها دور مهم وأساسي في قبولها وترتيب الأثر العملي اللازم عليها، وهي تأتي البتة من بعد مرحلة التطهير الباطني والداخلي للإنسان.

ونقول في هذا المقام: أنّه وكما في العبادات إذ إنّ عدم التوجّه والإقبال باعث على تسويفها وفقدانها لمعايير تقويمها وقبولها كذلك في التوسّل، فإنّه يفقد كلّ مقومات القبول مادام لم يكن هناك التوجّه الكافي، وبالتالي عدم وصول الإنسان إلى حاجته ومقصوده.

وعليه فإنّ التوسّل المجدي والنافع والذي يؤتي بالنتائج والثمرات على أحسن وجه، هو ذلك التوسّل الذي فيه التوجّه والإقبال والتفاعل الحقيقي؛ لأنّ التوجّه والإقبال سوف يجعل القلب يغلي بالحبّ والشوق للمعبود، فتشدد العلاقة فيكسر الحواجز ويرفع الموانع الموجودة بين العبد والبارئ عزّ وجلّ وأهل الوحي والرسالة عليه السلام وبالتالي تنفتح الأبواب الموصودة، وفي ذلك الوقت لن يبق دعاء من دون إجابة.

وعلى ضوء الحديث هذا فإن أراد الإنسان الإستجابة السريعة والآنية لدعائه وقبول تضرّعاته وجني النتائج المتعالية من ذلك، فعليه بالإضافة إلى تطهير روحه وجسده من كلّ الأدران والشوائب الدنيوية أن يتوجّه بشكل كامل صوب خالقه وبارئه بكلّ وجوده، والحفاظ على تمرّكزه، وبالتالي عدم تشتّت أفكاره وحواسّه في هذا الإتّجاه أو ذلك، وجعل أهل بيت الوحي والنبوة صلوات الله عليهم هم الوسيلة في طلب الحاجات من الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ:

نَحْنُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ.<sup>١</sup>

نعم؛ إنَّ عقيدة كلِّ إنسانٍ وإعٍ وطاهر القلب هي أنَّ أهل البيت عليهم السلام هم الرابط والحبل المتين بينه وبين الباري عزَّ وجلَّ، فقد جاء في إحدى الزيارات التي يُزار بها الإمام سيّد الشهداء عليه السلام:

يَكُفُّ يَا آلَ مُحَمَّدٍ أَتَوَسَّلُ، الْآخِرُ مِنْكُمْ وَالْأَوَّلُ.<sup>١</sup>

ولابدَّ أن يداوم على هذا التوسل بهذه العترة الطاهرة في كلِّ الأحيان وفي كلِّ الظروف، وفي جميع الحاجات، وحلِّ المشاكل وأن يمتدَّ إلى كلِّ الساعات والأبعاد ليشمل جميع مفاصل الحياة، حتَّى وإن كانت أبسط الحاجات وأقلِّها قيمة.

لقد جاء في الزيارة الجامعة الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام والتي تحتوي على بحار من نور المعارف والهداية مقاطع في هذا الاتجاه، فنقرأ في واحد منها:

وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ.<sup>٢</sup>

ومع ما قلناه، فقد يتَّضح أنَّ قضاء الحوائج واستجابة الدعاء والتضرُّعات تحتاج إلى شرطين أساسيين، وهما طهارة القلب ونقاوته، والتمركز الفكري، وهما من الطرق المهمة والأساسية في ذلك، وعليه يجب أن نعلم ما للتوسل من درجة ومرتبة عظيمة، وما هي الشروط والظروف التي يجب توفرها للفرد المتوسل والحالات الروحية والمعنوية له؟

وفي النتيجة إذا كان هناك فئة مغرضة من قبيل الفرقة الوهابية الضالَّة المنحرفة لاتعتقد بالتوسل، ولن تعطيه المكانة الطبيعية التي ذكرها القرآن الكريم والروايات الواردة عن العترة الطاهرة، فإنَّ ذلك ناشئ من عقيدتهم الباطلة وإشكالية في البعد الفكري والروحي لهؤلاء الجهلة، وإلَّا فإنَّ الشخص العالم بقيمة التوسل ومعناه الحقيقي وما هي أسسه وقواعده ومصدره، كيف يمكنه

١. بحار الأنوار: ١٠١/٢٢٧.

٢. مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة.

إنكاره وتكفير من يعتقد به ؟ وكيف يمكن إنكار أفضل الحالات الروحية للإنسان ، وعدم الاكتراث بالكنوز الروحية العظيمة للنفس الإنسانية ؟ وكيف يمكن للإنسان العاقل أن يتغافل عن أكثر الحالات الروحية جاذبية ورفضها بدليل عدم التمتع والوصول إليها ؟ فإن حدث ذلك فهو نابع من جهالته والظلمة التي في داخله .

### دور اليقين في حالات التوسّل

تعتبر قضية الشك والابتعاد عنه ودخول مرحلة اليقين وإيجاده في النفس من المسائل التي يشملها بحث التطهير القلبي ، ونحن بدورنا نبحثه هنا نتيجة أهميته ، وكذلك نتطرق إلى بيان طرق زيادته وتعزيزه .

ولا يختلف إثنان منّا بأن العقيدة واليقين يلعبان دوراً لا يستهان به في التوسّل والتضرّع ، وهذا يعود بالفضل إلى لطف وعناية وتوجهات أهل البيت (عليه السلام) ، وبالطبع فإذا وصل الإنسان في عملية التوسّل إلى اليقين بوجود العناية من جانب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وقطع بلطفهم وعنايتهم وكرامتهم فإنه سوف ينال مقصوده ويأخذ حاجته بإذن الله تعالى .

إننا نرى أنّ أثر العقيدة واليقين بهم وبكراماتهم وأطافهم تصل أحياناً إلى مرحلة القطع ، فلذلك يصل الكثير من الأشخاص إلى حاجاتهم ومرادهم عن ذلك الطريق على الرغم من أنّهم لم ينالوا مقامات الطهارة القلبية - التي ذكرنا أهميتها سابقاً - ولكن القطع واليقين يجبر تلك النقيصة ، إذ إنّ ذلك الأمر يكون ضمناً لعنايات أهل البيت (عليهم السلام) واستنزال أطافهم ، وبالتالي قضاء حوائجهم في أسرع وقت ممكن .

في سنة ١٣٤٨ هـ ش نلت توفيق وشرف المكوث عدّة أشهر وزيارة العتبات المقدسة في العراق ، فشاهدت كرامات وعنايات لاتصدق من قبل مولانا أبي الفضل العباس (عليه السلام) ، منها شفاء الكثير من المرضى وقضاء حوائجهم الدنيوية .

فقد كان هناك مرضى يربطون أنفسهم أحياناً بالضريح المقدس ، ويكونون دخیلین علیه فتراهم فی أقلّ من ساعة يأخذون حاجتهم وینالون الشفاء الكامل من هذا المولی ، فتحدث حينئذ حالة عجيبة ومعنویة فی الحرم الشریف ، إذ تبدأ النساء بالهلاهل والتكبير وتوزع الحلویات ، وذلك حسب العادات والتقالید التي ورثوها ، وقد یقوم هؤلاء أحياناً أخرى برمي المال «الفلس» وهي العملة التي كانت رایجة فی تلك الحقبة الزمنية لأبراز الشکر الوافر والثناء الجزیل .

لقد كان عقيدة ویقین هؤلاء الناس إلى درجة یأتون معهم بالحلویات والمال مع المريض ؛ لأنّهم على علم كامل بأنّه سیشفی ، وفي لحظة شفائه یشرعون بالتكبير والصلوات والهلاهل وتوزیع الحلویات ونثر المال ، ویظهرون أسمى آیات الفرح والسرور وإظهار الشکر والتقدير لعناية قمر العشيرة العباس بن علي عليه السلام ، ویقولون : «أبوفاضل نشکرك» .

ومن القصص التي شاهدها جاءوا يوماً بأحد الشباب المختل عقلياً ، فربطه أهله بالضريح دخیلاً لمدة ثلاثة أيام ، وكانوا بالقرب منه ، وبدأت علیهم علامات التعجب والاستغراب ، کیف أنّ العباس عليه السلام لم یشفه خلال هذه الفترة التي هي طويلة جداً حسب عقیدتهم ؛ لأنّها خلاف العادة والکرم والجود والمكانة التي تتمتع بها هذه الشخصیة العظيمة والجليلة عند البارئ عزّ وجلّ ، وأيضاً اعتقادهم الراسخ والیقین القطعي بأنّ «أبا الفضل العباس باب الحوائج» ، وهو یقضیها ، لهذا توسّلوا به وجعلوه الواسطة بينهم وبين الله تعالى .

إنّ الهدف من بیان هذا الموضوع هو أنّ هناك جهات وموارد أخرى فی عملیة التوسّل بإمكانها التعویض وسدّ الفراغ الذي تتركه حالة التطهير القلبي ، منها اللطف والعناية من لدن أهل البيت عليهم السلام وكذلك الیقین واعتقاد الناس ، حیث إنّ تلك الموارد تكون سبباً للوقوع فی دائرة رحمتهم وعطفهم .

## المعرفة ترفع اليقين

إنَّ الطريق في الوصول إلى قدرة أهل البيت صلوات الله عليهم هو المعرفة الكاملة بالنسبة إلى مقامهم وعظمتهم، ومن هنا فلا بد للإنسان أن يزيد معرفته بمقامهم المتعالي، وكسب العلم اللازم والواجب على ضرورة وجودهم وبركاتهم لنا وتوطيد العقيدة واليقين بأنهم هم من يقضي الحوائج وإنزال الفيوضات الربانية.

لقد كان المرحوم المحدث القمي من أولئك الذين كانت لهم المعرفة الحقيقية بأهل البيت عليه السلام فيذكر واحدة من التوسلات والتضرعات، وذلك بعد أن يتطرق إلى قصّة طريفة عن المرحوم العلامة السيد عبد الله شبر فيقول:

إنَّ المرحوم السيد عبد الله شبر هو واحد من العلماء الأعلام الأجلاء، حيث اشتهر في زمانه بالمجلسي الثاني نتيجة كثرة تأليفاته ومصنّفات.

ذهب في يوم من الأيام العلامة المحقق المرحوم الشيخ أسد الله - صاحب كتاب «مقابس الأنوار» - لزيارته والسؤال عنه، فلما شاهد عدد تأليفات السيد تعجّب كثيراً نظراً إلى تأليفاته مع ما يحمله من دقة في هضم وفهم المواضيع العلميّة.

فسأله عن السرّ من وراء ذلك؟ فأجابه السيّد شبر قائلاً: إنَّ العلة من حصول تلك التوفيقات في عدد التأليفات التي كتبتها يرجع إلى عناية وأطاف مولاي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث رأيت الإمام في المنام وقد أعطاني قلماً وقال لي: أكتب، ومنذ ذلك الوقت وأنا مشغول في التأليف والكتابة، ولم انقطع عنها، ولا شك فإنَّ كلّ ما أكتب هو من بركات وآثار ذلك القلم الشريف والمبارك.

ويعلق المرحوم المحدث القمي بعد نقله لتلك القصّة العجيبة بالقول:

والموضوع هو كما ينقله السيد عليه السلام باعتبار أنني كلّما توسّلت بأهل البيت عليه السلام فقد حظيت بتوفيقات عظيمة واستطعت القيام بتأليف أحد الكتب، وأمّا حينما

تزول عني حالة التوسّل فأبقى شهوراً عديدة لم أتمكن خلالها من تأليف حتّى كُتِيب صغير. إذن فإنّ جميع ما كتبته كان من بركات وألطف أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.<sup>١</sup>

ولهذا نقول: إنّ معرفة أهل البيت (عليهم السلام) كانت السبب في وصول الشيخ إلى أعلى درجات اليقين في إدراك تلك الحقيقة والتعويل عليها.

### دور الإضطراب في التوسّل

تكون عمليّة الإنقطاع وعزوف القلب والشدّة والإضطراب والاضطراب والضغوط الشديدة أحياناً بقدر من الأهمية والحساسية، إذ بمقدورها ومع وجود كلّ تلك التلوثات الروحيّة من قطع سلسلة التوجهات الباطنية، فتتمكّن الروح الإنسانية من التحليق في الفضاء النوراني المعنوي لترتبط مع الأولياء والأنبياء بأواصر معنوية قوية.

وهنا نأتي بمثال بسيط لأجل معرفة كيف يمكن للذين لوثتهم المعاصي والآثام من أخذ حوائجهم، وذلك من خلال التوسّل بأهل البيت (عليهم السلام) أو آبائهم وأحفادهم الأخيار، ولن تكون تلك الأدراة والشوائب سبباً لعدم قضائهم وجلب عناية هؤلاء الأبرار الأطهار وفيوضاتهم، وبذلك يتّضح سرّ تحقيق المعجزة لمن يحمل السريرة الملوثة والروح غير الطاهرة.

إنّنا إذا أردنا تسير سفينة فضائيّة والتحليق بها خارج أجواء الغلاف الجوي، فإنّها بحاجة إلى وسيلة قويّة للغاية حتّى تتمكّن من خلالها وبعد إيجاد الضغط المناسب من الانطلاق خارج ذلك الغلاف، ولا شكّ فإنّ السفينة تتمكّن من السباحة في الفضاء بسهولة مطلقة حينما تنفكّ عن الجاذبية الأرضية؛ لأنّ الجاذبيّة هي التي تقوم بسحبها وجرّها وتمنعها من الحركة والطيران، إذن فلا بدّ من إيجاد الضغط الهائل على السفينة حتّى تخرج من قيد الجاذبية الأرضية.



ولاشكّ فإنّ نظير تلك القضية تتحقّق في المسائل المعنوية والروحية؛ لأنّ التلوّث والمعاصي تمنع الإنسان من السير والتحليق الروحي ونيل النتيجة المعنوية كما تفعل الجاذبية الأرضية من جرّ السفينة الفضائية باتجاهها، ومن الطبيعي فإنّ المعصية تمنع الفرد من التحليق وتقوم جاذبيّتها على جرّه صوبها، ولكن نرى أحياناً أنّ الضغوط والشدائد تكون بنحو تمكّن ذلك الشخص من الانفكاك عن المعاصي والآثام على الرغم من أنّ الباطن له باقٍ على حاله من شوائب وأدران وبذلك يصل إلى درجات النجاح والتوفيقات وقبول الدعاء وقضاء الحاجات.

وعلى هذا الأساس ولأجل حصول الاستجابة السريعة في عمليّة التوسّل يجب على الإنسان من تطهير باطنه وروحه ونفسه وتحطيم قوّة جاذبية المعاصي السابقة، لكي يحلق عالياً أو الخضوع لضغوطات روحية والآلام كبيرة كما هو الحال في السفينة الفضائية التي تتمكّن من التحرك بعد الخلاص من الجاذبيّة الأرضية، إذ إنّ تلك الشدائد والمحن هي التي تخلصه من قيود المعاصي وجاذبيّتها القوية، وفي تلك الحالة يتمكّن من جلب أنظار وعنايات أهل البيت (عليه السلام) وبالتالي سوف يشهد تحقّق المعجزة.

ونستخلص ممّا قلناه أنّ الإنسان إذا صمم بعزيمة الرجال على تطهير باطنه فإنّه سوف يصل بكلّ تأكيد إلى مراده وهدفه وحاجته، وكذلك إذا وقع في مخمصة الشدة والإضطراب، فإنّ تلك الحالة تزرع فيه حالة الانقطاع ويكون كالسفينة التي تنطلق من الأرض باتجاه الفضاء، فإنّها لن تطير مادامت هناك جاذبية تحيط بها، فحينما يتمكّن الإنسان من الخلاص من جاذبية المعاصي والذنوب، فإنّه حينئذٍ تصل عمليّة التوسّل إلى الاستجابة والقبول.

### البنّت المضطّرة في ضريح أبي الفضل العباس عليه السلام

من الأمور الأكيدة والمجربة هي أنّ التوسل بأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين له آثار سريعة وآنية في حالات الاضطراب والانتقطاع، ولهذا نرى أنّ أتباعهم ومحبيهم يلجأون إليهم في الشدائد، فيحصل على مرادهم، وإليكم نموذجاً في هذا الخصوص:

يقول أحد علماء قم الكبار: تشرفت في أحد الأيام بزيارة ضريح مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام، فجأة جاءت مجموعة من الأعراب ومعهم فتاة مضطربة لاتدري ماذا تعمل، فدخلوا الحرم الشريف وامتلأ بالجموع الغفيرة التي أرادت أن تعرف القصة.

فأمسكت تلك الفتاة بشباك الضريح وقالت بصوت عالٍ كلمات جريئة جلبت أنظار كل من كان هناك، وفي لحظة سكنت وسكت الجميع وكأنّ على رؤوسهم الطير، فانقطعت الأنفاس، فعلا صوت وسمعه الجميع وإذا بالجنين الذي في بطن تلك الفتاة ينطق ويقول «أبي زوج أمي» وهنا تعالت الهلاهل وهجمت النساء على تلك الفتاة للتبرّك، وقام عدد منهم بتخليصها من بين أيديهم والذهاب بها إلى غرفة الكليدار.

وبعد مدّة من الزمن هدئت الأمور وتفرقت الناس عندها ذهبت إلى الكليدار؛ لأنّه تربطني به علاقة وطية، فسألته عن قصّة تلك الفتاة، فقال: تنتسب تلك الفتاة إلى عشيرة من الأعراب تعيش في الصحراء أطراف مدينة كربلاء، فتمّ عقد قرانها من ابن عمّها كما هي العادة الجارية في العراق، وبما أنّ العرف الذي كان سائداً عند هؤلاء هو قباحة وجود العلاقة بين العروسين في زمن العقد، ولكن ذلك الشباب كان يأتي إلى زوجته ويمارس حقّه الطبيعي كزوج، وبعد مدّة من الزمن حملت الفتاة فهرب الزوج واختفى عن الأنظار حتّى ظهر حملها، فاجتمع الأهل والأقرباء فسألوها عن سبب حملها، فقالت:

إنّ حملي هو من زوجي، فجرى البحث عن ذلك الشباب فوجدوه فحقّقوا معه فأخذ ينكر فعلته خوفاً منهم.

فأخذ أهل الفتاة قراراً بقتل الفتاة للخلاص من عارها، فأخذت تتوسّل بهم، ولكن من دون جدوى، فقالت لهم: خذوني عند سيّدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام) هو الذي يحكم، وبالفعل فقد جئته بها إلى الضريح الشريف، وثبتت طهارتها من خلال نطق الجنين في بطنها.<sup>١</sup>

هذه إحدى المعاجز من آلاف المعاجز التي ظهرت نتيجة عناية وأطاف أهل الوحي والرسالة عليهم آلاف التحية والسلام.

### نقطة أخرى

النقطة الأخرى التي يجب على كلّ واحد منّا الالتفات إليها وأخذها بنظر الاعتبار هي أنّ هناك فئة من الناس تتوسّل فيستجاب لهم وينظر إليهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام) نظرة رَوْفٍ وحنونه، فتتبدّل لحظات أحزانهم وآلامهم إلى أفراح وأتراح، وتقضى كلّ حوائجهم الدنيويّة لما لهؤلاء الطيبين الطاهرين من وجاهة وكرامة على الله تعالى، وقد تكون تلك الفئة لاتحمل الروح الطاهرة النقية، وليس في وضع اضطرار وشدة ولن يتخلّصوا من جاذبيّة المعاصي والذنوب.

وتأتي الاستجابة لهؤلاء العاصين والمذنبين وأصحاب القلوب الملوّنة لعلم الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بالأمور والقضايا التي قد تحدث لهم في المستقبل أو في الماضي وهي غير معلومة لدينا وخافية علينا فينظرون إليهم نظرة رحيمة فتشملهم أطفاهم وكراماتهم.

يدّق خفاء عن فهم الذكي  
ففرّج كربة القلب الشجي

وكم لله من لطف خفي  
وكم يسر أتى من بعد عسر

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| وكم أمر تساء به صباحاً    | وتأتيك المسرة في العشي  |
| إذا ضاقت بك الأحوال يوماً | فثق بالواحد الفرد العلي |
| توسّل بالنبيّ فكلّ خطب    | يهوّن إذا توسّل بالنبي  |
| ولا تجزع إذا ما ناب خطب   | فكم لله من لطف خفي      |
| وبالمولى العليّ أبي تراب  | وبالنور البهّي الفاطمي  |
| وبالأطهار أهل الذكر حقاً  | سلالة أحمد ولد الوصي    |

ونظراً لهذه النقطة، فإننا نصل إلى حقيقة مفادها: إنّ الشخص الذي يتولّى مهام الولاية والإمامة للإنسانية عليه أن يحيط بكلّ الأمور والقضايا الخاصة والعامة لهم، وفي هذه الحالة يمكنه من أن يبدّل كلّ ذرة تراب إلى جوهرة ثمينة، وإلا فإنّ الدعوة والإدعاء من دون ذلك غير مجدٍ، ولن يكون له أثر خارجي.

### طلب الاستمداد من عالم الغيب

يتحتم أحياناً وفي بعض الأمور أن تسدّ جميع الطرق أمام الإنسان، فلن يبقى في رفع المسائل العويصة والإضطرابية سوى الاستمداد من عالم الغيب وطلب العون من خالق الكون.

ومما لا شك فيه أنّ جميع الإمكانيات المادية تثبت عجزها عندما تصل الأمور إلى نهايتها، إذن كيف يمكن لها، وهي قد أعلنت استسلامها ورفعت الراية البيضاء أمام تلك الحالات من أجل إيجاد الحلّ المناسب لها؟

ومن الطبيعي بمكان أنّ في تلك الموارد يجب الإستعانة بكلّ تأكيد بالعالم الغيبي وطلب المساعدة من القدرات اللامتناهية والأزلية والعظيمة للغيب الإلهي، وذلك من أجل رفع تلك الشدائد وقضاء الحوائج التي تكون خارجة عن الإرادة الإنسانية.

ولعلّ أبرز وسيلة للإستمداد من عالم الغيب وأفضلها وأكملها هي التوسّل بأهل البيت (عليهم السلام) الذين هم حجج الله تعالى على البرية.

إننا نرى أنّ هناك أفراداً ونتيجة لاضطرابهم وحالة الإنقطاع التي هم عليها



ينادون ومن أعماق وجودهم «يا علي» أو «يا حسين» أو «يا صاحب الزمان»، فهم عن هذا الطريق يرتبطون مباشرة بالله عزّ وجلّ فتقضى حوائجهم ببركة تلك الوجودات والذوات المقدسة.

آل النبيّ ذريعتي      وهم إليه وسيلتي  
أرجو بهم أعطى غداً      بيدي اليمين صحتي

وعلى ضوء ما قلناه، فإنّ التوسّل هذا هو بمعنى البحث عن وسيلة قادرة على إيجاد الارتباط مع البارئ سبحانه وتعالى والخلاص من المشاكل والعتور على حلّ المصائب والمحن الماديّة والمعنويّة التي يعاني منها الفرد عبر طريق أهل الوحي والرسالة والذين من بيدهم زمام القدرات الإلهية العظيمة.

وهذه الحقيقة يجب الاعتراف بها، فقد عمل الأنبياء والمرسلين والأوصياء بالتوسّل بأهل البيت (عليه السلام)، وذلك حينما تعرضوا إلى أنواع المحن والشدائد وقد أنجاهم الله تبارك وتعالى منها، وكذلك الحال لمحبيهم ومواليهم فهم لم يستثنوا من هذه القاعدة فتوجّهوا إليهم في كلّ صغيرة وكبيرة طوال الأزمنة السابقة، وسيبقون وتبقى الإنسانية تطلبهم طلب الهيم العطاشى ومحتاجة لفيوضاتهم وعطاياهم وبركاتهم وكراماتهم ما دامت الدنيا قائمة، وهذا هو الذي لا مناص من التسليم له.

### التوسل من أجل حلّ المشاكل العلمية

إنّ العلماء الأعلام كانوا يتوسّلون بأهل البيت (عليه السلام) في الكشف عن المجهولات وإيجاد الحلول حتّى في المسائل والقضايا العلميّة المستعصية كي تحلّ تلك المسائل، ويصلون إلى مبتغاهم نتيجة كسب الفيوضات المعنويّة من بيت الوحي والرسالة.

ونذكر هنا قصّة عن المرحوم السيد علي صاحب الشرح الكبير، والذي تتلمذ على يده الكثير من العلماء العرب والعجم.

لقد كان هذا العالم الجليل متبحراً في المسائل الفقهيّة والأصولية، ولكنّه غير مضطلع بعلم الهيئة، ولهذا السبب فقد تلكأ عند كتابته كتاب «الشرح الكبير» في البحث الذي تناول فيه موضوع «القبلة» ولم يستطع إكماله، فطلب من أحد طلبته والذي كان متبحراً في علم الهيئة مساعدته وتدرّسه لكي يكمل ذلك البحث، ولكن الطالب قال له بكلّ وقاحة ومن دون مراعاة حرمة واحترام الأستاذ: عليك أن تضع كتابك تحت إبطك وتأتي إلى البيت، كما أنا أتى إليك وأتعلّم منك حتّى أدركك علم الهيئة.

فلما سمع الأستاذ كلام تلميذه والذي لم يتوقعه أبداً فكان ذلك السبب في التوسّل بالإمام الحسين (عليه السلام) لحلّ تلك المشكلة العلمية، ولهذا ذهب في نفس الليلة إلى الضريح الطاهر وأخذ يعبد الله عزّ وجلّ إلى الصباح وطلب من سيّد الشهداء (عليه السلام) حلّ مشكلته العلمية، وبالفعل فقد حلّت في ذلك الصباح عقدة مشكلته واستطاع إكمال بحث القبلة في كتابه الموسوم «الشرح الكبير»<sup>١</sup>.

### ترك التوسّل أو رمز المعصية

تحظى عمليّة التوسّل بأهل البيت (عليهم السلام) والتمسك بعروتهم الوثقى بأهمية وقيمة كبيرة وعظيمة، ولا يمكن أن توصف بعبائر وكلمات عابرة، فقد جاء في بعض الروايات الشريفة أنّ وسيلة الطاعة لله عزّ وجلّ لا تنتهي إلّا من خلال قيام الإنسان بالتوسّل بهم والقبول بعصمتهم والتمسك بهم.

قال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

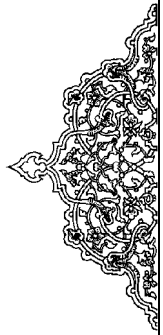
وَلَا يَقْبَلُ تَوْحِيدَهُ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبُيُوتِهِ، وَلَا يَقْبَلُ دِينًا إِلَّا بِوِلَايَةِ مَنْ أَمَرَ بِوِلَايَتِهِ، وَلَا يَنْتَظِمُ أَسْبَابُ طَاعَتِهِ إِلَّا بِالْتَّمَسُّكِ بِعِصْمِهِ، وَعِصْمِ أَهْلِ وَلايَتِهِ.<sup>٢</sup>

١. تذكرة العلماء للمرحوم التنكابني: ١٠٤.

٢. بحار الأنوار: ١١٤/٩٧.

ففي هذا الحديث الشريف الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام تهيات الأسباب التي تؤدي إلى طاعة البارئ عز وجل وقبولها، حيث إن الإنسان المتوسل والمتمسك بالله تعالى وآل الله عليهم السلام إذا لم يجعل هؤلاء واسطة للفيض بين الخالق والمخلوق فلم تتوفر أرضية الطاعة للأوامر الإلهية.

وحسب هذه الرواية فإن العلة المهمة والأساسية لمعصية العاصين والمذنبين هي ترك التوسل والتمسك بالأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، ويترتب على هذه العملية جملة من الآثار، منها الوقوع في أحضان الشيطان، وبالتالي ارتكاب المعاصي والآثام من دون رادع ويصبح هذا هو شعار العاصين.



### نتيجة البحث

إنّ عمليّة التوسّل تضيء على القلب الصفاء ، وتجلبه من كلّ الأدراّن والشوائب العالقة به ، وتوجد الذكر الدائم لله عزّ وجلّ ، وتوصل الإنسان المتوسّل بأهل البيت عليه السلام إلى شاطئ الأمان بعد الفتن والشدائد والمصائب التي واجهته في حياته ؛ لأنّهم كالسفينة التي تبحر وسط محيط هائج وأمواج عالية .

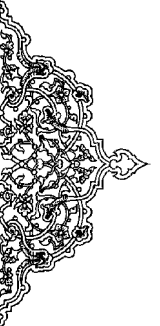
ولانجافي الحقيقة إذا قلنا : إنّ الإنسان إذا أراد الوصول إلى مقام القرب الإلهي والحظوة بالوجهة لدى البارئ عزّ وجلّ ، فإنّ التوسّل هو الذي يوصله إلى ذلك الهدف .

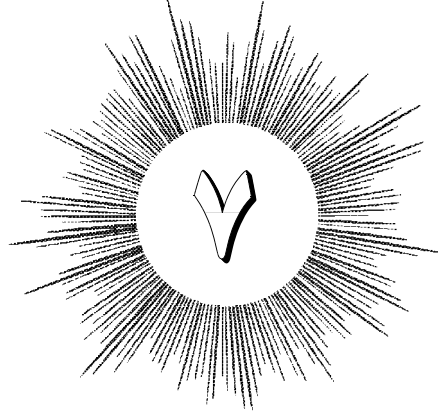
إنّ أهمّ المسائل العقائدية التي نؤمن بها كلّ الإيمان بالنسبة إلى أهل البيت عليه السلام من قبيل الإيمان واليقين والعلم والمعرفة والقدرة والولاية كلّها داخلّة في مسألة التوسّل .

وكذلك فإنّ أسمى المسائل الأخلاقية وأكملها واقعة ضمن دائرة التوسّل مثل طهارة القلب ونقاوته والتوجّه والتركيز الفكري وغيرها . ويمكن للإنسان حلّ أعقد المشاكل الشخصية من خلال عمليّة «التوسّل» والتوجّه بكلّ إخلاص صوب أهل البيت عليه السلام والذين هم خلفاء الله في أرضه وسمائه وأصحاب الولاية المطلقة .

وتتبيّن للإنسان بواسطة عمليّة «التوسّل» بأهل الوحي والرسالة وسيلة الطاعة لله جلّ وعلا وترك المعصية ، ويمكن عن ذلك الطريق طلب الاستمداد من القوّة والقدرة الإلهية .

وإذا الرجال توسّلوا بوسيلة  
فوسيلتي حبّي لآل محمّد  
الله طهرهم بفضل نبيّهم  
وأبّان شيعتهم بطيب المولد  
فهم أمان الله كالنجوم وأنهم  
سفن النجاة من الحديث المسند





محبة أهل البيت عليهم السلام

الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

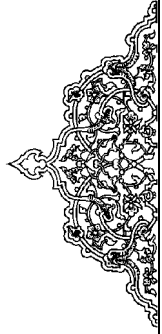
أحسن الحسنات حبنا ، وأساء السيئات بغضنا

### جاذبيّة المحبّة

إنّ المحبّة تجذب المحبّ إلى المحبوب لوجود الجاذبيّة التي فيها، وتزرع أفكاره وعقائده في قلبه، ولهذا نرى أنّه كلّما ازدادت تلك المحبّة والعلقة كلّما ازدادت معها السنخية الروحية بين المحبّ ومحبوبه.

وعلى أساس ذلك، فإذا كانت المحبّة شديدة فإنّها سوف تحمل مرونة وجاذبيّة لجذّر المحبّ والمحبوب أحدهما إلى الآخر بشكل يضع كلّ واحد منهما تأثيره وبصماته على الآخر، ولعلّ التوأمين تتجلّى فيهما المحبّة والتفاهيم أكثر من باقي الأفراد، ولديهم روحية مشتركة وقريبة جداً فيما بينهما ويتأثر أحدهما بالآخر سريعاً.

قبل فترة كانت هناك فتاة تعيش في العاصمة البريطانية «لندن» شعرت فجأة باضطرابات وآلام شديدة، حيث شخص الأطباء أنّ الأعراض التي تمرّ بها هي أعراض الولادة فتمّ نقلها إلى المستشفى، وبعد التحقيقات التي أجريت لها علم بأنّها لم تتزوَّج قطّ، وليس لها زوج! وقد أجريت لها بعد ذلك فحوصات كانت نتائجها أنّها غير حامل، ولكن ظلّت راقته في المستشفى وتتألم كثيراً وتتصبّب



عرقاً، فشغلت حالتها تلك الأطباء لعدة ساعات حتى سكن أنينها، فقالت: والابتسامه على شفيتها الآن وقد ارتحت لقد وضعت ولداً! فظن الأطباء أنهم يواجهون امرأة مجنونة ولكن بعد المعاينة الدقيقة أيضاً فقد ثبت أنها سليمة من جميع الأمراض العقلية.

وكانت المفاجأة هي أنهم اكتشفوا أنه في نفس الزمان الذي تعرّضت له هذه الفتاة إلى تلك الحالة، ودخلت على أثرها المستشفى كانت هناك فتاة أخرى في النمسا وتسكن في مدينة «فيينا» تعرّضت إلى نفس العوارض والآلام وأوجاع الولادة فدخلت المستشفى وكانت بالفعل حاملاً، وانجبت طفلاً ولداً، وكانت تلك الفتاة أختها وكانتا توأمين.<sup>١</sup>

وتحدث تلك الحالات على أثر المحبة الشديدة والسنخية والعلاقة بين شخصين، وقد نرى أحياناً أن المحب ونتيجة المحبة الشديدة ينفك عن كل القيود المادية ويوصل النفس إلى المحبوب على الرغم من المسافات البعيدة والشاسعة؛ ولعل هذا الأمر شبيه إلى حد ما بارتفاع درجة حرارة الجسم فقد تكون تلك الحالة أحياناً وسيلة لخروج الروح من الجسد والسبب في ذلك المسائل غير المرئية، إذ إن حرارة المحبة تخرج المحب من العالم الظاهري وتجّره إلى محبوبه.

ويكون لقاء المحبوب والوصول إليه ناتجاً عن أثر الجاذبية الناشئة من شدة المحبة. وقد تكون المحبة أحياناً سبباً في الوصول إلى الاختراعات العلمية؛ لأن الرغبة الشديدة والإرادة القويّة والإصرار المتواصل في الكشف عن المجهولات واحدة من الوسائل المؤثرة التي توصل الشخص أو الأشخاص إلى غاياتهم ومقاصدهم.

وبعبارة أكثر توضيحاً نقول: إن المحبة والرغبة الجامحة لهؤلاء تساعد في كشف الحقائق العلمية والوصول إلى مفتاح الحل في المشاكل العالقة

والعويصة وتضحى وسيلة يومية لحلّ كلّ المشاكل العلمية، وبالتالي نيل ما كانوا في صدد الوصول إليه.

### محبة أهل بيت الوحي والرسالة ﷺ

إنّ الإنسان بحاجة إلى تحرّي السبيل الذي يقوده إلى المحبة الحقيقية وسوقها بالإتجاه المطلوب والسير في الطريق الموصل إليها، وذلك بسبب ما تحمله من آثار حياتية ومهمّة.

ومن هذا المنطلق نرى أنّ رسول الله ﷺ قد قام بإرشاد الأمة صوب أهل بيته ﷺ والعمل على إنضاج مشروع الإقتداء بهم في كلّ مناسبة وموقف يرتثيه للإفصاح عن ذلك حتّى يستطيع من خلال هذه الوسيلة هداية الناس وتخليصهم من الشوائب، وتطهيرهم من الأنجاس وزرع فيهم الصفات الحسنة والخصال الحميدة والتقرّب إلى البارئ عزّ وجلّ.

لأنّ محبة النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين له تأثير عظيم وعجيب وخارق للعادة في مسألة القرية الإلهية، حيث عدّت في الروايات الشريفة أفضل وسيلة لنيل تلك القرية.

فقد قال رسول الله ﷺ في رواية:

لِكُلِّ أَمْرٍ سَيِّدٌ، وَحُبِّي وَحُبُّ عَلِيٍّ ﷺ سَيِّدُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُتَقَرَّبُونَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.<sup>١</sup>

إنّ هذه الرواية دليل واضح على أنّ محبة أهل البيت ﷺ هي وسيلة إلى القرب الإلهي والطاعة لأوامر البارئ عزّ وجلّ.

وفي رواية أخرى يقول الرسول الأعظم ﷺ:

حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يُخْرِقُ الذُّنُوبَ كَمَا تُخْرِقُ النَّارُ، الْحَطَبَ.<sup>٢</sup>

١. بحار الأنوار: ١٢٩/٢٧.

٢. بحار الأنوار: ٢٦٦/٣٩.

ومن هنا فإنَّ محبة أمير المؤمنين علي عليه السلام هي التي تحرق الذنوب وتجعلها رماداً يذري في الهواء، وتبدل جبل المعاصي إلى جبل معشوشب مخضر؛ لأنها تخرج تلك الذنوب من أعماق النفس وتقضي عليها، ومن ثمَّ تعمل على تطهيرها وبعدها تبدلها إلى الحسنات.

إنَّ محبة أمير المؤمنين عليه السلام لا تعمل على القضاء على الذنوب والمعاصي التي ارتكبها الإنسان في الماضي، وإنما تكون السد والحسن الحصين الذي يمنعه من ارتكابها في المستقبل، ويمكن من خلال المحبة الشديدة والعميقة لمحمد وآل محمد الحيلولة دون التقرب إلى المعاصي وضمان الإنسان من الوقوع في مطباتها.

قال رسول الله ﷺ :

أَلَا؛ وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَشْرِبَ مِنَ الْكَوْثَرِ، وَيَأْكُلَ مِنْ طُوبَى، وَيَرَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ.<sup>١</sup>

ويجب على كل فرد منا الطلب والدعاء في الساحة القدسية للبارئ جلّ وعلا أن يثبت قلوبنا على محبة أهل البيت عليه السلام ويجعلها مستدامة إلى آخر لحظة من لحظات أعمارنا؛ لكي نشهد الألفاظ والعنايات التي وعدنا بها وننال الفوز في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في إحدى الزيارات الواردة في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام :

اللَّهُمَّ تَبَنِّي عَلَى مَحَبَّةِ أَوْلِيَائِكَ.<sup>٢</sup>

ففي صورة الموت على محبة أهل البيت عليه السلام فإنَّ أول لحظة من تلك اللحظات سوف نشهد فيها آثار تلك المحبة وعظمتها الدالة على الإيمان والتقوى، وكيف يمكن بواسطتها النجاة والعبور على الصراط المستقيم

١. سفينة البحار: مادة حب.

٢. بحار الأنوار: ١٠١/٢٣٢ و ٣٥٧، عن كتاب مصباح الزائر: ١١٦.

والخلاص من يوم الحساب بفرح وسرور.

وقد عدت محبة أهل البيت عليهم السلام في عدد من الروايات بأنها أصل التقوى والإيمان وأن بغضهم والعداوة لهم هي الكفر والنفاق بعينه.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

يَا عَلِيُّ؛ حُبُّكَ تَقْوَى وَإِيمَانٌ، وَبُغْضُكَ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ.<sup>١</sup>

إن الشخص الذي يعادي أمير المؤمنين عليه السلام ويبغضه، فهو من وجهة نظر مذهبنا كافر، وفي خاتمة منكري أحد الضروريات الدينية.

|                                  |                                                       |
|----------------------------------|-------------------------------------------------------|
| لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً   | وودّ كلّ نبيّ مرسل ووليّ                              |
| وصام ما صام صوامً بلا ضجر        | وقام ما قام قوامً بلا ملل                             |
| وحجّ ما حجّ من فرض ومن سنن       | وطاف ما طاف حافٍ غير منتعل                            |
| وطار بالجوّ لا يأوى إلى أحد      | وغاص في البحر مأموناً من البلل                        |
| يكسو اليتامى من الديباج كلّهم    | ويطعم الجائعين البرّ بالعسل                           |
| وعاش في الناس آلفاً مؤلفاً       | عار من الذنب، معصوم من الزلل                          |
| ما كان في الحشر عند الله منتفعاً | إلا بحبّ أمير المؤمنين علي <small>عليه السلام</small> |

وأما الذين هم في مصاف محبيه، وتتجذر تلك المحبة في أعماق وجودهم فهؤلاء يتمتّعون بخصلة التقوى والإيمان.

ومن هنا فإنّ الحب والبغض لهما مثل تلك التأثيرات الأساسية.

|                  |                    |
|------------------|--------------------|
| ومعشر سميتهم     | أئمة اثني عشر      |
| حباهم ربّ العلى  | ثم اصطفاهم من كدر  |
| قد فاز من والاهم | وخاب من عادى الزهر |

وينقل مولانا ثامن الحجج الإمام الروؤف عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حديثاً

عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه :

### حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يُكْفِّرُ الذُّنُوبَ، وَيُضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ.<sup>١</sup>

باعتبار أنَّ المحبة هي إكسير ولها قوَّة كاسرة وهائلة باستطاعتها تبديل الذنوب العظيمة إلى حسنات تكتب في سجلِّ الإنسان، كما هو الحال في الزنجفر الذي يبدِّل النحاس إلى الذهب.

وعلى ضوء ما قلناه فإنَّ المحبة هي «إكسير الحياة» والشریان الذي يمدّها بالحيويَّة والنشاط والاستمراريَّة؛ لأنَّ الأرواح تبتعد عن البارئ عزَّ وجلَّ نتيجة المعاصي التي ترتكبها، ولا شكَّ فإنَّ محبة أهل البيت (عليه السلام) هي الدواء الذي يشفي القلوب وتحياها من بعد موتها، وتفتح الطريق للقرب الإلهي، وذلك من بعد ترك الذنوب والمعاصي.

حيث إنَّ القلب الذي ينبض حبًّا وخلوصاً لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) وأبنائه الطيبين الطاهرين لن يبق مكانٌ وحيزٌ فيه للمعصية، بل إنَّ المحبة كلما ازدادت فإنَّها قادرة على محو وإزالة كلِّ ذنب قام بها المحبُّ في السابق، وتكون في الوقت نفسه سبباً ورادعاً قوياً في اجتنابها في الوقت الحاضر والمستقبل؛ لأنَّ الوقوف أمام القيام بالمعصية يكون عمليَّة سهلة بالنسبة إلى محو آثارها من سجلِّ الماضي.

ولعلَّ السرَّ من وراء تلك المسألة هو أنَّ الشخص الذي يحبُّ أهل البيت (عليه السلام) ويستشعر تلك المحبة في قلبه ويمارسها في سلوكه وأفعاله، فإنَّه مقرب عند الله سبحانه وتعالى ومحبوب لديه، وعندما يكون الإنسان مقرباً ومحبوياً عند البارئ عزَّ وجلَّ، فإنَّه يقع في حصن حوله وقوَّته، ويعني ذلك أنَّ الله تعالى يوجد بينه وبين المعصية حائلاً لا يمكن العبور منه، ويوجد في داخله القوَّة للقيام بالعمل الذي يرتضيه له الله تعالى ويوجد الأرضيَّة للنجاح فيه، وهذا هو المعنى الحقيقي لقول «لا حول ولا قوَّة إلا بالله»، ولهذا فإنَّ البعض يعتقد أنَّ محبة أهل البيت (عليه السلام) هي الأكثر تأثيراً في طريق السير والسلوك.

ولهذا نرى أن العلامة المجلسي رحمته الله ينقل بالتفصيل رواية في كتابه «بحار الأنوار»: الجزء ٧٠ الصفحة ٢٥» جاء فيها إن المحب - الذي يصل إلى أعلى مراتب الحب - مع أنه لم يطو الطريق الذي سار عليه العلماء والحكماء والسير على طريقة الصديقين، ولم يكن طريقته وأسلوبه طريقة وأسلوب هؤلاء، ولكن في الوقت نفسه فإنه يحمل جميع النتائج والثمرات التي حققها هؤلاء. وتحقق تلك الآثار عندما تكون المحبة في ذروتها وأشد درجاتها، وليس تلك المحبة التي يحملها نوعاً ما محبو أهل البيت عليهم السلام، وتشكل تلك المحبة أهمية للغاية، بحيث يصرح الإمام الصادق عليه السلام في الرواية التي سوف نذكرها بأن من يحمل هذه المحبة فإنها لن تكون هي الأكثر ثمرأً في طريقة السير والسلوك فقط، وإنما هي الطريق الوحيد الذي يأمن فيه الخطر ويخلو منه، والحال أن أسلوب الحكماء والعلماء والصديقين لم يكن كذلك، وهذا ما صرحت بها الرواية.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية:

إِنَّ الْحُكَمَاءَ وَرَثُوا الْحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثُوا الْعِلْمَ بِالطَّلَبِ، وَإِنَّ الصَّدِّيقِينَ وَرَثُوا الصَّدْقَ بِالْخُشُوعِ وَطُولِ الْعِبَادَةِ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِهَذِهِ الْمَسِيرَةِ إِمَّا أَنْ يَسْفَلَ وَإِمَّا أَنْ يَرْفَعَ، وَأَكْثَرُهُمُ الَّذِي يَسْفَلُ وَلَا يَرْفَعُ، إِذَا لَمْ يَرْعَ حَقَّ اللَّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ بِهِ، فَهَذِهِ صِفَةُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يُحِبَّهُ حَقَّ مَحَبَّتِهِ، فَلَا يَعْرِفُكَ صَلَاتُهُمْ وَصِيَامُهُمْ وَزَوَايَا تُهْمُ وَعُلُومُهُمْ، فَإِنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ<sup>١</sup>.

إلى المراحل العليا في مقام المحبة ويكون مشبعاً بالصدق والإخلاص والنقاء في هذا الخصوص وجعل قلبه حرم لله وملؤه بالمحبة الشديدة للبارئ جلّ وعلا وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فإنه لن تخدم تلك المحبة ولن تأخذ

١. بحار الأنوار: ٢٥/٧٠.

منحى التنازل والهبوط قطعاً على الرغم من جميع الظروف والحالات .  
ولعلّ المورد الوحيد الذي يمكن من خلاله استبدال المحبة هي فقدان  
الشخص أصل المحبة ومن ثم التفريط بها وإلا فإنّ المحبة مادامت في قلب  
المحب متأصلة ومتجدرة، فإنه يسير في مسير الترقى والتكامل ، وليس السير  
الفهري والسقوطي .

والسرّ في ذلك ، هو أننا - كما قلنا - فإنّ المحبة الشديدة مثلها مثل الجاذبية  
المغناطيسية، فإنّها تجذب المحبّ إليها مادامت هناك محبة ومودة في القلب ،  
وتطبعه على طباعها وتسير به على سنخيتها وتزرع فيه الصفات والآثار ، ومن  
هنا فإنّ الرواية هذه تعرف بأنّ محبة البارئ عزّ وجلّ وأوليائه هي أفضل الطرق  
وأنجع الأساليب وأسلمها للذين يرغبون في السير والسلوك .

وقد ذكرت بعض الروايات الأخرى بأنّ المحبّين هم مقدمون على جميع  
الأفراد، كما جاء في أخبار النبيّ داود على نبينا وآله وعليه السلام، فإنّ الله تعالى يقول :

مَا أَحَبَّنِي أَحَدٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَقِيناً مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا قَبِلْتُهُ لِنَفْسِي وَأَحْبَبْتُهُ  
حُبّاً لَا يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي، مَنْ طَلَبَنِي بِالْحَقِّ وَجَدَنِي، وَمَنْ  
طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدْنِي...<sup>١</sup>

ونستخلص من هذا الحديث القدسي بأنّ أولئك الذين جعلهم الإمام بقيّة  
الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه من أعوانه وأنصاره ومنحهم شرف الحظوة ببلقائه  
وفضّلهم على سائر الخلق، فإنّهم سبقوا الناس في طريق المحبة ونالوا أسمى  
وأرفع الدرجات والمراحل المتعالية من المحبة .

\*\*\*

## الكائنات السماوية ومحبة أهل البيت ﷺ

وعظفاً على ما سبق، فإنَّ محبِّي وموالي أهل البيت ﷺ ليس وحدهم من يمتلك تلك العظمة والمكانة العالية، وإنَّما جميع الموجودات الكونية فإنَّها ترتفع وتسمو بسبب محبَّتِها أهل البيت صلوات الله عليهم، وهذا الأمر يشمل الملائكة المقرَّبين إذ إنَّهم يكتسبون تلك العظمة والشرف من خلال محبَّتِهم للعترة الطاهرة ﷺ.

قال رسول الله ﷺ:

هَلْ شَرَفَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِحُبِّهَا لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَقَبُولِهَا  
لَوْلَايَتِهِمَا؟...<sup>١</sup>

وهذا الحديث صريح على أنَّ شرف الملائكة جاء نتيجة حبِّها للنبي الأكرم ﷺ والإمام أمير المؤمنين علي ﷺ.

إِنَّ الْمَحَبَّةَ لِلْوَصِيِّ فَرِيضَةٌ      أعني أمير المؤمنين علياً  
قد كلف الله البرية كلَّها      واختاره للمؤمنين ولياً

ومع أنَّ الرواية تتحدَّث عن الملائكة، ولكن الروايات الأخرى التي هي من نفس السنخية تؤكد هذه الحقيقة، وتصرِّح بأنَّ جميع الكائنات السماوية سواء الملائكة وغيرها هي محبة لأهل البيت ﷺ ومواليه لهم وأنَّها بواسطة تلك المحبة تزداد تقرباً؛ لأنَّه وكما قلنا آنفاً فإنَّ المحب تتجلَّى فيه صفات المحبوب، وتظهر عليه شاء أم أبى، ولا شكَّ فإنَّ واحدة من الصفات التي يتمنَّع بها أهل بيت الوحي والرسالة ﷺ هي القرب من الله تعالى، ومن هنا فإنَّ الكائنات السماوية تؤمن بأنَّ محبة هؤلاء الأبرار الأخيار هي وسيلة لقربها من الله جلَّ وعلا.

ونقرأ في إحدى الزيارات الجامعة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام تلك العبارة:

يَتَقَرَّبُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِحُبِّكُمْ، وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ.<sup>١</sup>

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| يا سادتي يا بني علي     | يا آل طه وآل صاد      |
| من ذا يوازىكم وأنتم     | خلائف الله في البلاد  |
| أنتم نجوم الهدى اللواتي | يهدي بها الله كل هاد  |
| لا زلت في حبكم أوالي    | عمري وفي بغضكم أعادي  |
| وما تزودت غير حبي       | إياكم وهو خير زاد     |
| وذاك ذخري الذي عليه     | في عرصة الحشر اعتمادي |

### ما هي آثار القرب الإلهي ؟

في هذا البحث نتطرق باختصار إلى أهم الآثار التي تترتب على موضوع القرب الإلهي.

إننا عندما ندقق في هذا الموضوع وندرسه من جميع جوانبه نجد أن من علامات القرب الإلهي والقرب إلى أهل بيت الوحي والرسالة عليهم السلام هي فعالية العين والآذان الباطنية والظفر بالقدرات والقوى الروحية والمعنوية؛ باعتبار أن الإنسان إذا وقع في دائرة المحبة الإلهية فسوف يطوي مراحل التطور المعنوي وينال أقصى درجاته، وبالنتيجة يصل إلى القدرات المعنوية التي يعجز حتى العقل عن دركها.

ينقل الإمام الصادق عليه السلام حديثاً عن جده رسول الله ﷺ يقول فيه:

مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرَصَدَ لِمُحَارَبَتِي، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ

١. بحار الأنوار: ١٠٢/١٦٤، عن كتاب مصباح الزائر: ٢٣٩.

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ،  
وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَحْبَبْتُهُ  
وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ<sup>١</sup>.

ولا شك فإن جميع الأمور التي جاءت في هذا الحديث حدثت نتيجة  
القرب إلى الله تعالى، وعلى ضوء ذلك فإن سماع الأصوات السماوية ومشاهدة  
الوجوه الملكوتية والحصول على الأسرار والحكم الإلهية والقيام بالأمور  
الصعبة والمستحيلة بيد القدرة الإلهية، واستجابة الدعاء، فإنها كلها تشمل حال  
أولئك الذين نالوا درجات القرب الإلهي، والقرب إلى أهل البيت ﷺ  
والأشخاص الذين شملتهم المحبة الإلهية ومحبة العترة الطاهرة ﷺ.

### محبة أهل البيت ﷺ لأصحابهم

من الطبيعي بمكان أننا عندما نضع محبة أهل البيت ﷺ في قلوبنا فإننا نكون  
قد جعلنا محبتنا في قلوبهم كذلك؛ لأن الذين يحبون هذا البيت الطاهر فإنهم  
بالتأكيد يكونون في دائرة محبة وعطف ذلك البيت الذي طهره الله تطهيراً،  
واصفاه من دون الخلق أجمعين، وهي معادلة لا يمكن فصل أحد طرفيها عن  
الآخر.

يقول حبش بن المعتمر: دخلت على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقلت له:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، كَيْفَ أُمْسَيْتَ؟  
قَالَ: أُمْسَيْتُ مُحِبّاً لِمُحِبِّينَا وَمُبْغِضاً لِمُبْغِضِينَا...<sup>٢</sup>.

وثمة شيء هنا لابد من القول به، وهو أن الإنسان الذي يدخل في قلب أهل  
البيت ﷺ فإنه يكون محبوباً لدى الله تعالى، ويتنور قلبه وعقله بمحبة البارئ عزّ

١. بحار الأنوار: ١٥٥/٧٥، عن أصول الكافي: ٣٥٢/٢.

٢. بحار الأنوار: ٥٣/٢٧، مجالس الشيخ المفيد: ١٩٧.

وجلّ، وحينما يتعمّق هذا الحبّ ويصبح بدرجة عالية وشديدة يخرج كلّ الأغيار من قلبه، ويضحى الله وحده، ويترتب عليه النظرة الباطنية للأشياء، وبالنتيجة يتعرّف على أولياء الله الصالحين.

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى قال لرسول الله ﷺ في ليلة المعراج:

مَنْ عَمِلَ بِرِضَايَ أَلْزِمَهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ: أَعَرَّفُهُ شُكْرًا لَا يُخَالِطُهُ الْجَهْلُ، وَذَكَرًا لَا يُخَالِطُهُ النِّسْيَانُ، وَمَحَبَّةً لَا يُؤْثِرُ عَلَى مَحَبَّتِي مَحَبَّةَ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِذَا أَحَبَّنِي أَحَبَّنِي، وَأَفْتَحُ عَيْنَ قَلْبِهِ إِلَيَّ جَلَالِي وَلَا أُخْفِي عَنْهُ خَاصَّةَ خَلْقِي...<sup>١</sup>

وعلى أساس هذا، فإنّ واحدة من علامات محبة البارئ سبحانه وتعالى هي معرفة الإنسان لأولياء الله تعالى وخواص خلقه، ومن ثمّ التشرف برؤيتهم. ومن هنا نرى أنّ هناك العديد من الناس يبحث بكلّ وجودهم عن زيارة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والحظوة بلقائه المبارك، سواء كان هذا اللقاء في اليقظة أو المنام بسبب الوله والمحبة الشديدة؛ باعتبار أنّ المحبة في الإنسان تزيد من الإشتياق لملاقاة المحبوب. كان في قلب النبي إبراهيم عليه السلام كراهية بالنسبة إلى الموت، فجاء النداء من الله تعالى إلى جبرئيل أن يذهب وقل له:

هَلْ رَأَيْتَ حَبِيبًا يُكْرَهُ لِقَاءَ حَبِيبِهِ؟ إِنَّ الْحَبِيبَ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ.<sup>٢</sup>

لقد كان هناك فئة من هؤلاء تعيش في زمن أهل البيت عليه السلام وكانوا بعيدين عن المدن والديار التي يعيش بها الأئمة الأطهار عليه السلام، ولكن كانت قلوبهم تطير عشقاً ومحبة لهم والأمل يحدوهم بلقاء المحبوب، ومن هؤلاء هو أويس الذي

١. بحار الأنوار: ٢٨/٧٧.

٢. بحار الأنوار: ١٢٧/٦، عن أمالي الصدوق: ١١٨.

كان قلبه ينبض بالشوق لرؤية النبي الأكرم ﷺ وقد رسم في مخيلته صورة جميلة عن معالمة وخصاله .

وفي هذا الزمن الذي نعيشه فإن الأمة في حالة ترقب وانتظار وأمل في رؤية الإمام بقيّة الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء وسرّ عالم الوجود والذي يعيش في غيبة طويلة ، وهذا الأمل نابع من المحبة والعلاقة الشديدة لآل الله ؛ باعتبارها ترتكز على قول البارئ جلّ وعلا «إِنَّ الْحَبِيبَ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ» .

|                              |                         |
|------------------------------|-------------------------|
| زرنى فديتك فالقواد مشوق      | وبه من البلوى جوى وحروق |
| طيف الحقيقة هل سأحظى لحظة    | بمناي منك فإنك المعشوق  |
| هل أرتوي من فيض نورك حينما   | يجلو عيوني قدك الممشوق  |
| يا من سكنت قلوبنا فعيوننا    | ترنو إليك وهدها التحديق |
| يا حجة الله الجليلة في الورى | أشفق وطلّ فمن سواك شفيق |

### وظيفة محبي أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم

#### ١ - إيجاد المودة

يجب أن تكون محبة أهل البيت عليهم السلام بشكل عميق بحيث تتجذر في جميع أعماق الإنسان ، تأخذ مساحة واسعة من قلبه لكي تكون وسيلة للتقرب إليهم .  
عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال :

#### الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ<sup>١</sup>

يعني لابد من تزايد المحبة ووصولها إلى مرحلة يصل معها المحب إلى أقرب من حبل الوريد من محبه ، فإذا اقتربت من ذلك يقال عليها «المودة» ، وعليه فإن المودة هي المحبة التي المضاعفة ، وتزايد وتؤدي بالنتيجة إلى القرب الروحي .

ولعل هذه المحبة بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام هي وظيفة ومسئولية ملقاة على الجميع ، ويجب أن تكون محبة لمحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم أجمعين بحدّ تجعل تلك المحبة وسيلة لقربنا منهم ونيل شفاعتهم ، وهذا الأمر قد أوصى به ربّ العالمين حين صرّح في كتابه المجيد قائلاً:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>١</sup>.

إذن وعلى ضوء هذه الآية الشريفة ، فإنّ الأمانة ملزمة بمحبة أهل البيت عليهم السلام وإظهار المودة لهم ، والتي توجب القرب الروحي والمعنوي من هؤلاء الأطنهار ، ولا شكّ فإنّ هذا الموضوع هو وظيفة كلّ شخص قد أتى نصيباً من الفهم .

## ٢- محبة موالى أهل البيت عليهم السلام

من الواضح فإنّ محبة أهل البيت عليهم السلام لن تكون هي نهاية المطاف والخاتمة ، بل هناك مرحلة تتبع هذه المحبة ، وهي محبة محبيهم وإيجاد العلة الروحية والمعنوية معهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

أَحِبُّوا مَوَالِينَا مَعَ حُبِّكُمْ لَنَا<sup>٢</sup>.

لأنّ محبة مواليتهم وأتباعهم هي أمر ملازم لمحبيهم .

## ٣- البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام

إذا كانت محبة أهل البيت عليهم السلام - والذين لأجلهم خلق عالم الوجود - استقرت في جوف قلب إنسان ما فمن المستحيل أن يقبل محبة أعدائهم ؛ باعتبار أنّ تلك

١. الشورى: ٢٣.

٢. بحار الأنوار: ٥٧/٨.

المحبة تتقاطع بكل المقاييس مع محبة من نصب لهم العداء وحاربهم، ومع أن هناك إمكانية في الشعور الظاهري والوعي في اجتماع محبة شيئين متخالفين ولكن من الناحية القلبية والباطنية يستحيل حصول هذا الأمر، ولهذا لا يمكن بشكل من الأشكال اجتماع محبة أهل البيت عليه السلام وأعدائهم في جوف واحد. ولهذا يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لَا يَجْتَمِعُ حُبُّنَا وَحُبُّ عَدُوِّنَا فِي جَوْفِ إِنْسَانٍ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾<sup>١</sup>.

لأن محبة أهل البيت عليه السلام ومحبة أعدائهم مثلهما مثل الماء والنار لا يجتمعان في مكان واحد، وهناك نظير هذه الرواية رواية أخرى ينقلها أبو الجارود عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام وهي:

أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فَيُحِبُّ بِهَذَا وَيُبْغِضُ بِهَذَا، فَأَمَّا مُحِبُّنَا فَيُخْلِصُ الْحُبَّ لَنَا كَمَا يُخْلِصُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ لَا كَدَرَ فِيهِ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ حُبَّنَا، فَلْيَمْتَحِنْ قَلْبَهُ؛ فَإِنْ شَارَكَهُ فِي حُبِّنَا حُبُّ عَدُوِّنَا، فَلَيْسَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْهُ، وَاللَّهُ عَدُوُّهُمْ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ<sup>٢</sup>.

ومن هنا فإن من علامات المحبة لأهل البيت عليه السلام والتي تتزامن مع اتباعهم وإطاعتهم هي الانشداد إليهم وإيجاد العلاقة والعلاقة القوية بهم، والتي لا يمكن أن يفصمها فاصم، والتبرؤ من أعدائهم، وهذه هي المحبة الصادقة التي من شأنها أن تجذب الإنسان وتجعله محباً حقيقياً وواقعياً لأهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام بحيث لا ينظر إلا إلى ذلك المحبوب، ولا يطلب إلا رضاه والقرب

١. الأحزاب: ٤.

٢. بحار الأنوار: ٣١٨/٢٤، عن كتاب كنز الفوائد: ٢٣.

٣. بحار الأنوار: ٥١/٢٧.

إليه والطاعة الكاملة له، وتحصل تلك الحالات نتيجة جذب المحب إلى محبوبه.

قالت السيّدة خديجة عليها السلام في شعر منسوب لها حينما أراد رسول الله ﷺ السفر:

قَلْبُ الْمُحِبِّ إِلَى الْأَخْبَابِ مَجْذُوبٌ وَجِسْمُهُ بِإِدِّ الْأَشْقَامِ مَنُهْوَبٌ<sup>١</sup>  
فعندما ينجذب الفرد منا إلى أهل البيت عليهم السلام نتيجة تأصل جذور المحبة وتضاعفها، فإنه سوف يتنفر ويشعر بامتعاظ من أعدائهمهم والتبرؤ منهم، ولهذا يقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

... إِنَّ أَصْلَ الْحُبِّ، التَّبَرُّي عَنْ سِوَى الْمُحِبُّوبِ.<sup>٢</sup>

وعليه فحينما يتعد الإنسان من غير محبوبه فسوف يكون المحبوب هو المقدم ويؤثره على غيره، ويقول صادق آل محمد عليهم السلام في هذا الجانب:

دَلِيلُ الْحُبِّ إِثَارُ الْمُحِبُّوبِ عَلَى مَا سِوَاهُ.<sup>٣</sup>

ولا شك ولا ريب فإن مثل هكذا محبة توصل الإنسان إلى قمة المعنوية والنورانية بحيث يجعل فيوضات وعنايات وكرامات أهل البيت عليهم السلام تنصب على ذلك الإنسان صبا، وتوجد منه موجوداً معنوياً وملكوتياً، ولهذا السبب تجد أن البغض والبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام هي التي تملأ قلبه وتجعله خالياً من الأغيار.

#### ٤- إتباع أهل البيت عليهم السلام

من المؤكّد فإن أهل البيت صلوات الله عليهم يتوقّعون من أنصارهم وأتباعهم أكثر من غيرهم في مسألة بناء النفس والسلوك الرباني والتعامل مع الغير وفق

١. بحار الأنوار: ٢٩/١٦.

٢. بحار الأنوار: ٢٥١/٦٩، نقلاً عن كتاب مصباح الشريعة: ٦٥.

٣. بحار الأنوار: ٢٢/٧٠، نقلاً عن كتاب مصباح الشريعة: ٢.

مقاييس السماء وما جاء به الدين الإسلامي الحنيف .

وحسب التعاليم التي يريدها أهل البيت عليهم السلام فإنَّ الشخص الذي يكون محباً لهم من أعماق وجوده، عليه أن يجعل سلوكهم وتعاملهم مع الناس هو المثل الأعلى له، والعمل على زيادة التقوى والورع والعمل الصالح .  
عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال :

مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَعْمَلْ بِعَمَلِنَا، وَلْيَتَجَلَّبِ الْوَرَعَ.<sup>١</sup>

وعلى ضوء تلك المحبة لآل الله والتي تجاوزت مرحلة الظاهر وتجدرت في وجود الإنسان وكيانه، فإنها تصبح المصدر والمنشأ للتقوى والفعل الحسن والعامل الأقوى والفاعل في ذلك .

إنَّ المحبة الكاملة بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام تتزامن دوماً مع العمل الصالح، ومن الطبيعي فإنَّ الأشخاص الذين تزداد محبتهم إلى محبوبهم فإنهم عادة ما يتحملون صعوبات جمّة، ويكدحون في جهد مضاعف لأجل القيام بالفعل الصالح والحسن، وفي هذا الصدد يقول مولانا ثامن الحجج الإمام الرووف علي بن موسى الرضا عليه السلام :

لَا تَدْعُوا الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْعِبَادَةَ إِتْكَالاً عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام  
وَالْتَّسْلِيمَ لَأَمْرِهِمْ إِتْكَالاً عَلَى الْعِبَادَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ أَحَدُهُمَا دُونَ  
الْآخَرِ.<sup>٢</sup>

والأكيف يمكن للإنسان يعشق أهل البيت عليهم السلام ويُكنَّ لهم المحبة التي لاتوصف بوصف أن ينشغل بأعمال وأفعال لايرضونها وترك الأفعال والأعمال التي يرغبون فيها .

إنَّ المحبَّ الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يتبع محبوبه في كل شيء، ويكون مطيعاً له في جميع الأمور والأفعال .

١. شرح غرر الحكم : ٣٠٣/٥ .

٢. سفينة البحار : ٢٠٤/١، مادة حب .

ينقل عن مولانا الصادق عليه السلام بيتاً من الشعر يقول فيه :

لَوْ كَانَ حُبُّكَ ضَاقًا لَأَطَعْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ<sup>١</sup>

وتؤدّي مثل تلك المحبة إلى البلوغ أبلغ المقاصد وتترافق مع عملية الطاعة واتباع أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وهي الطاعة التي تفرحهم وتدخل السرور والغبطة في قلوبهم، ولهذا نرى أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في هذا الموضوع :

فَأَصْبَحْنَا نَفْرَحُ بِحُبِّ الْمُحِبِّ لَنَا.<sup>٢</sup>

نعم؛ إن الذين يبغون الوصول إلى المقامات والدرجات العليا والرفيعة والأهداف العظيمة عليهم أن يدركوا حقيقة مفادها: إن الشخص الذي يطلب الكنز الثمين عليه أن يسعى كثيراً لتحصيله، ويبدل قصارى الجهود والتضحيات في ذلك الطريق، ولهذا فلا بدّ لهم تنمية الأفكار الصالحة في أذهانهم وامتلاك الحكمة وفصل الخطاب والقيام بكل ما هو مطلوب في سبيل الوصول إلى مبتغاهم ومقصودهم، واجتناب كل أفعال السوء والحرام.

قال أمير الحكمة والبيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

مَنْ أَحَبَّ الْمَكَارِمَ، اجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ.<sup>٣</sup>

جاء في أخبار النبي داود على نبينا وآله وعليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال :

مَا لِأَوْلِيَائِي وَالْهَمُّ بِالدُّنْيَا، إِنَّ الْهَمَّ يَذْهَبُ حَلَاوَةً مُنَاجَاتِي مَنْ قُلُوبِهِمْ.

يَا دَاوُدُ؛ إِنَّ مَحَبَّتِي مِنْ أَوْلِيَائِي أَنْ يَكُونُوا رُوحَانِيَيْنَ لَا يَعْتَمُونَ.<sup>٤</sup>

١. بحار الأنوار: ٢٤/٤٧.

٢. بحار الأنوار: ٨٣/٢٧.

٣. بحار الأنوار: ٤٢١/٧٧، نقلاً عن كتاب الإرشاد للشيخ المفيد: ١٤٠.

٤. بحار الأنوار: ١٤٣/٨٢.

وعلى أساس ذلك فإنَّ محبِّي الباري عزَّ وجلَّ وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام عليهم عدم الإهتمام بالأمور الدنيوية والإنشغال بها، وبالتالي قضاء حياتهم بها؛ لأنَّ عبادة الدنيا والأمور الماديَّة هي أكبر وسيلة تبعد الفرد عن الله جلَّ وعلا وتسلب حالة التقرب منه، وتقلل من محبة الله وأهل البيت عليهم السلام ولكن الصورة تكون معكوسة بالنسبة إلى أولئك الذين يتعلَّقون بالأمور المعنويَّة ويسعون إلى إدراك حقائق عالم المعنى، فإنَّها تجعل الإنسان محبوباً عند الله تعالى وأئمة الهدى صلوات الله عليهم.

#### ٥ - تقوية محبة أهل البيت عليهم السلام في قلوب الآخرين

من العلامات المهمة الأخرى والمسؤوليات المناطة بمحبِّي وأتباع أهل البيت عليهم السلام هي إدخال - ومن خلال السلوك الرفيع والأخلاق الحسنة - محبة ذلك البيت الطاهر في قلوب الناس، وبالتالي جذب أكبر عدد منهم بعد الحفاظ على نهجهم القويم وتعاليمهم الحقَّة الناصعة البياض وليس - والعياذ بالله - أن يكونوا السبب في إيجاد حالة من البغض والكراهية لهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً حَبَبْنَا إِلَى النَّاسِ وَلَمْ يُبَغِضْنَا إِلَيْهِمْ.<sup>١</sup>

ويتَّضح من خلال بحثنا في موضوع الآثار المترتبة على المحبة أنَّ إيجاد المحبة الشديدة في قلب الأمة بالنسبة إلى أهل بيت العصمة والطهارة يوجب إيجاد الأرضيَّة اللازمة لعملية التقوى وترك المعصية، وبالتالي سوف نضمن مجتمعاً خالياً من كلِّ عوامل الإنحطاط والسقوط والفساد، وعلى أساس ذلك ينبغي لمحبي وأتباع محمد وآل محمد عليهم السلام العمل بكلِّ طريقة ووسيلة متاحة لإيجاد المحبة لأهل هذا البيت المظلوم في قلوب الناس.

## المحبة الصادقة

إنَّ المحبة والصدقة علائم على إمكانية معرفة الصديق وتشخيصه وإفرازه وإيجاد الفرق الواضح بين هؤلاء وبين سائر الأفراد، وبما أنَّ المحبة هي أكسير فإنَّها من الطبيعي أن توجد آثاراً ونتائج في قلب المحب والتي تدلُّ على قيمة المحبوب.

ومن الواضح فإنَّ أولئك الذين يتمتعون بشيء من «الفراسة» يدركون جيِّداً كيف يختارون الصديق وكسب محبة الأشخاص، ومن أولئك الذين يرتبطون بهم قليلاً؟ إذ أنَّهم يشخصون المحبَّ والصديق عبر سلسلة من الأفعال والأقوال والسلوكيات والحركات.

وكلِّما كانت المحبة والصدقة أكثر فإنَّها دلالات على عطاء وإبراز المحبوب للمحب، وقد تكون المحبة أحياناً بشكل كبير ترى فيها أنَّ المحبَّ يضحِّي بكلِّ وجوده من أجل محبوبه، وهذه ظاهرة وعلامة على اعتقاد وإيمان المحبَّ بالنسبة إلى محبوبه.

فإذا كانت محبة الإنسان إلى أهل الوحي والرسالة صلوات الله عليهم أجمعين تصل إلى الحدِّ الأعلى والأسمى، فإنَّها علامة على إيمانه الكامل بالله عزَّ وجلَّ وهذا ما نجده واضحاً في حديث لرسول الله ﷺ إذ يقول فيه:

لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَكُونَ عِزَّتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عِزَّتِهِ، وَيَكُونَ أَهْلِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَيَكُونَ ذَاتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ.<sup>١</sup>

وعليه فإنَّ الشخص الذي تكون محبته بهذا المستوى والحدِّ فإنَّ محبته تحمِل جميع معاني الصداقة، ومن هنا فقد تترتب آثار عملية على هذا الأمر.



منذ ١٥٠ عام تقريباً كان هناك بزاز من أهل الكوفة، وكان مغرمًا وعاشقًا  
لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان معروفًا عند الناس، ووجهًا عندهم، وكان تاجر  
قماش كبيراً، وكان إذا أتاه سيّد من ذريّة أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام  
وحاله ضعيف ويريد أن يقترض مالاً أو يشتري قماشاً وماله لا يكفيه يأتي إلى  
ذلك التاجر ويتسلف منه.

وكان هذا التاجر عنده سجلّ يكتب فيه أسماء المديونين، ولكن كان إذا أتاه  
أيّ سيّد لا يكتب اسمه بالسجل، بل يكتب في سجلّه: «أطلب أمير المؤمنين علي عليه السلام  
هذا المبلغ»، ومضى على هذا الحال زمناً، وملئت سجلّاته بهذه الكلمة وهي  
«أطلب أمير المؤمنين علي عليه السلام كذا مبلغ»، وفي يوم من الأيام تعرّض لازمة مالية  
حادة جدّاً خسر فيها كلّ تجارتها، فطلب من زوجته أن تأتيه بالسجلّات كي  
يعرف كم له من المال عند الناس، وبينما هو جالس على باب بيته، فإذا بأحد  
النواصب يمرّ عليه، فقال له باستهزاء: إذهب إلى أمير المؤمنين كي يرجع لك  
مالك.

فلما سمع قوله حزن حزناً كثيراً، فنام في نفس الليلة فشاهد النبي  
الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في المنام جالساً في مكان والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان  
أمامه، فالتفت إليهما وقال لهما: أين أبوكما؟

فأجابه أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان خلفه: إنّي هنا يا رسول الله. فقال له صلى الله عليه وآله وسلم:  
لماذا لا تعطي طلب هذا الرجل؟ فأجابه أمير المؤمنين علي عليه السلام قد جئت له بحقه  
الدينوي، فقال له: أعطه فناوله أمير المؤمنين كيساً من الحرير الأبيض وقال له:  
هذا حقّك.

بعد ذلك التفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرجل قائلاً له: خذ هذا المال وكلّ من  
أراد من ذريّتي شيئاً أعطه، فإنّك لن تفقر بعد ذلك أبداً.

فقال الرجل: استيقظت من المنام فشاهدت في يدي كيساً فيه مقدار من  
المال، فأيقظت زوجتي وقلت لها: أوقدي المصباح، فأوقدته ففتحت الكيس  
وحسبت المبلغ الذي فيه فوجدته ألف أشرفي.

فقال زوجتي: إتقي الله لا قدر الله أن تكون الأزمة المالية التي تمر بك أجبرتك على خداع الناس وأكل الحرام؟ فقلت: لا والله؛ فذكرت لها قصة تلك الرؤيا، فقامت بفتح السجل فوجدت أن الحساب الذي كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ألف أشرفي ولم يكن أكثر أو أقل.<sup>١</sup>

وفي هذا المقام نذكر رواية واردة عن مولانا الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال فيها:

مَنْ أَغَانَ فَقِيرَنَا، كَانَ مُكَافَأَتُهُ عَلَى جَدِّنا مُحَمَّدٍ (عليه السلام).<sup>٢</sup>

ومن هنا نرى أن الرجل الكوفي قد نال أجره الدنيوي بأمر من الرسول الأعظم (عليه السلام).

### المحبة الكاذبة

إنّ هناك فئة من الناس تظهر المحبة والمودة لأهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) وكأنهم يودّونهم بشكل صادق، وأنّها قد ملأت كلّ وجودهم، ولكن عند متابعة حركاتهم وسكناتهم ومعاملتهم وأقوالهم ومقارنتها مع التعاليم والداستير الواردة عن هذا البيت الطاهر تجد أنّ تلك المحبة والمودة لم تكن خالصة وإنّما يشوبها الكثير من الرواسب.

وفي هذا الخصوص يرى الكثير من الناس أنّهم عشاق للإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا لمقدمه الفداء، ويمكن لهم التضحية بالغالي والنفيس من أجله، ولكن تراهم عملاً يعرضون مثلاً عن دفع سهمه إلى أهله بعد أن أنعم الله عليهم بنعمة المال! فهل يمكن لذلك الشخص الذي يمتنع عن دفع سهم الإمام (عليه السلام) في طريق إحياء أهدافه المقدسة من التضحية بنفسه في زمن الظهور؟ ألم يقل الإمام بقیة الله الأعظم أرواحنا فداءه في توقيعه المبارك:

١. الفوائد الرضوية: ٣١١.

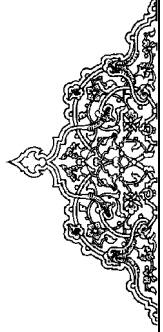
٢. بحار الأنوار: ١٢٤/١٠٠.

لَعَنَهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّ مِنْ أَمْوَالِنَا  
دِرْهَمًا.<sup>١</sup>

يقول الإمام الباقر عليه السلام لجابر حول من ادّعى محبة ومودة أهل البيت عليهم السلام:

يَا جَابِرُ؛ أَيَكْتَفِي مَنْ يَنْتَحِلُ الشَّيْعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟  
فَوَاللَّهِ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَطَاعَهُ.<sup>٢</sup>

ويمكن الاستفادة من هذا الحديث الشريف أن الشخص الذي لم يتمتع  
بالتقوى والطاعة الإلهية عليه أن لا يكتفي بإظهار محبة ومودة أهل البيت عليهم السلام.



١. بحار الأنوار: ١٨٣/٥٣، نقلاً عن كتاب كمال الدين: ٢/٢٠١، الصحيفة المباركة المهدية: ٤٢١.

٢. بحار الأنوار: ٩٧/٧٠.

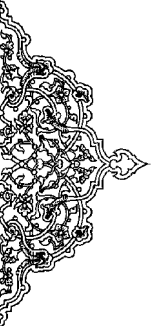
## نتيجة البحث

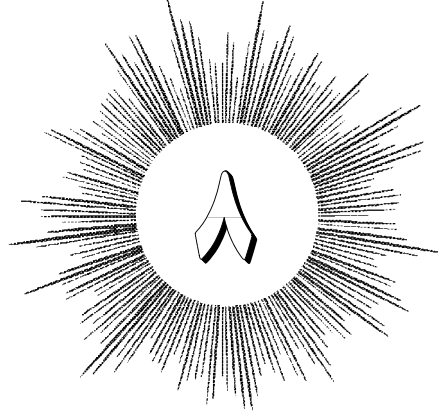
إنَّ المحبَّة والمودَّة هي إكسير لشفاء الكثير من الضعف المستشري والمشاكل التي يتعرَّض لها الإنسان ، وتحمل تلك المحبة جاذبية تستطيع بسهولة جرَّه إلى المحبوب ، وتنقل الصفات والحالات التي يتمتع بها المحب إلى المحبوب ، وكلَّما كانت المحبَّة أكثر وأعمق كلَّما كانت الجاذبية وتأثير الحالات في المحبِّ أوسع ، فتكون مورداً لقرب المحبوب والإرتباط به قلباً وقالباً ، وهذا هو معنى المودَّة التي يجب أن يتحلَّى ويتَّصف بها كلُّ إنسان بالنسبة إلى أهل البيت عليه السلام ؛ باعتبار أنَّ أجر الرسالة هو مودَّة ذوي القربى .

ويمكن للإنسان أن يخلق بروحه ، وذلك من خلال محبَّة ومودَّة أهل بيت الوحي والرسالة والتقرُّب إلى ولايتهم وحصنهم المنيع ، ويشمله الأنوار المشعة لهم ، وتطهيره من كلِّ أنواع الأدران والشوائب والتلوث المترسخ والمتجذر في أعماقه .

ومن لوازم القرب لأهل البيت عليه السلام الإطاعة الكاملة لأوامرهم واتباع منهجهم والتبرُّ والإبتعاد عن أعدائهم والناصبين لهم الحقد والبغضاء . وهذه هي المحبَّة الصداقة التي لا يبدُّ لكلِّ إنسان متناً زرعها وترسيخها في قلبه وقلب أهله والحرص كلِّ الحرص على الإلتزام بها فكراً وعملاً .

آل النبيِّ محمد خير الورى وأجلَّهم عند الإله مكانا  
قومٌ إذا أصفى هواهم مؤمنٌ يُعطي غداً ممَّا يخاف أمانا  
قومٌ يطيع الله طائعٌ أمرهم وإذا عصاه فقد عصى الرحمانا  
وهم الصراط المستقيم وحبَّهم يوم المعاد يُثقل الميزانا  
وتوالى الأخبار أنَّ محمداً بولائهم وبحفظهم أوصانا  
وأتى القرآن بفرض طاعتهم على كلِّ البرية ، فاسمع القرآنا





الانتظار

من أقوال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

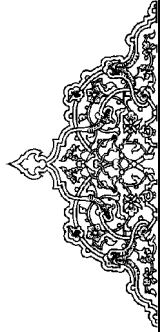
أَفْضَلُ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِ ، إِنْتِظَارُ فَرَجِ اللَّهِ

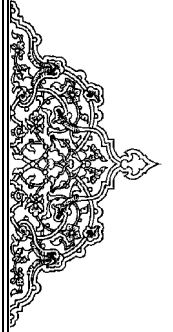
### قيمة الانتظار

الانتظار هو من الخصائص المهمة التي تميّز الرجال الذين يخطون في طريق النجاح والسداد، فمن خلال الروايات والأحاديث الواردة على لسان أهل الوحي والرسالة ﷺ والتي تتحدّث عن سمات شخصيّة الرجال العظام في زمن الغيبة، توضح وبشكل لا يقبل الشك أن المنتظرين الحقيقيين للظهور هم خيرة الناس في كلّ العصور والأزمنة.

ومن هذا المنطلق فإن مجموعة من الذين سجّلوا انطباعاتاً كاملاً عن مسألة الانتظار يرون أنّها هي من أهمّ عوامل الموفقيّة في هذه الأيام، ويعتقدون أنّ الإنسان يستطيع البحث عن عوامل الكمال في قضية «الانتظار الواقعي»، ومن خلاله يكون قادراً على التحليق في سماء المعنويات، وينجّي نفسه من المشاكل والمعضلات الاجتماعية والنفسية.

إنّ الانتظار بمعناه الصحيح والكامل هو حالة صعبة مستصعبة، وكأنّها محاطة بهالة من الأسرار والخفايا، وقليل من الناس المخلصين هم الذين





وصلوا إلى الكمال، وتخلّصوا من شباك الأعداء.<sup>١</sup>  
وعلى هذا فإنّ الإنتظار في مراحلها النهائية والمتقدمة - والذي يتجلّى في الخواصّ من أصحاب الإمام أرواحانه الفداء - يأتي بمعنى الاستعداد والمساهمة، وذلك بالاستعانة بالطاقات غير العادية من أجل تطبيق الشريعة السماوية السمحاء، والخدمة في ظلّ الحكومة العادلة للإمام بقيّة الله أرواحانه الفداء.  
وفي أيّ مرحلة يتحقّق فيها الإنتظار فهو نوع من الإستعداد الباطني من قبل عالم الغيب، وهو طريق القربة إلى الله سبحانه وتعالى وإذا استمرّ وتكامل سوف يقضي وبمرور الأيام على جميع الصراعات الحاصلة في وجود وأعماق الإنسان، والتي استقرّت بشكل غير محسوس في ضميره ونفسه، ويضيء ويشعل في الباطن النور والضياء، ويفتح له طريق الكمال على مصراعيه، لكون الإنتظار حاله من الحضور والإستعداد اللازم على جميع الأصعدة والمجالات، ويسوق الباطن إلى عالم من الصفاء والنقاء والمحبة والنورانية. عالم تفنى فيه كلّ الأساليب والقدرات الشيطانية، وتسطع الأنوار الإلهية في أعماق ونفوس الإنسانية في كلّ المعمورة.

وعلى أساس هذه الحقيقة نقول: إنّ الشخص الذي وضع قدمه على المراحل المتقدمة من صراط الإنتظار هو شخص يعمل بطاقات خارقة للطبيعة؛ لأنّه وكما تعلم فإنّ حكومة الإمام صاحب العصر والزمان أرواحانه الفداء هي حكومة إلهية وملكوّية وغير طبيعية - إدراكها الكامل هو خارج عن قدرات تفكيرنا - لذا نراهم يحومون كالفراشة حول الامام عليه السلام وينصرونه في الصفوف

١. إنّ الأشخاص الذين يتوسّلون بالإمام عليه السلام ويذكرونه ويحيون مراسيم الإنتظار هم كثيرون والحمد لله، وهذه المجالس تزداد وتكثر يوماً بعد آخر، وقصدنا هنا ليس الطعن بهذه المجالس والأشخاص، وإنكار حالة الإنتظار الموجودة في هؤلاء، باعتبار أنّ الإنتظار له مراحل عديدة، وهم وصلوا إلى قمة مراحل الإنتظار - مع قلّة عددهم - وقاموا من بين العالمين ولم يقدوا مكتوفي الأيدي، وسعوا وجاهدوا وتحملوا الصعاب والمرارة في الطريق الذي انتخبوه.

وإليك مضمون شعر نقل من اللغة الفارسية يقول:

فالسالك لا يهاب الصعاب

لاتخاف من الصحراء وعظمتها

الأولى، ويكونون أهلاً للمسئولية والثبات والقدرة على إطاعة أوامره، والتي تحتاج إلى قدرات وطاقات خارقة للطبيعة<sup>١</sup>.  
والروايات التي ذكرت أوصاف وخصائص الثلاثمائة وثلاثة عشر من أعوانه وأنصاره كلها تشير إلى أنّ لهؤلاء طاقات وقدرات روحية غير طبيعية حتّى في زمان الغيبة.

### عوامل الانتظار

يجب علينا أن نسعى جاهدين إلى معرفة المعنى الحقيقي لفلسفة الانتظار، وكذلك إيجاد هذه الحالة في أنفسنا وفي الآخرين، ومن أجل نشر وتعميم مسألة الانتظار وتجسيد عظمتها وتعليمها للآخرين في المجتمع، توجد عدّة طرق يمكن الاستفادة منها في زرع بذرتها.

وإليك بعضاً من أهم الطرق والتي توجه المجتمع إلى مسألة الانتظار:

١- التعريف بالمقام الشامخ والعظيم للولاية ومعرفة عظمة ومنزلة الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء.

٢- التعريف بالآثار العجيبة للانتظار، والمعنى الكامل والمراحل العليا له.

٣- شرح أوصاف وخصائص أصحاب الإمام أرواحنا له الفداء، والذين وصلوا إلى المراحل العليا من الانتظار، وتمتعهم بالطاقات والقدرات الروحية، وتنفيذهم أوامر وديساتير إمام العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه.

٤- معرفة مستقبل الإنسان والعالم والتحوّلات والأحداث المهمة في حياة البشر، والتي تقع في زمن الظهور<sup>٢</sup>.

فمن هنا فإنّ معرفة مقام وعظمة الإمام عجل الله تعالى فرجه وكذلك أصحابه

١. صرّحت الروايات المتعددة أنّ في ظلّ حكومة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه يستفاد من القدرات غير الطبيعية.

٢. هناك طرق أخرى تهدي وترشد الإنسان إلى مسألة الانتظار، وقد شرحنا بعضها في هذا الكتاب، مثل مسألة الإخلاص

ومعرفة علوم أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم وإصلاح النفس و....

وأنصاره والتكامل العقلي والعلمي والعلاقة مع عالم الغيب ومعرفة الموجودات المجهولة، والسفر إلى عالم الفضاء وبقية الأمور الأخرى تكون كلها عوامل مساعدة لدعوة الناس إلى مسألة ظهور الإمام أرواحنا له الفداء، وتزرع فيهم حالة الانتظار والترقب لدولة الإمام المهدي أرواحنا له الفداء العظيمة.

وبسبب معرفة تلك الحقائق ستولد الحيوية والنشاط في حياة الناس الذين هم طاهري المولد والطينة، وبالتالي يكونون تواقين لذلك اليوم الخالد، وإن حالة الانتظار وتوقع ظهور الإمام ﷺ هي واحدة من الوظائف الأساسية لكل إنسان. وإليك الآن توضيح المواضيع التي تطرقنا إليها:

### ١ - معرفة المقام العظيم للإمام صاحب الزمان أرواحنا فداء

بناءً على هذا فإن معرفة أوصاف وخصائص الإمام عجل الله تعالى فرجه والترويج لوجوده العظيم والمبارك هو عامل مهم وأساسي في إيجاد حالة الانتظار. باعتبار أن العالم اليوم وعلى جميع أصعده لا يرى شخصاً أجدر وأكفاً ولديه المؤهلات والمواصفات الكاملة لقيادته وإصلاحه سواء، وهذه النقطة هي السر الكامن التي تجعل الإنسان ينجذب بشكل أو بآخر إلى ذلك الإمام الهمام والذي هو خليفة الله في أرضه وسمائه وهو البقية الصالحة التي قال عنها أمير المؤمنين ﷺ:

عَلِمَ الْأَنْبِيَاءُ فِي عِلْمِهِمْ، وَسِرُّ الْأَوْصِيَاءِ فِي سِرِّهِمْ، وَعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ فِي عِزِّهِمْ، كَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ، وَالذَّرَّةُ فِي الْقَفْرِ<sup>١</sup>.

وبما أننا نعيش في زمان فيه آخر تلك السلالة الطاهرة، فإن وجوده الشريف يوجب علينا السير على منهج ذلك الهادي العظيم، وكذلك إخراج أنفسنا من حالة الغفلة والضياغ، والبقاء في انتظار حكومته عجل الله تعالى فرجه، ورفع راية

العدالة والهداية في أصقاع العالم.

وانطلاقاً من ذلك فإذا كان الشخص يعرف الإمام حق معرفته، ومطلع على حالات الإمداد الغيبي له في زمان الغيبة وما سيؤول إليه العالم من تحولات وأحداث في زمان ظهوره سيجعله دائماً يذكر الإمام عليه السلام كما هو أمر بذلك<sup>١</sup> ويبقى في انتظار شروق شمس الولاية، ومعرفة هكذا إنسان عظيم يجلي ويبدل الغفلة في القلب، ويجعله نقيّاً ونورانياً.

وهنا نشير إلى رواية رائعة في هذا المضمون تؤكد على الإمداد الغيبي لذلك الإمام أرواحنا له الفداء في زمن الغيبة:

ينقل جابر الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله ﷺ يقول:

... ذَاكَ الَّذِي يَفْتَحُ اللَّهُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - عَلَى يَدَيْهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، ذَاكَ الَّذِي يَغِيبُ عَنْ شِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ غَيْبَةً لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ.  
قَالَ: فَقَالَ جَابِرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَهَلْ يَنْتَفِعُ الشَّيْعَةُ بِهِ فِي غَيْبَتِهِ؟  
فَقَالَ ﷺ: أَيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ؛ أَنَّهُمْ لَيَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورٍ وَلَا يَتِيهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ، وَإِنْ جَلَّلَهَا السَّحَابُ.

يَا جَابِرُ؛ هَذَا مَكْنُونُ سِرِّ اللَّهِ وَمَخْزُونُ عِلْمِهِ، فَاكْتُمُوهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ.<sup>٢</sup>

وكما ترون فإن رسول الرحمة ﷺ يقسم مؤكداً في هذه الرواية بأن الشيعة وفي زمان غيبة إمامهم يأخذون نورهم من مقام ولايته أرواحنا له الفداء.

وما أجمل ما قاله أحد شعراء الفرس وإليك مضمونه:

من ذا الذي يستطيع النظر إلى الشمس دون حجاب، فالحجاب الذي غطى أعيننا دليل على ظهورك.

١. راجع بحار الأنوار: ١٤٥/٥٢.

٢. كمال الدين: ١٤٦ و ١٤٧، بحار الأنوار: ٢٥٠/٣٦.

من رأفتك ولطفك لانراكَ ، فأين أنت؟ ما أعظم رحمة الله لمن يراك وتراه .  
 في زمان الغيبة ومع أن الإمام أرواحانه الفداء غائب عن الأنظار - ولكن الحقيقة  
 أن ستار الغيبة يغطي قلوبنا، إذ هو نور ساطع وظاهر إلى كل من كان قلبه سليماً  
 وينبض بالإيمان، وهو بصير حتى وإن كان في الظاهر أعمى.<sup>١</sup>  
 والتركيز على هذه الحقيقة تساعد الإنسان على الوصول إلى مقام الولاية  
 وعلم وقدرة الإمام عليه السلام، فتملاً القلب محبةً وترقباً لحكومته العالميه أرواحانه.

## ٢- التعرف على آثار الإنتظار:

### ١ - الهروب من اليأس والروح الإنهزامية

في المجتمع الذي ليس فيه للدين أي دور يذكر، ولا يطمح الناس فيه إلى  
 مستقبل زاهر، ترى اليأس داباً في حياتهم وسفك الدماء والانتحار السمة  
 والعلامة البارزة له؛ لأنهم يرون العوامل السلبية فقط، مثل الفقر والجور  
 والظلم والطغيان وهتك حرمة القانون وعدم الإكتراث لحقوق الآخرين  
 وأمثالها، ولا يوجد لديهم بصيص من الأمل للخلاص والهروب منها؛ لذا  
 يصابون بداء اليأس وروح الإنهزامية، وهو نتيجة طبيعة وحتمية لعدم إيمانهم  
 بالله سبحانه وتعالى وما يجري في المستقبل، فيقدمون على الانتحار من أجل  
 الخلاص والهروب من تلك المشاكل، وهذا العمل والجريمة الكبرى  
 لاتخسرهم الدنيا والآخرة فحسب، وإنما يضيعون مستقبل نسلهم وأطفالهم  
 وأقاربهم.

ولكن عكس هذه الحالة تحدث مع الشخص الذي أوجد حالة الإنتظار في  
 نفسه، فإنك تراه مفعماً بالأمل بظهور الأنوار المشعة للولاية في جميع بقع  
 الأرض.

١. من أجل توضيح هذا الموضوع أكثر، عليكم الرجوع إلى الحديث الجميل لأبي بصير وغياب الإمام الباقر عليه السلام في هذا الكتاب.

ولا يخطر بباله ولا يطرق ذهنه طرفة عين أبداً على القيام بهذه الجريمة النكراء، أو يسفك دمه ويضيع حياة عدد من الناس، لذا فإن مسألة انتظار الفرج بالنسبة له عبارة عن العصا السحرية لفتح أبواب الأمل وتهيئة الأرضية المناسبة للهروب من روح اليأس والضياع، ونأتي برواية تعاضد هذه الحقيقة:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَرَجِ، فَقَالَ عليه السلام: أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِنْتِظَارَ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي إِلَّا أَنْ تَعْلَمَنِي. فَقَالَ عليه السلام: نَعَمْ؛ إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ الْفَرَجِ.<sup>١</sup>

## ٢- التكامل الروحي

يستطيع الإنسان من خلال إيجاد حالة الانتظار الكامل أن يوجد في نفسه عدد من حالات الناس في زمن الظهور - مثل تطهير القلب - وبواسطة الأمل والانتظار ينجي نفسه وينقذها من الضياع واليأس، وعلى أساس هذا ينقل الإمام الصادق عن آبائه الأطهار عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قائلاً:

أَفْضَلُ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِ إِنْتِظَارُ فَرَجِ اللَّهِ.<sup>٢</sup>

لهذا فإن الإنسان ومع وجود حالة الانتظار يتمكن من إيجاد بعض آثار الكمال زمان الغيبة في نفسه. ومن أجل شرح هذا الموضوع نلفت نظركم إلى أقوال الإمام السجاد عليه السلام إلى أبي خالد الكابلي، حيث قال عليه السلام:

تَمَتَّدُ الْغَيْبَةُ بِوَلِيِّ اللَّهِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ أَوْصِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْأَيَّامُ بَعْدَهُ.

يَا أَبَا خَالِدٍ؛ إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ، الْقَائِلُونَ بِإِمَامَتِهِ، الْمُنْتَظَرُونَ لظهوره، أَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - أَعْطَاهُمْ مِنْ

١. بحار الأنوار: ١٣٠/٥٢.

٢. بحار الأنوار: ١٣١/٥٢.

الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ  
الْمُشَاهَدَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، أُولَئِكَ الْمُخْلِصُونَ حَقًّا، وَشِيعَتُنَا صِدْقًا،  
وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا.  
وَقَالَ ﷺ: إِنْتَظَرُ الْفَرَجَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَرَجِ.<sup>١</sup>

وإليك مضمون بعض الأشعار الفارسيّة:

واعجبا من ابتعادي عنك ، وأنت القريب القريب .

إعترف بين يديك أنك معي ، ولكنني أنا الذي هجرتك .

إنّ المنتظرين الواقعيين والذين وصلوا إلى الكمال عن طريق صراط  
الانتظار، يحصلون على بعض الامتيازات والخصائص الفردية في زمن الظهور  
- مثل تطهير القلب - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً بعد أن هيئوا أنفسهم وبنوها لأجل  
إمساك زمام أمور الحكومة الإلهية ونشرها في جميع أنحاء العالم، فيصبح يوم  
الغيبه الداكن عندهم بمثابة يوم الشهود، فإذا لم يكن للانتظار تلك الآثار  
الإيجابية فيهم، فكيف يكون انتظار الفرج أعظم الانتظار؟

الجواب إنّ هؤلاء يربطون حالة الانتظار بين زمان الظهور وفترة الغيبه  
بأواصر متينة، فبذلك يحصلون على بعض حالات تلك الأيام في زمان الغيبه.<sup>٢</sup>

١. بحار الأنوار: ١٢٢/٥٢.

٢. كما بينّا أنّ أشخاصاً قلائل هم الذين بإمكانهم الحصول على تلك الحالات من أمثال المرحوم السيد بحر العلوم والمرحوم  
الشيخ مرتضى الأنصاري أعلى الله مقامهم.

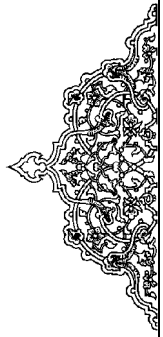
## المرحوم الشيخ الأنصاري عليه السلام في بيت الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا فداء

وقد ارتأينا هنا أن نسرد قصّة أحد الشخصيات العظيمة في مذهب الحق، وذلك بعد امتلاكه القدرات والطاقات الغيبة في العلن والخفاء، عسى أن نُضيء بها القلوب.

ينقل أحد تلامذة المرحوم الشيخ الأنصاري أعلى الله مقامه عن علاقة الشيخ مع الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء، وكيف حضر في بيت الإمام عليه السلام حيث يقول:

حضرت إلى مدينة كربلاء المقدسة لزيارة سيدي ومولاي الإمام الحسين صلوات الله عليه في إحدى الزيارات المخصصة، وفي منتصف الليل خرجت من البيت لكي أذهب إلى الحمام، وبما أنّ الرّفاق كان فيه طين أخذت معي سراجاً، فلمحتُ من بعيد شخصاً فيه ملامح الشيخ الأنصاري، فاقتربت منه، فوجدته هو الشيخ، فأخذت أُفكّر في خلجات نفسي: ماذا يريد الشيخ في هذا الوقت؟ وإلى أين هو ذاهب مع وجود كلّ هذا الطين؟ وعدم قدرته على النظر بصورة سليمة في الليل؟

انتأبني نوع من التطفل، فأخذت أتابعه، فوقف أمام خربة، وبدأ بقراءة الزيارة الجامعة بخشوع منقطع النظير، ثمّ دخل بعدها إلى البيت، ثمّ غاب الشيخ ولم أعد أراه ولكنّي أسمع صوته فقط، وكأنّه يتكلّم مع شخصٍ ما، ثمّ ذهبت إلى الحمام وبعدها إلى الحضرة المطهّرة، هناك شاهدت الشيخ ولم أتكلّم معه بخصوص ما جرى، ولكن بعد رجوعنا إلى النجف الأشرف زرته وشرحت له قصّة تلك الليلة، في البداية أنكر الشيخ ولكنّ إصراري الشديد جعله يتكلّم، فقال: من أجل الوصول والتشرف في حضرة الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء استأذن الإمام وأقرأ الزيارة الجامعة في باب



منزله ﷺ والتي لن تعثر عليها أنت أولاً، ومن ثم اذا سمح لي التشرف بلقائه ثانياً أسأله عن بعض المسائل المهمة، ثم قال الشيخ: عليك أن تخفي هذا الأمر ولا تخبر به أحداً ما دمت حياً.<sup>١</sup>

هكذا شخصيات عظيمة لديهم الاستعداد الكامل والأرضية المناسبة لإستقبال الطلعة البهية للإمام المنتظر أرواحنا له الفداء عكس الذين يؤوّلون الآيات القرآنية ويصبونها في مصالحهم ويقدمون على محاربته ﷺ بشتى الوسائل والطرق.

وينقل عن الأدب الفارسي ما مضمونه:

كنز السعادة وضع في يد شخص، ثمرة حياته كلّها جمال وعطاء.  
لا تطلب الوصل ولست من أهله، لا يرى الحياة الجميلة من هو أعمى.

### رمز النجاح وسرّ الحرمان

يمكن أن يخطر في الأذهان السؤال التالي: كيف إنّ المرحوم الشيخ الأنصاري كان قادراً على الدخول إلى بيت الإمام أرواحنا له الفداء، والتكلم معه بعد قراءة الزيارة الجامعة وإعطاء الإذن الثانوي له؟ وكيف حصل على هذا المقام الشامخ والمنزلة الرفيعة؟ وكيف إنّ تلميذه الذي شاهد المنزل لم ينل ذلك الشرف بعد أن قال له الشيخ: إنك لا تستطيع أن تعثر على ذلك البيت؟!

هذا السؤال المهم يحتاج إلى جواب كافٍ وشفافٍ، ومع الأسف الشديد يوجد اشخاصٌ لديهم الجواب السريع والفوري لهكذا أسئلة، وليس له أيّ صلة وعلاقة بالموضوع، حيث يقولون أنّ الله سبحانه وتعالى أراد ذلك أو أنّ الله له -والعياذ بالله- صلة قرابة بهؤلاء، وليس للعمل وطلب العباد أيّ صلة تذكر ليس من قريب أو بعيد!

إنّ إجاباتٍ من هذا النوع الغرض منها التنصل والهروب من الواقع

١. حياة وشخصية الشيخ الأنصاري: ١٠٦.

والمسؤولية، وليست صحيحة بتاتا لعدم إقناع الطرف المقابل وإرشاده إلى الطريق القويم والصحيح.

نجيب نحن عن هذه الأسئلة من خلال الأحاديث والروايات الواردة عن بيت الوحي والرسالة ﷺ فنقول:

إن الله سبحانه وتعالى دعا عباده أجمعين إلى الكمال المعنوي والروحي، وتعهد أن يمنح الثواب والأجر الجزيل إلى كل من سار على هذا الطريق كما هو حال من يدعو ضيوفاً، فعليه أن يؤدي مراسيم الضيافة بأحسن وجه ممكن.

إن الله عز وجل قد أوجد الظروف الملائمة لتقدم وتكامل الإنسانية ودعاهم إليه، والقرآن صرح بذلك بوضوح:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾<sup>١</sup>.

فوظيفة العباد أن يستجيبوا لدعوة الباري عز وجل، ويسرعوا بخطوات حثيثة ومتسارعة من أجل الوصول إلى طريق الكمال الروحي والراقي المعنوي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أرضية التكامل والراقي موجودة في جميع الناس ويمكن لهم الاستفادة من هذه النعمة والفضيلة الإلهية في أي وقت شاؤوا، ولكن إذا أرادوا أن يركنوها ويضعوها جانباً فيكون مثلهم كمثل أصحاب الثروة والمال الذين يكسبون أموالهم في البنكوك ولم يحالفهم الحظ أبداً في الاستفادة منها.

لذا ومن أجل نيل الموفقية والنجاح والسداد يجب الاستفادة القصوى من جميع الامكانيات المتوفرة، والعمل على رفع نواقص النفس حتى نصل إلى الأهداف الكبيرة والمنشودة. وهناك الكثير من الناس يهملون في جنباتهم الاستعداد والقدرة على الوصول إلى الكمال المعنوي والروحي، حيث أن هذه الأمور لاتعني لهم شيئاً فيرحلون عن الدنيا ويهاال عليهم التراب ولم يستفيدوا منها، كما هو حال الأثرياء الذين عاشوا قديماً فمن أجل الحفاظ على أموالهم

١. العنكبوت: ٦٩.

وشرواتهم، كانوا يخفونها في باطن الأرض، وبالتالي حرموا أنفسهم وأولادهم منها.

ولكي نوضح كيف أنّ هناك بعض الأشخاص لديهم طاقات روحية أكبر وقدرة أكثر ومن أين جاءوا بها نستعين بكلام منقول عن المرحوم الشيخ الحرّ العاملي والذي يعتبر من مفاخر الشيعة حيث يقول:

«من البديهي أنّ النظر والسمع وأمثالهما لاتعمل مستقلة عن العين والأذن وأمثالهما، ولكنّهما وسائل لأجل الروح، فالروح ترى وتسمع بتلك الوسائل، وبما أنّ روح الإنسان ليست لها القوى الكافية لهذا، فإنّ النظر والسمع مقيدة ومحدودة بتلك الأسباب المادية وفي أطر وحدود خاصّة.

ومن هذا المنطلق فإنّها ترى الماديات فقط وهي عاجزة عن درك المسائل والأُمور الروحية، ولكن إذا زادت قوّة روح الإنسان من خلال القيام بالعبادات والواجبات وترك المحرمات فإنّها تجد الطريق للقربة الإلهية، وبالتالي تقوى النفس وتضحى لها القدرة على الاستفادة من الماديات والطبيعات، لهذا سوف يرى ذلك الشخص بعينه أشياء لا يراها الآخرون، ويسمع بأذنيه ما لا يسمع غيره.

هذه القدرة والسيطرة تختلف من شخص إلى آخر، كما هي درجات القربة، فكلّ من يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بواسطة العبادة والرياضة تكون حالاته المعنوية والروحية أكثر، وهذا ما يجعله أقوى في درك الأشياء بالعين والأذن وأمثالهما، وليس للآخرين القدرة على دركها.<sup>١</sup>

ووجود حالة الانتظار بمعناها الكامل يجعلك قادراً على الحصول على هكذا أمور.

في هذا المجال هناك شعر مضمونه :

عندما تنظر بعين البصيرة تدرك ، وتشاهد ما لم تكن تراه من قبل .

١ . للمزيد من التوضيحات يمكن مراجعة كتاب «الفوائد الطوسية» للمرحوم الشيخ الحر العاملي : ٨٢.

إنّ المنتظرون الذين اکتووا بنار صراط الانتظار، وهذبوا أنفسهم، وبنوها وابتعدوا عن هوى النفس، وحلقوا بالروح عالياً، لاتستطيع النفس من جذبهم إليها بعد هذا التحصّن المنيع، كما نراه حاصلًا في السفن الفضائية والتي تخرج في بعض الأحيان عن مدار الأرض بحيث لاتتمكّن جاذبتها من التأثير عليها، اذن فإنّك إذا استطعت وبمرور الزمان من أن تخرج عن مدار هوى النفس، حينها لاتؤثر عليك جاذبيتها المغرية، وكذلك وسوسة الشيطان وحيائه.

ومن هذا يتضح أنّ أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا نماذج فريدة لهذا المصداق، أمثال سلمان المحمدي رضوان الله عليه، حيث تحرّر من هوى النفس وقيود المادّيات، فارتقى إلى مراتب عظيمة، وبنى أواصر محكمة مع عالم الغيب. وجاءت قدرة سلمان رضوان الله عليه نتيجة ابتعاده عن هوى النفس، وكذلك نتيجة جعله ارادة ورغبة الإمام أميرالمؤمنين عليه أفضل التحية والسلام فوق إرادته ورغباته، لهذا وصل إلى تلك المقامات والقدرات الخفيّة والقوة الغيبيّة، ووظّفها لصالحه.

### ٣ - معرفة مقام الولاية

انتظار الظهور يعزز ويقوّي ولاية الإمام أرواحنا لمقدمه الفداء في قلب وروح الشخص المنتظر، ويجعله ثابت العقيدة والعزم، وقلبه مطمئن لذلك اليوم الذي سيأتي ويظهر فيه الإمام بجوار الكعبة الشريفة، ويأخذ بزمام أمور الحكومة الإلهية، ويحكم الحكّام الطواغيت الذين عاشوا على امتصاص دماء المستضعفين، ويقول لجميع أهل العالم: إنّ الشخص الذي له مقام الولاية والإمامة لقادر على ابراز القدرة الربانيّة وتطبيقها.

وهذا ما يحمله الشخص المنتظر من فكر وعقيدة، ومن هذا الباب يكون انتظار الظهور ممتزجاً ومخلوطاً بالعقائد والعلوم الأصيلة للدين الحنيف، باعتباره ينمي بذرة العلم والمعرفة في أذهان وعقول هؤلاء، ويجعلهم راسخي

العقيدة بأنّ العالم بأسره سيؤول في النهاية ويخضع لسيطرة وقدرة الولاية، وإجبار الظالمين والمستكبرين للخضوع والركون لها.

وسوف لن يصمد هذا التطوّر المادي - والذي يشهده العالم - في يومنا هذا أمام عظمة وقوّة تلك الولاية الإلهية، لهذا ستخضع كلّ امكانيات العالم تحت تصرّف القوّة العجيبة للمصلح العالمي أرواحنا لمقدمه الفداء .

#### ٤ - معرفة المدّعين

على مدى طول تاريخ الشيعة هناك عدّة شخصيات ادّعت المهدوية، وقاموا بالعديد من الثورات، وعرّفوا أنفسهم بأنّهم هم القادة المصلحون الواقعيون، وبهذا الإدّعاء المزعوم والأساليب والحيل الملتوية سفكوا دماء الكثير من الناس البسطاء، وهذروها وأضاعوا أموالهم وأضلّوهم عن سواء السبيل.

ولكن هناك فئة أخرى كانت على طريق الهداية حتّى النهاية، فثبتوا على صراط الإنتظار بإخلاص وعزيمة لاتقهر، ولم يخافوا لومة لائم، فأصبح وجودهم نوراً من الأنوار الساطعة للولاية، ولم تنطل عليهم خدع هؤلاء الفاسدين والمنحرفين، ولم يقعوا فرائس سهلة في شباكهم، وقالوا بلسان الحال:

انصب شباكك لطير آخر ، فالعنقاء عالية العش لاتنالها يداك .

ومن المؤكّد أنّ علم ومعرفة هؤلاء بالفئة الضالة والمحتالة وقطّاع الطرق نابع من معرفتهم بالمقام الشامخ والمنزلة الرفيعة للإمامة، فهم لم يبيعوا ماء الحياة بالسراب الضائع، ولم يرجحوا غاصبي الخلافة على الإمامة .



### ٣ - معرفة منزلة المنتظرين الحقيقيين

أو أصحاب الإمام صاحب العصر والزمان أرواحنا فداء

أحد العوامل والأمور التي تجذب الناس إلى صراط الانتظار هو عامل معرفة مقام المنتظرين الحقيقيين أو أصحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه إن الآثار العظيمة التي حصل عليها المنتظرون الحقيقيون ليست من الناحية العقائدية، حيث أدركوا فيها مقام ولاية أهل البيت ﷺ فحسب، إنما أصبحوا مصدراً للنور الساطع في شمس الولاية.

وما كسبوه في طريق الانتظار من التكامل والقدرات المعنوية والروحية جاء من مقام أهل الوحي والرسالة ﷺ، وبلاستفادة منها ينجزون كل المهمات والوظائف، فكانوا هم بالفعل من خلّص أصحاب الإمام ﷺ والأوائل الذين اتجهوا صوب مقام ولاية ذلك الإمام الهام.

فأشار القرآن الكريم إلى ذلك، حيث قال الله العزيز الحكيم:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾<sup>١</sup>.

هذه الآية تشير بكل وضوح إلى أن أصحاب الإمام أرواحنا لمقدمه الفداء الثلاثمائة وثلاثة عشر يوم الظهور، فجعلهم البارئ عز وجل بجوار بيته العتيق حول مقام الولاية لينصروا إمامهم العظيم صلوات الله عليه، وليضعوا حداً لحياة الطواغيت والحاquدين ومرضى النفوس.

في بعض الأوقات يقدح في ذهن بعض الأشخاص سؤال وهو: ما المقصود من سبق هؤلاء للخيرات؟ وما هي الخصائص التي تجعل هؤلاء مميزين عن البقية الباقية من الناس لكي يستبقوا الخيرات، وبأي شيء حازوا على هذا المقام؟

١. البقرة: ١٤٨.

لنرجع هنا إلى أهل الوحي والرسالة عليهم السلام، ونسمع منهم الجواب:  
يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره لهذه الآية المباركة:

الْخَيْرَاتُ؛ الْوَلَايَةُ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ<sup>١</sup>.

### إشارة إلى قوة هؤلاء

ومن هنا يتبين أنه كلما كان سعي الإنسان جدياً وحثيثاً في قبول الولاية، كلما كانت روحه قويّة وقادرة على زيادة قدراتها الغير الطبيعيّة، وبسببها يتمكّن من بسط نفوذه على الوجودات المادية وغير المادية.

وهنا ننقل لكم قصّة طريفة وقعت للمرحوم العلامة السيّد بحر العلوم أعلى الله

مقامه:

كان المرحوم العلامة السيد بحر العلوم مصاباً بمرض الخفقان، ورغم ذلك خرج من النجف الأشرف في أيام الصيف الحارّة قاصداً مدينة كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في إحدى الزيارات المخصوصة، فتعجّب الناس من موقف هذا السيّد، فكيف يسافر في هذه الأيام الحارّة وهو مريض بذلك المرض!

وكان من الذين سافروا معه المرحوم الشيخ حسين نجف -وهو من العلماء المشهورين آنذاك- فركبوا المركبات وساروا، وفجأة ظهرت غيمة كبيرة فأخذت تظللهم من حرارة الشمس المحرقة، بعدها هبّ نسيم لطيف وأصبح الهواء بارداً، وبقيت هذه الغيمة معهم إلى أن وصلوا إلى خان الملح. هنا وجد العالم الكبير الشيخ حسين نجف عليه السلام أحد أقاربه فتبادل معه السلام والكلام فانفصل عن المرحوم السيد بحر العلوم.

فاتجهت هذه الغيمة نحو السيد إلى أن دخل الخان، فظلّ الشيخ تحت

حرارة الشمس وبما أنه كبير السن وأخذت منه الكهولة مأخذها، تدهورت حالته الصحية، فسقط من دابته وفقد وعيه، فادخلوه إلى الخان إلى السيد، وبعد فترة وجيزة استعاد عافيته فأفاق، فوجه كلامه إلى السيد بحر العلوم قائلاً له: «سيدنا؛ لم تدركنا الرحمة»، فأجاب السيد: «لم تخلّتم عنها؟» بالطبع في هذا الجواب هناك تورية واضحة.<sup>١</sup>

هذه هي قدرة التصرف عند الأصحاب الخلص للإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه، ونذكر هنا قدرة أخرى لهؤلاء الأصحاب الثلاثمائة وثلاثة عشر، وهي وصلوهم إلى محضر الإمام أرواحنا لمقدمه الفداء في بداية الظهور عن طريق السحاب. فيقول المفضل:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا أَدِنَ الْإِمَامُ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعِبْرَانِي، فَاتَّيَحَتْ لَهُ صَحَابَتُهُ الثَّلَاثِمِائَةِ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، فَزَعُ كَفَرَعَ الْخَرِيفَ وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَلْوِيَةِ، مِنْهُمْ مَنْ يُفْقَدُ عَنْ فِرَاشِهِ لَيْلًا فَيُصْبِحُ بِمَكَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَى يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا يُعْرِفُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَحَلِيتِهِ وَنَسَبِهِ.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَيُّهُمْ أَعْظَمُ إِيمَانًا؟  
قَالَ: الَّذِي يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا، وَهُمْ الْمَقْفُودُونَ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾<sup>٢</sup>.

\* \* \*

١. العبقري الحسان: ٦٩/٢.

٢. البقرة: ١٤٨.

٣. بحار الأنوار: ٣٦٨/٥٢، الغيبة النعماني: ١٦٨، تفسير العياشي: ٦٧/١.

## التعرّف على زمن الظهور

إنّ معرفة وضع العالم وما يجري عليه من أحداث وتحولات وتطوّرات عظيمة في أيام الظهور تدعو الإنسان إلى قضية الإنتظار، حيث أنّ التحوّل والتطوّر العجيب والغريب الذي يحدث في جميع أنحاء العالم والبشريّة سوف يظهر العالم والإنسانية بصورة مختلفة عن ما هو عليه، ونحن نشرح هنا بعض التغيّرات والتي تحدث في أعماق وجود الإنسان.

### ١ - تطهير الباطن

إحدى المسائل التي يبحثها الجانب العقائدي، هو مبحث الطينة وكيفية اختلاط الطينة الطاهرة مع غير الطاهرة، وأشارت الروايات إلى المقصود بالطينة، ولماذا تختلط؟ والعمل على تطهيرها؟ ولعلّ الخوض في هذا المبحث وتفصيله غير مناسب مع حجم كتابنا، ولكننا نشير بإيجاز إلى نقطة مهمة للغاية وهي: إنّ من امتيازات وخصائص يوم الظهور الظهور، هو تطهير الطينة من الزوائد، وكذلك تخليص النفس والضمير من التلوث والأدران الموجودة في أعماق الإنسان، هنا يأتي سؤال مفاده: لماذا يطهّر الإمام المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء الناس في يوم الظهور من تلك الشوائب والأدران؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال نذكر هذه القصّة من أجل تفكيك وشرح الموضوع:

كان شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أعدى عدو لرسول الله ﷺ، وكان يتمنى قتل النبي ﷺ، فاشترك في حرب «حنين» من أجل أن يقتل النبي الأكرم ﷺ، وعندما تفرّق الناس من حول النبي ﷺ وبقي وحيداً أوصل نفسه إلى خلف رسول الله ﷺ فواجهته شعلة من النار بحيث لم يتمكّن من تحملها لذلك لم يستطيع من تحقيق مأربه ويصل إلى مبتغاه، فالتفت إليه النبي ﷺ قائلاً له: أدنّ

مَنِّي، فوضع يده المباركة على صدره ونتيجةً لهذا العمل وقعت محبة الرسول ﷺ في قلبه بحيث أصبح النبي ﷺ أحب الناس إليه، بعدها شارك بقتال المخالفين ولو عرض أبوه لقتله من أجل نصرة رسول الله ﷺ.<sup>١</sup>

أنظروا كيف كانت تلك اليد الكريمة لرسول الله ﷺ سبباً في إنقاذ تلك الطينة والنفس الملوثة، وجعله ينتقل من صفوف أعدائه إلى صفوف جيشه العظيم.

فعندما مسح رسول الله ﷺ على صدره أكمل له عقله، وبسبب هذه الإنتقالة التي حدثت في طبيعته الهجينة نجا من الضلال والتمية. وبعد هذه المقدمة نصل إلى شرح أحوال يوم الظهور.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهِ عُقُولَهُمْ  
وَأَكْمَلَ بِهِ أَخْلَاقَهُمْ.<sup>٢</sup>

فسلوك الإمام الحجة أرواحنا لمقدمه الفداء وعمله هذا يطهر باطن الأشخاص وينجي عباد الله جميعاً من التلوث بالمعاصي والآثام.

## ٢ - كمال العقول في زمان الظهور

نوضح الآن نقطتين أساسيتين في الرواية هما:

- ١ - إن الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء يكون رحمة لكل العالمين، حيث لا يضع يديه الكريمتين على رؤوس أصحابه وأعوانه فقط، وإنما على رؤوس جميع الناس حتى الذين لم يشتركوا بالقتال إلى جنبه، مثل الطاعنين في السن والأطفال، فإنهم لا يستثنون من هذه النعمة العظيمة.
- ٢ - يحمي عقول الناس من الاضطراب والهوى، ويجعلهم يملكون القدرة

١. سفينة البحار: ٢٠٢/١، مادة حيب.

٢. بحار الأنوار: ٣٣٦/٥٢.

الكافية على التمرکز الفكري والعقلي والذي هو منشأ ادراك الأشياء الغير طبيعية، وامتلاكهم لهذه القوة العقلية يعني قدرتهم على الإستفادة القصوى من قدرات العقل.

نعم؛ ستكون في هذا الأيام يد الباري عز وجل الرؤوفة بكل تأكيد على رأس الإنسانية وتلاطفهم وتداعبهم بعد أن تحملوا أقصى أنواع العذاب والويلات في زمن الغيبة، فتتجلى وتظهر القوى الخفية والكامنة في أدمغة البشرية على أثر الكمال العقلي، فتصل إلى أعلى مراتب الكمال العلمي والعملية.

ومن أجل التعرف أكثر على قدرة الدماغ وكذلك الآثار العجيبة للكمال العقلي سنبين قدرة الدماغ الهائلة.

كل إنسان أعم أن يكون نابغة عصره أو شخص عادي لا يستفيد طوال فترة حياته أكثر من واحد بالمليارد من طاقة دماغه، فإذا كانت قدرة وطاقة الدماغ هو هذا المقدار بين هذان الشخصان، فإن الفرق الحاصل بينهما يكون كيفياً وليس كمياً<sup>١</sup>.

وهذا يعني ضمناً أن حتى الأشخاص الذين يحملون صفة النبوغ في المجتمع والذين يمتلكون أيضاً قدرات فكرية عجيبة يستفيدون من هذا المقدار من قدرة الدماغ فقط، ولكن كيف كان استعمال هذا الواحد بالمليارد عند هؤلاء الأشخاص أفضل وأحسن من غيرهم.

«في السنوات الماضية أحدث أحد علماء الرياضيات المعاصرين ضجة في أوساط الناس عندما قدر أن دماغ الإنسان يستطيع عملاً تخزين عشرة خلايا معلوماتية، فإذا بيننا هذا الرقم بلسان بسيط فهذا يعني أن كل واحد منّا قادر على حفظ كل المعلومات الموجودة في ملايين الكتب المحفوظة في أكبر مكتبات العالم والوقعة في العاصمة الروسية موسكو، وجاء هذا الكلام من الوهلة الأولى مطابقاً ومؤيداً للحسابات التي جرى عملها، وهذا

١. تعرف على مقدار قدرتك: ٣٤٧.

من الأمور المحيرة والعجيبة فعلاً»<sup>١</sup>

لنر الآن ماذا ستكون معالم العالم الجديد بعد أن يتكامل دماغ الإنسان نتيجةً  
للآثار المتشعشة من الأنوار الساطعة لمصلح الكون، ويستفاد من كلّ قواه  
الدماغية - وليست الواحد بالمليارد - وكذلك معرفته بكل العلوم وإلمامه  
بالتطورات الحاصلة في العالم؟

ففي الوقت الذي يستفيد الإنسان من القدرات الكامنة للروح نتيجة أثر  
الكمال العقلي، حينها يكون مؤهلاً ويستطيع أن يجعل جسمه مطية للروح  
وتابعاً لها، وبالتالي يصل إلى الحالة العرفانية والتي تسمى: «التروح»، وهذا  
يعني استطاعته أن يبدّل جسمه المادي إلى طاقة وأمواج وانتزاع حالة  
الجسمانية والمادية منه.

وحينما يكون الإنسان هكذا ستكون له كرامات وفضائل هي عادية في ذلك  
الزمن، وهناك أشخاص قلائل في زمن الغيبة لهم القدرة على طيّ الأرض  
يستفيدون من هذا الأمر بعد أن ينتزعوا الحالة المادية من الجسم، ويبدّلوه إلى  
طاقة وأمواج، فتراهم في لحظة ما ينتقلون من نقطة في الأرض إلى نقطة أخرى،  
وهؤلاء بسبب تلك الطاقة يهدون جسمهم المتروح إلى نقطة ماثلة، وهناك  
يجسدونه بشكله التام.

### ٣ - التغيرات العظيمة في العالم

لا شك ولا ريب في أنّ يوم الظهور سيشهد أحداثاً وتطوّرات عظيمة في  
الأرض، فتكون الأرض غير هذه الأرض، وتخضع لشروط وظروف جديدة،  
ولا تشمل هذه التغيرات الأرض فقط، وإنما تشمل حتّى الزمان الذي عوامل  
التغير والتحول.

«يتفق اليوم جميع العلماء على أنّ المادة تتشكل من الارتعاشات، وهي

١. تعرف على مقدار قدرتك: ٤٤.

تتمكن بواسطة الأسلاك أو الأمواج الصوتية مثل الصورة والصوت الانتقال إلى أقصى نقاط العالم، ونستنتج من خلال هذا الأمر أن أجزاء الإنسان التي هي من المادة أيضاً قادرة على أن تتبدل إلى اهتزازات والإرتعاشات، وعن طريق الالكترونيات يمكن إرساله إلى أي مكان في هذا العالم الفسيح، واعتقد أنه في المستقبل القريب، ومع وجود الرحلات الفضائية التي تنقل الإنسان إلى الفضاء سوف تبتكر طريقة جديدة لتجزئة وتبديل جسم الإنسان إلى اهتزازات وإرساله إلى الفضاء، وهناك تجمع الأجزاء بعضها مع البعض الآخر لتعيد تكوينه من جديد.

ونترك للقاريء اللبيب أن يحكم بأن الإنسان روح ولا يمكن أن يكون جسمه سوى ذرات المادة المتمركزة لا غير، وعن طريقها يتم تقليل الاهتزازات فيمكن تشكيله وبلورته حسب الاشكال المطلوبة.<sup>١</sup>

وسياتي يوم يرى الإنسان بأَمِّ عينيه وهو يحول جسده إلى تيار إلكتروني ويبعثه إلى نقطة بعيدة جداً، ومن ثمَّ يجمع الذرات المكونة للبدن هناك.<sup>٢</sup>

وعلى أساس التكامل العام للقوى العقلية والتي صرّحت بها الروايات الصحيحة ستكون غلبة الروح على المادة للجميع، وحينها يتحكم الناس في أجسامهم كيفما يشاؤون، ويمكن الاستفادة من هذه الحالة على أحسن وجه.

على أي حال في ذلك الزمن ستكون حياة الناس واحتياجاتهم إلى الوسائل المادية مختلفة بشكل آخر عن الذي نراه ونلمسه في زماننا الحاضر.

فعند سطوع نور ظهور ولاية أهل البيت عليهم السلام سيصل علم ومعرفة الانسان إلى أعلى مراتبه، فينهل من درجاته ما يريد بدون حرج وعسر، وكذلك يقوم أولياء الله عز وجل بإفشاء كلّ الأسرار التي بقيت خافية عن أعين الناس لعدم استعدادهم لقبولها في ذلك الزمن، ويزيحون الستار عن أسرار العالم أيضاً

١. تبقى الروح حيّاً: ١٥٨.

٢. تبقى الروح حيّاً: ١٨٨.

ويفتحون للناس طريق التربية والكمال النهائي والمنشود.

ويمكن القول: إنَّ الرضوخ لتلك الحقائق أمراً ليس بالسهل علينا مع وجود هذا التطور الهائل والمستمر في القضايا العلمية، مع أننا نعلم أنه إذا تحرّر دماغ الإنسان من قيود ووسوسة الشيطان سيصل إلى الكمال في كلّ إبعاده، حينذاك لا يبقى سرّ في العالم إلّا وعرفه، وتتضح وتنفك الألغاز أمامه لكلّ القضايا العلمية المعقدة.

أمير المؤمنين عليه السلام - وبعد غصب الخلافة منه قد حُرم الملايين من البشر من الوصول إلى أعلى درجات ومراحل العلم والكمال ونور الولاية بسبب ذلك - يقول في كلام نابع من أعماق وجوده المبارك:

يَا كَمِيلُ؛ مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَأَنَا أَفْتَحُهُ، وَمَا مِنْ سِرٍّ إِلَّا وَالْقَائِمُ  
يَخْتِمُهُ.<sup>١</sup>

نعم؛ في ذلك الوقت ستسطع الأنوار البهية من اليد المباركة والكرامة لبقية الله أرواحنا لمقدمه الفداء على عقول وأدمغة الناس المحرومين والمستضعفين والمظلومين في العالم، فتعطيها الكمال والاستفادة من القدرات الكثيرة والعجيبة، ويتمكّن الناس بكلّ ما أوتوا من طاقات ذهنية وعقلية - وليس الواحد بالمليard - من تسخيرها والقبول بأسرار واهبي الحياة - أهل الوحي والرسالة - بذلك ينالون أعلى مراحل ودرجات العلم والكمال.

في ذلك اليوم العظيم ستتكشف جميع الأسرار الخفية كما أسلفنا، ولا يبقى للظلام في ذلك العصر أثر يذكر، أليس انتظار وصول هكذا يوم يظفي على قلبك الصفاء والنقاوة!

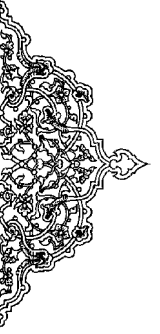
### نتيجة البحث

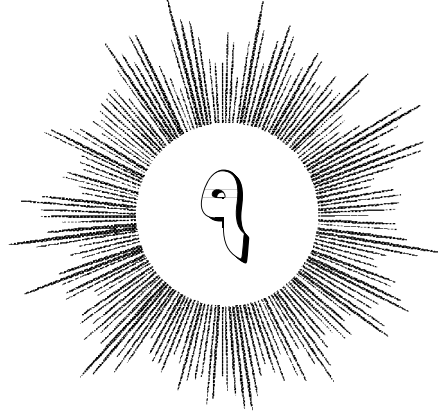
الانتظار حالة من الأمل المفعم، وإشعاع في طريق النجاة حيث ينتشل المنتظرين في الفترات المظلمة من مستنقع الحيرة والضياغ وهدايتهم إلى وادي النور والضياء والصفاء، ويرسم الانتظار حياة جديدة إلى المستضعفين والمحرومين، ويعطي لهم دافعاً وحماساً مضاعفاً وينشر الأمل في القلوب الحيرانية، ويربي الأذهان على عالم كله فرحة وابتسامة ونور، ويرفع الانتظار الموانع والظلمات، ويشعل نوراً لامعاً في وجود الناس الذين وصلوا إلى الكمال ويزرع الانتظار بذرة العلوم والعقائد الأصيلة للشريعة في قلب كل من ينتظر، ويأتي للناس المخلصين بأكمل وأحسن الحالات المعنوية والعرفانية.

إذا أردت أن توجد حالة الانتظار في نفسك وتحكمها، عليك أن تؤنس النفس بالمقام الشامخ للولاية، وتطلع على الآثار العجيبة للانتظار، وتتبع حالات وأحوال المنتظرين الذين وصلوا إلى الكمال، والتعرف على خصائصهم ومميزاتهم، وكذلك إلهام القلب والروح بالواقع السعيد لزمان ظهور صاحب العصر والزمان أرواحنا لمقدمه الفداء؛ ليمتلي وجودنا لا شعورياً بانتظار وصول ذلك اليوم العظيم.

وما أعظم مضمون ما قاله أحد الشعراء حينما قال:

مهما نقلوا وتحذثوا عن أهوال يوم الحساب، فإنّه لن يكون بمرارة وقساوة فراقك .





الكتمان

من أقوال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

أنجح الأمور ، ما أحاط به الكتمان

### كتمان السرّ

ممّا لا شكّ فيه أنّ أولياء الله تعالى والنخب التي صقلت نفسها وهذبتها قد وصلت ونتيجة الأخلاق والإخلاص في عملها وسلوكها وفعالها وبقية الخصال الحميدة الأخرى إلى بعض من الأسرار التي ينطوي عليها عالم معرفة الخلقة والاطّلاع على بعض الأمور الخافية عن عالم الخلق. وقد كان معرفة تلك الأسرار في زمن حضور أهل البيت عليهم السلام يحدث بواسطة الإلهامات الرحمانية التي تنزل عليهم، وهم بدورهم ينقلونها إلى أصحابهم المقربين ويأمرونهم بحفظها وعدم البوح بها. يقول الرسول الأكرم ﷺ في رواية مفصلة لجابر بن عبد الله الأنصاري:

يَا جَابِرُ؛ أُكْتُمُ مَا تَسْمَعُ، فَإِنَّهُ مِنْ سَرَائِرِ اللَّهِ.<sup>١</sup>

وعلى هذا الأساس، فإنّ جابراً والشخصيات الكبيرة التي اطلعت على الأسرار والعلوم والمعارف عن طريق أهل البيت عليهم السلام سعوا إلى كتمانها عن سائر

١. بحار الأنوار: ١٠٣/٢٥.

الناس، وبالطبع فإن السعي الذي بذله هؤلاء الصالحاء والأبرار في حفظ تلك الأسرار والعلوم هو في غاية الصعوبة، وتحملوا في طريق ذلك مختلف الصعوبات والمشقات، ومن هذا المنطلق يقول الإمام الصادق عليه السلام في الارتباط في هذا الموضوع:

كُتْمَانُ سِرِّنَا، جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.<sup>١</sup>

ويقول عليه السلام في رواية أخرى:

مَنْ كَتَمَ الصَّعْبَ مِنْ حَدِيثِنَا، جَعَلَهُ اللَّهُ نُورًا يَبِينُ عَيْنَيْهِ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ الْعِزَّةَ فِي النَّاسِ.<sup>٢</sup>

وحفاظاً على عدم إشاعة الأسرار فلا بد للإنسان من معرفة الموضوع المراد طرحه وعدم الكلام فيه بسرعة من دون روية، بل لابد له من دراسته من جميع الجوانب وما يحتويه من أفكار وعقائد، إذ قد تضرب تلك الأسرار بعصاها الغليظة وتنكشف للعيان، فحينئذ تموت في مهدها.

فحينما يفكر الإنسان ويتأمل فيما يقوله فإن الندامة لن تصبه أبداً؛ لأن ومن خلال التفكير العميق والتأمل في الأسرار التي لا يجب أن تقال، فإن تلك الأسرار ستبقى في طي الكتمان حيث لا يمكن القول به، وهذه الحقيقة قد ثبت للإنسان عملياً.

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ.<sup>٣</sup>

باعتبار العلم بكل شيء لا يعني البوح به؛ لأن الكثير من المعلومات لا قيمة ل طرحها، ولذا فإن الحديث فيها هو مضيعة للعمر لمن يتحدث فيها وللآخرين

١. بحار الأنوار: ٧٥/٧٠.

٢. بحار الأنوار: ٣٨١/٢٥، نقلاً عن كتاب الإختصاص: ٣٢١.

٣. بحار الأنوار: ١٢٢/٢.

الذين يستمعون إليها ويناقشون فيها، وقد تكون هناك بعض المعلومات القيّمة التي يحملها الإنسان، ولكن الناس ليس لها ذلك الإستيعاب والظرفية المناسبة لسماعها، وينبغي لمثل هذا الإنسان اجتناب طرحها؛ لأنّ هؤلاء الناس لن يكون ردهم على ذلك سوى إنكارها وعدم إستيعابها واستخلاص نتائج عكسيّة، وبذلك تضيع الفائدة المرجوة منها، ومن هنا نرى أوّل مظلوم في العالم أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول:

لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ.

ويقول عليه السلام في «نهج البلاغة» كذلك:

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ بِيَدِهِ<sup>١</sup>.

لأنّ الإنسان بإمكانه إظهار سرّه إلى الآخرين متى ما وجد صلاح في ذلك، ولكن هو من باح به ولن يعود الضرر في ذلك إلّا عليه، ولا يمكن بحال من كتم السر بعد أن ذاع به.

بل وبالإضافة إلى أنّه ذاع سرّه فإنّه يتضرّر روحياً، إذ يفقد بعضاً من تلك الحالات المعنويّة؛ لأنّ البعض ونتيجة المساعي الروحيّة والرياضات الصعبة استطاع التمتع ببعض الآثار والنتائج المعنوية، ولكن نتيجة البوح بها إلى هذا وذاك، فسوف يفقدها ويصيبه الغرور والعُجب، وبقيّة الحالات السلبية الأخرى، وفي النهاية ستكون النتيجة غير محسوبة، ولأجل الحيلولة والوقوف أمام تلك الأمور فإنّ من الأفضل بمكان حفظ اللسان وعدم إفشاء الأسرار.

إذا المرء أفشى سرّه بلسانه      ولا م عليه غيره فهو أحق  
إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه      فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

### كتمان العظماء

إننا حينما نلقي نظرة سريعة على الحياة المعطاء لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وطريقة تعاملهم مع الناس سوف نصل إلى حقيقة مفادها أن هؤلاء الأبرار قد استفادوا من شخص أو مجموعة وشريحة خاصة تمتلك كل مقومات الاعتماد والثقة المطلقة فأولوهم عناية خاصة وجعلوهم أمناء على أسرارهم، وأفشوا لهم بعض الخفايا والأسرار المتعلقة بعالم الخلق وعوالم الملك والملكوت، فنوروا قلوبهم بنور الإيمان بعد أن رفعوا الحُجب عن أسرار بقيّة غير معروفة إلى الأغيار، وعملوا في قبال ذلك بإخفاء الأسرار عن غير المؤهلين لحملها وليس لهم القابليّة على تحمّلها وهضمها.

وقد سعى علماؤنا الأعلام وبذلوا الجهود المضنية لحفظ الأسرار التي حصلوا عليها، وهنا نذكر قصّة في هذا الخصوص: سمع المرحوم الشيخ البهائي يوماً أن هناك شخصاً طباحاً متخصصاً في طهي «الهريسة» له قدرات على التصرف في بعض الطبيعيات، ويتمتع بقوة روحية خارقة للعادة، فأراد الشيخ مقابلته فوافق الرجل على ذلك، فذهب إليه الشيخ وخلال اللقاء أصرّ الشيخ على أن يعلمه شيئاً من تلك الأسرار.

في بداية الأمر امتنع الرجل عن ذلك قائلاً: إنك غير مؤهل لمثل حمل تلك الأسرار! فردّ عليه الشيخ البهائي عليه السلام: إنني على أتمّ الاستعداد لذلك، فلمّا رأى الرجل أن الشيخ معاند في سماع كلامه ويرى نفسه مستعداً لتحمل عبء تلك الأسرار، فقام بعمل أثبت من خلاله بشكل عملي عدم قدرة الشيخ على تحمّل بعض الأسرار.

ففي أحد الأيام وبينما كان الرجل مشغولاً في طهي الهريسة والشيخ جالس إلى جانبه منتظراً لتلقّي الأسرار، فجأة طُرقت الباب فهرعا معاً صوب الباب لمعرفة من الطارق، فشاهدا رجلاً واقفاً يقول لهما: إنّ ملك المدينة قد مات ويريد منك الناس أن تكون الوالي على المدينة، فأسرعا إلى القصر. فقال

الرجل للشيخ: أنت تصبح الملك وأنا الوزير، فامتنع عن القبول، ولكن لا جدوى من ذلك، وفي النهاية أصبح الشيخ البهائي ملكاً لهذه المدينة والرجل وزيراً له، فبقيا على ذلك الأمر مدة من الزمن، وفي أحد الأيام أراد الشيخ القيام بعمل لم يكن مناسباً لمقامه وشأنه! ولكن الرجل علم بذلك، فقال له: ألم أقل لك أنت غير مؤهل لذلك!؟

فلما رجع الشيخ إلى حالته الطبيعية وانتبه، وجد نفسه جالساً بالقرب من قدر الهريسة، والقدر يغلي منذ أن أخذه الرجل إلى تلك الحالة.<sup>١</sup>

ومع أن هذه القصة - وعلى فرض صحتها - هي نوع من القدرة على المكاشفة، وليس لها حقيقة خارجية في عالمنا المرئي، ولكنها كانت بالنسبة إلى الشيخ البهائي واقعة مؤثراً وحقيقة على عدم قدرته واستعداده لقبول بعض الأسرار.

مع العلم أن الشيخ كان من أولئك الذين ذاع صيتهم في الأمور الغيبية، ولكن هناك من هو أعلم منه «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ».<sup>٢</sup>

وما يثبت هذا المدعى أن الشيخ كان جالساً في أحد الأيام في مجلس يجمعه مع السيّد ماجد البحراني، وهو من كبار العلماء الأجلاء، وهو أستاذ المرحوم الفيض الكاشاني والكثير من العلماء الآخرين، وكان في يد الشيخ مسبحة من تراب، فقرأ أحد الأذكار فجرى الماء من تلك المسبحة! ففي ذلك الوقت سأل أحد الحاضرين من السيّد: هل يجوز الوضوء بهذا الماء؟ فأجاب السيّد قائلاً: لا يجوز ذلك؛ لأنّ الماء هذا هو خيالي وليس ماءً حقيقياً نزل من السماء أو نبع من الأرض، فلما سمع الشيخ جوابه أعجب به، وقبله من دون أيّ اعتراض.<sup>٣</sup>

\*\*\*

١. تذكرة العلماء التنكابني: ١٧٣.

٢. يوسف: ٧٦.

٣. الفوائد الرضوية، المحدث القمي: ٣٧٠.

## حفظ الأسرار وليس كتمان الخيالات

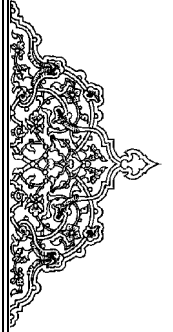
إنَّ القصد من وراء الأحاديث الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين في خصوص حفظ الأسرار هو أنَّ الأسرار العظيمة التي إطلعت عليها الشخصيات المختارة وعجز الآخرون عن قبولها يجب أن تظلَّ مخفية عن عيون الناس ويجب عدم إفشائها.

وهذه حقيقة ينبغي الإذعان لها، ولكن هناك فئة من الناس، وبدلاً من أن يكتموا الحقائق الصعبة يميلون كلَّ الميل إلى الاعتقاد بحفظ التخيَّلات والتوهَّمات التي يتمسَّكون بها، ويكتمونها على أنَّها سرٌّ من الأسرار القيِّمة والشمينة.

ومن الواضح أنَّ هؤلاء لا يفرقون بين الإلهامات الرحمانية والتخيَّلات النفسية أو لا يميِّزون بين القدرات الإلهيَّة والقدرات الشيطانية، وعلى هذا الأساس يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأعمالهم الشيطانية، وبالتالي يتفاخرون بها أمام الآخرين، ويكتمون الطريقة التي بواسطتها حصلوا عليها، ولكن هذا الأمر هو خيال واهٍ لا غير، وإليك قصَّة حول هذا الموضوع:

دخل الشيخ البهائي إلى مجلس الشاه عباس، وكان ممثِّل الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت حاضراً فيه، فالتفت الشاه عباس إلى الشيخ البهائي قائلاً له: استمع إلى حديث ممثل الروم، فبدأ الرجل بحديثه وقال: إنَّ هناك مجموعة من العلماء في بلدنا لهم اطلاع كافٍ بالعلوم الغيبية، ويقومون بأعمال غير طبيعية، فذكر بعضاً منها، ثمَّ قال: ولكن لم نسمع في إيران أنَّ هناك أحداً من العلماء له باع في هذا النوع من العلوم.

فلما شاهد الشيخ البهائي أنَّ كلام الرجل قد أثر بالشاه عباس التفت إلى ممثل الروم قائلاً له: إنَّ هذا العلوم ليس لها قيمة تذكر أمام أصحاب الكمال، فقام في تلك الأثناء بحركة سريعة ومفاجئة فبدل خيط جواربه إلى حيَّة كبيرة تسعى، فلما شاهد الرجل ومن كان في المجلس تلك الحركة من الشيخ أصابهم الذعر



والخوف واستعدوا للهروب، فأخذ الشيخ الحيّة وارجعها إلى حالتها الأولى، ثمّ قال للشاه عباس: إنّ هذه الأعمال ليس لها قيمة عند أصحاب البصيرة، وإنّني تعلمت ذلك من الدراويش في ساحات مدينة إصفهان، وإنّها من عمل المشعوذين والسحرة الذين يريدون كسب المال منها، فلمّا سمع ذلك ممثّل الروم ندم على ما قال.<sup>١</sup>

لا شكّ ولا ريب أنّ هناك ثلّة من الناس يولون أهميّة لمثل تلك الأفعال التي لا قيمة لها، وكذلك للخيالات والوساوس الشيطانية، ويعتقدون أنّهم يكتُمون علوماً وحقائق ذات قيمة كبيرة! في الوقت الذي يسبّغي عليهم محوها من صفحات ذهنهم.

ومن هنا يجب على الإنسان أولاً الإطّلاع جيّداً على قيمة وحقيقة السرّ الذي في صدره، ومن ثمّ العمل على حفظه وعدم جعل قلبه مكاناً للشياطين وأفعالهم، ومن ثمّ الاعتقاد بأنّه شخص كتوم.

### دور المخالفين والأعداء في ضرورة حفظ الأسرار

لا يختلف اثنان في أنّ الاستكبار العالمي لا يخفي أسرارها، والأسرار السياسية المتعلّقة بسائر الدول على الدول الأخرى وشعوبهم فقط، بل يتعدّى الأمر ليخفيها حتّى على رجالاتهم السياسيّة، حيث تكون تلك الأسرار في يد ثلّة قليلة من النخب السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وكذلك تعتقد الشركات العالمية العملاقة بأنّ العلّة من النجاحات الباهرة والمكاسب الإقتصادية الحاصلة ناتج من إخفائها للأسرار التي لها ارتباط بعملها، وترى أنّ إفشاء أسرارها يعني الهزيمة والإنكسار ونصر لمنافسيها.

وأما في مذهب أهل البيت (عليه السلام) فإنّ الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) أمروا الناس بكتمان الأسرار ليس لأجل مثل هذه الأغراض المحصورة في دائرة المنفعة الشخصية؛

١. الفوائد الرضويّة: ٥١٣.

باعتبار أنَّ المقاييس في هذا المذهب تختلف عن المقاييس الوضعية، إذ إنَّه لا يوجد أيَّ إشكال في إظهار السرِّ إذا كان يبتني على إيجاد حالة من التقدم والتطوُّر لدى الأخ في الدين ويكون بعيداً عن المفسدة، ومن هذا المنطلق يقول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام لكميل:

يَا كَمِيلُ؛ لَا بَأْسَ أَنْ تُعْلِمَ أَخَاكَ سِرَّكَ...<sup>١</sup>

وعلى ذلك، فإنَّ الإنسان يستطيع البوح بسرِّه إلى الشخص الذي يثق به، والذي يكون بمنزلة الأخ له، ويبقى في مقام الأخوة ويحافظ عليه مهما جرت بينهما من أمور وقضايا!

وهنا يأتي السؤال: إذا كان إفشاء السرِّ إلى الصديق المقرب جائز ولا غبار عليه، إذن لماذا كلُّ تلك التوصيات الواردة في الروايات الدالة على كتمانهِ؟<sup>٢</sup> وفي مقام الإجابة على هذا السؤال نقول: أولاً؛ لأنَّ معرفة مثل هؤلاء الإخوة وطبيعتهم ومزاجاتهم المستقبلية، خصوصاً في الظروف والمتغيِّرات المختلفة من الناحية الفكرية التي تحصل في نوع الناس أمر في غاية الصعوبة، لذا فمن الواجب بمكان معرفة الأخ في الدين بصورة جيِّدة ودراسة شخصيته من جميع الجوانب، ومن ثمَّ تأتي مرحلة بيان السرِّ إليه.

وثانياً؛ فإنَّ أمر كتمان السرِّ الذي أمر به أهل البيت عليه السلام لم يأت من أجل الأغراض الدنيوية والشخصية التي يطمح إليها السياسيون وأصحاب الثروات الطائلة، وإنَّما جاء من باب عدم قبول الأمة ولأنَّ عقولهم لاتحمَّلها، وإلاَّ فإنَّ الإمام بقيَّة الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء سوف يكشف إلى العالم أجمع جميع الأسرار العجيبة التي حواها هذا الكون، وذلك حينما تكون الإنسانية على أتمَّ الاستعداد في القبول والإذعان لها؛ باعتبار أنَّ البشرية في ذلك الزمان لها

١. بحار الأنوار: ٤١٦/٧٧، نقلاً عن كتاب تحف العقول: ١٧١.

٢. لقد ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شروطاً معيَّنة لمن يمكن البوح لهم بالأسرار، ولمزيد من المعلومات في هذا الجانب

يرجى مراجعة كتاب بحار الأنوار: ٤١٦/٧٧.

الأرضية المناسبة لسماعها، لما وصلت إليه من تكامل في الجانب الفكري والعقلي، وكذلك فإن تلك الحقبة الزمنية تكون خالية من الطغاة والمفسدين الذين يمنعون في كل الأوقات من بيان الأسرار.

لقد كان الحكام الظالمون والغاصبون لحقوق أهل البيت عليهم السلام هم مصدر الفساد والظلم الذي أصاب الإنسانية، والمانع الأساسي في تطورها، فإن هؤلاء الأشرار لم يكونوا حائلاً أمام تحقق حكومة الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين فحسب وإنما أبقوا العالم يتخبط في الجهل والظلمات، فما كان من هذا البيت الطاهر إلا الإمتناع عن بيان الأسرار والحقائق.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرٌّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا قَلِيلٌ.

وينقل عن رسول الله ﷺ قوله :

لَوْلَا طُغَاةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَبَيَّثْتُ هَذَا السِّرَّ.<sup>١</sup>

وهناك تعبير آخر يقول فيه ﷺ :

لَوْلَا طُغَاةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَبَيَّثْتُ هَذَا السِّرَّ.<sup>٢</sup>

وهكذا نرى أن أهل البيت صلوات الله عليهم قد أخفوا الحقائق الموجودة في عالم الخلق، وكل ذلك يعود لوجود الطغاة والغاصبين لحقوق العترة الطاهرة، فهؤلاء الأشرار لم يتمكنوا من مشاهدة الأراضي الإسلامية في يد أصحابها الحقيقيين وهم آل محمد صلوات الله عليهم وإنما عملوا على أخذ «فدك» التي هي ملك الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام من يد أمير المؤمنين عليه السلام !

فكيف يهدأ لهم قرار وبال وهم يشاهدون الناس تتجه أفواجاً أفواجاً صوب أهل البيت عليهم السلام والإطلاع على علومهم وأسرار السماوات والنجوم والأرضين

١. بحار الأنوار: ٣٠٦/٩٥.

٢. بحار الأنوار: ٢٦٧/٩١.

والقدرات العظيمة لعالم الغيب والشهادة والعالم اللامرئي؟! إن طغيان وخيانة هؤلاء كان السبب ليس في حرمان الإنسانية في ذلك الزمان من تلك الأسرار والعلوم والمعارف ومعرفة المسائل الحياتية فقط، وإنما ظلت هذه الحالة سارية حتى زماننا الحاضر.

### إخفاء الكرامة والقدرات الروحية

لقد اتصفت حياة علمائنا الأبرار والصلحاء من أبناء هذه الطائفة الحقبة بشكل بحيث لم يطلع أحد على أسرارهم ما داموا على قيد الحياة، حتى إن أقرب الناس إليهم كان لا يعرفها، وذلك باعتبارهم يتبعون مدرسة أهل البيت عليه السلام.

ومع كون مظهرهم الخارجي يوحي على أنهم أناس يحملون سمات البساطة، ولكن في الواقع لديهم قلوب تنبض بالأنوار الساطعة والمشعة لآل الوحي، وهذا الأمر لم يكن يحصل لولا عنايات وكرامات ذلك البيت الذي طهره الله تطهيراً، فكانت لحظات عمرهم كلها في خدمة الدين والرسالة المحمدية وقضاء حوائج الناس والقيام بالوظائف المناطة بهم، محافظين على الأسرار والفيوضات التي نالوها عن طريق القرب الإلهي وعناية أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ولكن كان هناك ثلة قليلة من المقربين منهم، لهم معرفة بشخصياتهم الحقيقة ويقومون بالكشف عن بعض من تلك الأسرار التي أخذوها معهم إلى لحودهم.

نعم؛ إن التاريخ الشيعي حافل بالعلماء الأجلاء ونخب من الأشخاص لهم مقامات معنوية سامية ورفيعة، ولهم ارتباط مع أهل البيت عليهم السلام وهم مطيعون لأوامرهم وتعاليمهم، وكان لهم الفخر في إنجاز المهام المخولة لهم من جانب آل الله على أحسن وجه.

ومع أن تلك الثلة الصالحة كانت تكتتم تلك المهام والمسؤوليات، وتحاول بشتى الطرق في عدم الكشف عنها حتى لا يتمكّن أولئك الذين



يتصيدون بالماء العكر من الإستفادة منها وتسخرها لصالح أغراضهم ومصالحهم الشخصية، ولكن سرعان ما كانت تنكشف تلك الكرامات من قبل الأشخاص الذين تقع لهم تلك الكرامات ويقومون بنقلها إلى الناس.

### كرامة المرحوم الشيخ الأنصاري

ونأتي هنا بنموذج لأحد الكرامات التي حدثت مع كبار علماء الطائفة، وهو المرحوم الشيخ الأنصاري، وينقلها العالم الجليل المرحوم الشيخ عبدالرحيم الدزفولي الذي شاهدها بنفسه ونقلها إلى الآخرين:

مما حدث به الشيخ الجليل العلامة المتبحر الشيخ عبدالرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣ هجرية من تلامذة الشيخ الأنصاري أعلى الله مقامه، قال: زرت الإمام الشهيد أبا عبدالله الحسين عليه السلام ثم قصدت أبا الفضل العباس عليه السلام وبينما أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائراً من الأعراب ومعه غلام مشلول وربطه بالشباك وتوسل به وتضرع، وإذا بالغلام قد نهض وليس به علة، وهو يصيح: شافاني العباس عليه السلام، فاجتمع الناس عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها، فلما أبصرت هذا بعيني تقدمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً شديداً وقلت: يغتتم المعيدي الجاهل منك المنى وينكفي مسروراً، وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك والتأدب في المثل أمامك أرجع خائباً لا تقضي حاجتي، فلا أزورك بعد هذا أبداً، ثم راجعت نفسي وتنهت لعتبي هذا فاستغفرت ربي سبحانه وتعالى ممّا أسأت لمقام العباس عليه السلام، ولما عدت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ مرتضى الأنصاري قدس الله روحه الزاكية وأخرج صرتين وقال: هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس عليه السلام، اشتر داراً وحج البيت الحرام، وقد كان لأجلهما توسلي بأبي الفضل العباس عليه السلام.<sup>١</sup>

وقد نظم الشيخ محمد السماوي صاحب كتاب «إبصار العين في أنصار

الحسين (عليه السلام) أبياتاً في عرض هذه الكرامة، حيث يقول:

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| وما عَجِبْتُ من أبي الفضل كما  | عَجِبْتُ من أستاذنا إذ عَلِمَا |
| لأنَّ شبلَ المرتضى لم يَغْرُبْ | إذا أتى بمُعْجَزٍ أو مُعْجِبْ  |
| بكلِّ يوم بل بكلِّ ساعة        | لِمَن أتاه قاصداً رِبَاعَهُ    |
| وهو من الشيخ عجيبٌ بيِّنٌ      | لكلِّ بنور الله يرنو المؤمنُ   |

وهذه هي واحدة من الكرامة للشيخ تمّ نقلها بواسطة العالم الجليل الشيخ عبدالرحيم، وقد حدثت العديد من الكرامات الأخرى لهذا الشيخ وسائر الشخصيات الشيعية العلمية والمعنوية الكبيرة، حيث يمكن أن نستنتج منها: إنَّ أولياء الله تعالى ونتيجة الكتمان ووجود القابلية والقدرة على الحفاظ على الأسرار، فإنَّهم قادرون ليس على القيام بما أوكل لهم من مهام من مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وإنجازها بالشكل المطلوب فحسب، بل إنَّهم يتمكّنون وبواسطة الفيوضات والألطف النازلة عليهم من جانب أصحاب الولاية الإلهية من الارتباط ببقية أهل البيت (عليهم السلام) وتنفيذ أوامرهم وتوجيهاتهم وإرشاداتهم ويسعون بما أوتوا من قوّة على كتمانها.

ولاشكَّ فإنَّ هؤلاء الأ خيار قد فتحوا الباب على مصرعيه للإتصال مع آل الله بعد أن انقطعوا من أعماق وجودهم عن الأغيار؛ لأنَّ «الفصل» مقدّمة «للوصل» و«الوصل» يحدث نتيجة «الفصل».

ومن هنا فإنَّ عملية الإتصال والارتباط التي تكون ما بين أصحاب الأسرار والأشعة الوهاجة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) هي حقيقة واقعة، مع أنَّ هؤلاء يسعون كثيراً لأجل كتمانها وإنكارها جملة وتفصيلاً.

ولاشكَّ أنَّ الكثير من القصص والأحداث التي نُقلت عن العلماء الأجلاء تثبت بشكل يقيني أنَّهم أرادوا عدم اطلاع أحد من الخلق عليها، وبالطبع فإنَّ القصة التي ذكرناها عن الشيخ الأنصاري توضح حقيقة، وهي أنَّ سائر أهل البيت (عليهم السلام) يقومون أحياناً بتكليف أولياء الله تعالى القيام ببعض المهام والأعمال،

وهؤلاء بدورهم يخفونها ولكن يقوم البعض بالإعلان عنها.  
ونذكر هنا كرامة أخرى للشيخ الأنصاري تكون دليلاً على إثبات هذه الحقيقة:

جاء رجل إلى الشيخ الأنصاري رحمه الله في أحد أسفاره إلى زيارة مرقد سيّد الشهداء عليه السلام وهو من أهالي منطقة السماوة<sup>١</sup> فسلم عليه وقبله يده ثم قال له: بالله عليك؛ أنت الشيخ مرتضى؟ فردّ عليه الشيخ: نعم، فاستطرد الرجل قائلاً: إنني من منطقة السماوة، وعندني أخت تبعد عن بيتي حوالي ثلاثة فراسخ، فأردت يوماً زيارتها، وبينما أنا راجع من زيارتها، وإذا بأسد كبير يعترض طريقي، وحينما شاهد الحصان ذلك توقف عن الحركة، ولم يكن عندي حلّ إلّا التوسّل بأهل الدين، فأخذت أتوسّل بأبي بكر وقلت: يا صديق! فلم يحدث شيء، وتوسّلت بعده بعمر وقلت: يا فاروق! أيضاً لم أجد استجابة، ومن ثمّ توسّلت بعثمان وقلت: يا ذا النور! كذلك لم أر أثراً، فتوسّلت بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقلت: «يا أبا الرسول وزوج البتول؛ يا أبا السبطين أدركني ولا تهلكني»، فجأة جاء راكب ملثم، وحينما شاهد الأسد ذلك الراكب أخذ يمسح رأسه بحصانه، ثمّ اتجه صوب الصحراء، فلمّا أراد الراكب الذهاب لحقت به، ولكن على الرغم من أنّ حصانه كان يمشي ببطء ولكن حصاني مع سرعته لم يتمكّن من الإلحاق به، وبينما أنا كذلك قال لي: إنّ الأسد قد ذهب ولن يعترضك بعد ذلك، ووصف لي الطريق وقال: إذهب من هنا في أمان الله. فقلت له: فداك نفسي؛ من أنت الذي أنجيتني من الهلاك حتّى أعرفك؟ فقال: أنت الذي طلبتني، أنا أخو الرسول وزوج البتول، وأبو السبطين عليّ بن أبي طالب.

فقلت له: فداك نفسي؛ إهدني إلى الصراط المستقيم، فقال: صحّ عقائدك. فقلت: ما هي العقائد الصحيحة؟ فأجابني عقائد الشيعة، فقلت: هل علّمتني

١. وهي مدينة تقع بين الكوفة والبصرة إلى جانب نهر الفرات.

إياها، فردّ عليّ: اذهب إلى الشيخ مرتضى وتعلم منه ذلك، فقلت: لا أعرفه، فقال: إنّه ساكن في النجف وأعطاني بعض الأوصاف التي أشاهدها فيك. فقلت: إن ذهبت إلى النجف أجده؟ فقال: لا؛ لأنّه ذهب إلى كربلاء لزيارة الحسين عليه السلام ولكنك ستجده فيها، قال لي هذا الكلام، ثمّ غاب عن بصري. بعد ذلك ذهبت إلى السماوة، ثمّ جئت إلى النجف، فلم أجدك ووصلت إلى كربلاء هذا اليوم، وها أنا بخدمتك، وأرجو منك توضيح عقائد الشيعة، فردّ عليّ الشيخ قائلاً: إنّ أصل عقيدة الشيعة هي أن تعتقد وتؤمن بأن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الخليفة الأول من بعد رسول الله ﷺ ومن ثمّ يأتي من بعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام ومن بعده الإمام الحسين عليه السلام صاحب هذا الضريح الطاهر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر الذي هو الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو إمام غائب عن الأنظار، وأنّ كلّ من يقرّ بإمامة هؤلاء الأبرار فهو شيعي، وإمّا في الأعمال فإنّ التكليف الذي هو واجب عليك هو الصلاة والصوم والحجّ وغيرها.

فقلت له: شيخنا أرجو منك أن تعرف لي شخصاً من الشيعة لكي يعلمني بعض ضروريات الأحكام، وبالفعل فقد أوصى بي إلى أحد العلماء وقال له: عليك بإخفاء الأمور التي تنافي التقية.<sup>١</sup>

أجود بمكنون التلاد وإنّني بسرّي عمّن سألني لضنين  
وإن ضييع الأقوام سرّي فإنّني كتوم لأسرار العشير أمين

ومن الطبيعي أنّ عملية كتمان الكرامات وحفظ الأسرار له فوائد من جملتها أنّها بالإضافة إلى أنّها وسيلة وطريقة للحفاظ عليهم من بطش الأعداء والنواصب، فهي تزيد من قابليتهم وإستيعابهم للوصول إلى أسرار أعظم من تلك.

وكانت توصيات وإرشادات وتعاليم أهل بيت الوحي والرسالة عليه السلام في

١. حياة وشخصية الشيخ الأنصاري: ٩٦.

أهمية الحفاظ على الأسرار نابعة من كونها وسيلة لخير الدنيا والآخرة وفلاح الإنسان.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال :

جُمِعَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ وَمُصَادَقَةِ الْإِخْوَانِ،  
وَجُمِعَ الشَّرُّ فِي الْإِذَاعَةِ وَمُؤَاخَاةِ الْأَشْرَارِ.<sup>١</sup>

وقد عمل كبار علمائنا على إخفاء الأسرار والسعي في عدم البوح بها، فكان هذا الموضوع سبباً في حفظهم من الأعداء، وكذلك جعلهم يمتلكون قابلية كبيرة تؤهلهم لحمل ما هو أعظم منها ودركها بصورة أكبر، والعمل بكل مفرداتها من دون أن يعلم بها أحد من العالمين، وقد زاد عملهم بإخفائها الكرامات التي لازمتهم في حياتهم من قدراتها الروحية والمعنوية.

### أضرار نفشي الأسرار

إنَّ عملية إفشاء الأسرار وعدم القدرة على كتمانها تعني أنَّ الشخص يحمل قابليات ضعيفة، ولا يتمكن بحال من الأحوال من استيعابها وتحملها. وقد كان أصحاب الأئمة الأطهار عليهم السلام وخواصهم والذين حملوا لواء علومهم ومعارفهم واستفادوا من أسرارهم امتنعوا عن إفشائها ونقلها إلى الآخرين، وهذا الأمر إذا دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على قدرتهم العظيمة واستيعابهم الكبير لذلك، ويعتبر بحدِّ ذاته وسيلة لترقيتهم وتقديهم في المسائل والقضايا المعنوية.

وأما في الجانب الآخر ترى الذين لم يستطيعوا كتمان الأسرار وسرعان ما يبهون بها، فإنَّ عملهم هذا لن يدلَّ على عدم وجود الإستعداد الكافي والأرضية المناسبة والقدرة والطاقة على استيعابها وتحملها فقط، وإنَّما هو

١. سفينة البحار: ٢/ ٤٦٩.

دليل على شكهم في أصل الحقائق التي وصلوا لها.

قال صادق أهل البيت عليه السلام:

### مُذِيعُ السِّرِّ شَاكٌ<sup>١</sup>

ومن المؤكّد أنّ الشخص الذي يفشي السّرّ إذا كان لم يشكّ به أثناء الكشف عنه فإنّه يشكّ به بعد ذلك، وهذه قاعدة عامّة؛ باعتبار أنّه يواجه عمليّة التشكيك من قبل الآخرين حول أصل تلك المسائل المطروحة، وفي النهاية يقوم هو بإنكارها ورفضها رفضاً قاطعاً، وهو بالتالي يسقط مرتبة أدنى من المرتبة التي كان عليها.

وهذه حقيقة أوضحها الإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث:

### إِفْشَاءُ السِّرِّ سَقُوطٌ<sup>٢</sup>

ويمكن الاستدلال بهذا الحديث الشريف على أنّ هؤلاء الذين يعتقدون أنّهم وصلوا إلى مرتبة «الحال»، ويؤمنون بإحرازهم المقامات والرتب المتعالية يجب عليهم الالتفات إلى نقطة، وهي أنّ قولهم بأمور لا يجب أن يقال لن تكون باعثاً على إنكار جملة من الحقائق الموجودة لدى بعض الأفراد فحسب، وإنّما يقومون بتهيئة المقدمات الأولية لسقوطهم نحو الهاوية والطامة الكبرى.

إنّ الجميع يعلم أنّ الإناء الصغير يمتلئ بمجرد وضع قليل من الماء فيه، ولكن البحار والأنهر الكبيرة فإنّها تتحمل استيعاب آلاف الأمتار المكعبة من الماء ولا يطرأ عليها أيّ تغير، وهذا مثل ينطبق تماماً على أولئك الأشخاص الذين يبحثون عن النجاحات والموفقية في حياتهم والوصول إلى أعلى درجات الكمالات المعنوية، حيث يجب عليهم أن يحملوا قلباً كبيراً يتسع لكل سرّ يسمعون، ويمكن لهم توسعة ذلك القلب كلّما ازادت لديهم قوّة

١. بحار الأنوار: ٨٨/٧٥، نقلاً عن كتاب أصول الكافي: ٣٧١/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٢٩/٧٨، عن كتاب تحف العقول: ٣١٥.

كتمانته، ومن خلال هذا المنهج فإنهم يكونون قد اتبعوا السنن الإلهية، يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الخصوص:

... أَلَسُنَّةُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ.<sup>١</sup>

ولهذا فإن الشخص الذي قطع مسافات كبيرة في الإيمان، ووصل إلى مقام المعرفة، واستطاع نيل الحقائق القيمة عليه الحفاظ على تلك الأمور، واعتبارها بمثابة قضايا ثمينة يجب إخفاؤها عن عيون الآخرين، فهل يمكن للإنسان العاقل إفشاء قضية الكنز الذي عثر عليه وإخبار الآخرين عن مكان وجوده؟ إذن فالوظيفة الشرعية والعرفية تحتم عليه الحفاظ على السر المستودع عنده كما يحافظ على الكنز الذي حصل عليه.

ومن بيان هذه الحقائق فإن أولياء الله وأصفياه هم أشخاص يحملون الحكمة والدراية، ومن المستحيل بمكان إعطاء ذريعة وحنة بيد من لم يحمل من الرجولة ذرة، فإن أوليائه يزينون شخصيتهم بحلية السكوت وكتمان السر، ولن يفعلوا شيئاً يشين ويقلل من مقامهم ومنزلتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

حَلِيَّتُهُمْ طُولُ السُّكُوتِ وَكِتْمَانُ السَّرِّ.<sup>٢</sup>

ومستودعي سرّاً كتمت مكانه      عن الحس خوفاً أن ينم به الحس  
وخفت عليه من هوى النفس شهوة      فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

على أي حال، فإن الأمر المهم هنا هو أن وجوب حفظ الأسرار والأحاديث التي لا يقدر عموم الناس على تحملها ومعرفتها وقد جاءت روايات متعددة عن أئمة أهل البيت عليه السلام تؤكد على اتباع هذا المذهب بالعمل دوماً بضرورة الحفاظ على ذلك والسعي بكل قوة من أجل عدم إفشائها وبقائها في مستودع القلب.

١. بحار الأنوار: ٢٩١/٧٨، عن كتاب تحف العقول: ٣٠٧.

٢. بحار الأنوار: ٣٥٢/٦٧.

### نتيجة البحث

إنّ كتمان السرّ وعدم إطلاع الآخرين عليه هو واحد من الشروط الأساسية لنيل أسمى الدرجات والمراتب المعنوية القيّمة، ومن هذا المنطلق عمل كبار علماء المذهب الشيعي الحقّ على اتّباع هذه السنّة الإلهية، وكانوا على اطلاع كامل على أهمّية ومكانة هذا العمل؛ لأنّ كتمان السرّ لم يحافظ على الإنسان من كيد الأعداء والمعارضين فقط، وإنّما ينمو عنده قابلية قبول الأسرار العظيمة لعالم الخلق وعوالم الملك والملكوت والضمير اللاواعي، وذلك من أجل كسب ما هو أعظم منها.

وكذلك فإنّ عملية حفظ الأسرار وعدم إفشائها يؤدي بها إلى عدم وقوعها بيد الآخرين، وبالتالي زيادة القابلية الباطنية لدى من يحافظ عليها والتي بالطبع لها قيمة لا يمكن بحال من تسمينها.

وأما المحصّلة التي يمكن أن يخرج بها الإنسان من البوح بالأسرار فهي السقوط والتخلّف من الوصول إلى المراحل المعنوية المتعالية، وتجلب الشك والشبهات له وللآخرين بالنسبة إلى الحقيقة التي تحويها مثل تلك المسائل.

ولا شك أنّ تفكيك وتشخيص الأسرار عن الخيالات والخرافات هو من المسائل المهمّة التي ينبغي الالتفات إليها، وكما أنّ عمليّة حفظ الأسرار لها بُعد مهمّ، فإنّ تطهير الذهن من تلك الخيالات والخرافات أيضاً له دور أساسي وحياتي في حياة الإنسان.

ومستودعي سرّاً تضمّنت سرّه      فأودعته من مستقرّ الحشا قبراً  
ولكنّني أخفيه عنّي كأنّني      من الدهر يوماً ما أحطت به خيراً  
وما السرّ في قلبي كميّت بحفرة      لأنّني أرى المدفون ينتظر النشراً